مركز حضرموت للدراسات التاريخيه والتوثيق والنشر
HADHRAMAUT CENTRE
For Historical Studies
Documentation and Publicatin

حضرموت الثقافية

رمضان ١٤٤٤هـ - Hadhramaout AL-Thaqafiah - March 2023
مجلة فصلية - السنة السابعة - العدد (27)



نجل اللـواء صـالح بن سميدع يكشف خفايا وأسرارًا عن والده بعد خمسين عاماً من رحيله

السوارح عند الأحمـوم والقبائل المجاورة

السيرة الذاتية للمناضل أحمد عمر باخريبة

حضرموت..رؤية هولنديـة من الداخـل

من أعلام حضرموت



الشاعر سعيد فرج باحريز

(1905– 1987م)

3
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

عذابات الإنسان الحضرمي



د. عبدالقادر علي باعيسى
رئيس التحرير

يكشف الواقع المعاصر عن عذابات الإنسان الحضرمي على مختلف الصعد السياسية والاجتماعية والثقافية والفكرية والتعليمية مما صار يستصعب معه رسم أو صياغة واقع لروحه وذاته، فلا يختزن الإنسان الحضرمي في ذاته هذه الأيام الماضي الذي لا يستطيع أن يجسده، ولا يختزن الحاضر، ومن باب أولى لا يختزن المستقبل، فالحاضر مؤلم ويشوبه مستقبل مضطرب، ولم نجد إلى الآن من يتعمق في وصف هذه الظاهرة الحضرمية بجدية علمية من أي ناحية كانت، وإن كان ثمة كتابات هنا وهناك.

ومع أنه يقال إن الحضرمي كثير الانتباه وكثير التبصر إلا أنه ما عاد يرى، فبناء ذاته أصابته ضربات قاصمة وبقوة خلال عدد من المراحل التاريخية ومن ضمنها هذه المرحلة الممتدة منذ النصف الأخير من القرن الماضي إلى الآن، وعندما ترحل عنك ذاتك يمكنك أن تتمسك بأي شيء، وما يقوم به الحضرمي في الواقع على أنه حركاته وأفعاله لا يعدو كونه نوعاً من الإحساس الشكلي بالذات يحتاج إلى مزيد من دراسة لنعرف أين موقعه في إدارة هذه الحركات والأفعال. فلا يقف الحضرمي اليوم أمام الماضي ولا أمام الحاضر، بل يقف في لحظة ليس فيها ماض وليس فيها حاضر، ومن ثم تتعين صورة غريبة ومضطربة له تأخذه إلى مزيد من الاضطراب.

ما هي الحضرمة الآن؟ هل هي ثقافة؟ هل هي مجتمع تقليدي؟ هل هي تاريخ؟ هل هي واقع؟ هل هي اقتصاد؟ هل هي حركة مستقبلية؟ هل هي مزيج من كل هذه الأشياء أو من بعضها؟ لا يمكن الجزم بإجابة محددة، ومن ثم ما هو الدور البارز الذي يؤديه الحضرمي الآن سواء على المستوى السياسي أو الثقافي أو الفكري أو الاقتصادي؟ يؤدي وظيفة الغياب عن كل هذه الأبعاد التي لا يمكن له أن ينهض بها متماسكة مادام مفككًا بعضها عن بعضها الآخر مما يعني وظيفة الغياب عن ذاته الجمعية، وإن كان مازال ينتج قصائد الحب التي تدل على أنه مازال له قلبا يخفق وعاطفة جياشة، ولعل هذه العاطفة هي التي تضر به كثيراً.

لا أستطيع أن أخبرك الآن من هو الحضرمي؟ ولكن ربما يأتي غداً من يخبرك من هو الحضرمي؟ وربما لا يخبرك أحد، لا اليوم ولا غداً، مادامت تجاربنا فردية خاصة، ينكفئ كل منا فيها على ذاته وقرصه.

محتويات العدد

حضرموت الثقافية

مجلة فصلية

السنة السابعة العدد (27)

يناير - مارس 2023م

تصدر عن مركز حضرموت

للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

رئيس مجلس الإدارة

الأستاذ محمد سالم بن علي جابر

المشرف العام

أ. د. عبدالله سعيد بن جسّار الجعيدي

رئيس التحرير

د. عبدالقادر علي باعيسى

السكرتير الفني

حسن أحمد بلجعد

التدقيق اللغوي

د. جمال رمضان حديجان

الهيئة الاستشارية

أ.د. عبدالله حسين البار

أ. د. عبدالله صالح بابعير

أ. د. ناجي جعفر الكثيري

أ. د. مسعود سعيد عمشوش

أ.د. خالد يسلم بلخشر

د. حسن صالح الغلام العمودي

د. طه حسين الحضرمي

د. أحمد سعيد عبيدون

د. صادق عمر مكنون

- المواضيع المنشورة تعبّر عن آراء أصحابها ولا تعبّر بالضرورة عن رأي المجلة.

- ترتيب المواد جاء وفق ضرورات فنيّة إخراجية.

- المجلة غير ملزمة بإعادة أي مادة تتسلمها للنشر، سواء نُشرت أم لم تُنشر. ولا تلتزم بنشر المقالات المرسلة إليها بخط اليد.

مراسلات المجلة

hc.magazine16@gmail.com

hadcenter1@gmail.com

موقعنا على الشبكة الإلكترونية

www.hadramout.center

لعنوان: المكلا - حي الشهيد - (معهد باشريف سابقًا) - ت: ٣٥٠١٣٥



أضواء

حضرموت
رؤية هولندية من الداخل
(رحلة دانيال فان در ميولين)

أ. د. عبدالله سعيد بن جسار الجعيدي

ص 37

مواد البناء المحلية المستخدمة في العمارة الطينية بمدينة تريم

ص 44



محمد رمضان مسلم

عادات وتقاليد هضبة دوعن في سطور

ص 50

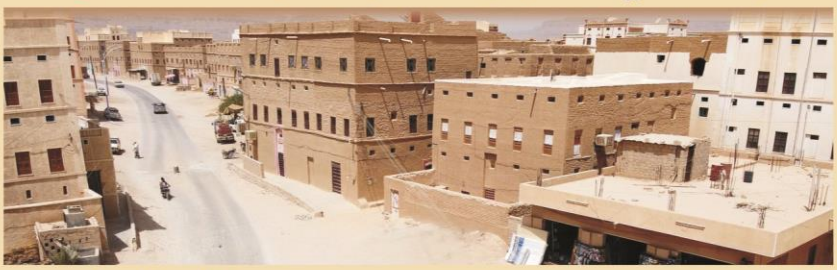


سالم محمد بجود باراس

دراسات

الحوطة في حضرموت.. الأبعاد والدلالات

ص 62



د. عبدالقادر علي باعيسى

دراسات

السوارح عند الأحموم والقبائل المجاورة



طاهر ناصر المشطي ص 70

تـراث

الموروث الشعبي لمدينة شبام حضرموت



يسلم سالم خراز
ص 93

كتابات



ص 96

علي سالم اليزيدي



ص 100

مسعود علي الغتنيني

حـوار



نجل اللواء بن سميدع (فائز صالح بن سميدع)

في حوار مع مجلة (حضرموت الثقافية)

حاوره/ صالح حسين الفردي ص 22

شخصيات



السيرة الذاتية الوطنية للمناضل أحمد عمر باخريبة

محمد عمر باخريبة ص 83



الشيخ العلامة عبدالله بن محفوظ الحداد دوره في إصلاح ومصلحة المجتمع بحضرموت

مبارك سالم باشحري ص 88

حديث البداية

- **عذابات الإنسان الحضرمي**.. د. عبدالقادر علي باعيسى – رئيس التحرر. 3

نقاش

- **حلقة نقاش المجلة الموسومة بـ (مجلة حضرموت الثقافية.. الواقع والطموح) بمناسبة إكمال (٢٥) عدداً من إصداراتها** 16

ترجمة

- **أرضٌ بلا ظِلال** (الفصل السادس والسابع)،ترجمة: د. خالد عوض بن مخاشن. 56

دراسات

- **الأسماك والأحياء البحرية في بحر العرب**(١١)... أ. عمر خميس بامتيرف. 78

كتابات

- **طريق الحرير الروائي** ..... إيمان العولقي.. 108
- **الغريب العائد** ..... عمار باطويل... 107

إبـداع

- **(عالمي الهوى)** (قصيدة) ..... عمر علوي بن شهاب.. 111
- **إليها وقد نفخ النفخة الثانية** (قصيدة)... الحاج بن خميس المشطي. 112

توقيع قلم

- **"الكيس ولد إبليس"**..... أ. د. عبدالله سعيد بن جسّار الجعيدي... 113

العدد (27)
يناير
مارس
2023م

دولة رئيس الوزراء الأسبق خالد بحاح
يزور مركز حضرموت للدراسات التاريخية والنشر والتوثيق



إعلام المركز:

زار دولة رئيس الوزراء الأسبق أ. خالد محفوظ بحاح مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر في مستهل أيام زيارته لمحافظة حضرموت، وفي خلال الزيارة تحدث رئيس المركز أ.د عبدالله الجعيدي عن مدى أثر هذه الزيارة وما تمثله من اهتمام كبير من قبل الشخصيات التي أنجبتها حضرموت وحققت أثراً كبيراً في واقع السياسة والفكر والمجالات الإنسانية بشكل عام.



من جانبه قال الأستاذ بحاح إن هذا المركز يشكل مرجعاً كبيراً لحضرموت التاريخ والحضارة، وما يقدمه المركز يشكل حافظة من ذاكرة الإنسان الحضرمي يدون ويوثق ليحكى لأجيال متعاقبة حتى تعرف أكثر عن واقع الأحداث والأعلام الحضرمية معرباً عن امتنانه لقوة الرسالة التي يعمل بها المركز ومثنياً على الجهود التي يكرسها عدد من الأكاديميين والشخصيات التاريخية والاجتماعية المسهمة في تدوين التاريخ الحضرمي ونشره بصورة منهجية وفق دراسات واضحة.

وفي ختام اللقاء قُدمت لدولة أ. خالد بحاح عدد من إصدارات المركز من مجلة حضرموت الثقافية وعدد من الكتب.





7
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

استعدادات مركز حضرموت لندوة "المقاومة الشعبية في مدينة الشحر تجاه الاعتداءات البرتغالية في القرن الـ ١٦ الميلادي"



إعلام المركز:

ضمن استعداد مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر زار وفد من المركز يترأسه رئيس المركز أ.د عبدالله الجعيدي مصنع الوطنية لتعليب وتغليف الأسماك بمدينة الشحر للاطلاع على جاهزية القاعة وآخر التجهيزات التي تم تنفيذها لنجاح الندوة.

وفي خلال الزيارة تم مناقشة آلية العمل وآخر الاحتياجات اللازمة من قبل فريق العمل في الجانب الإعلامي والتجهيزات اللوجستية و ضيافة النزلاء لمدينة الشحر.

من جانبه قال د. عبدالقادر باعيسى نائب رئيس المركز إن الخطوات التي يعمل بها المركز تمضي في مسارها الصحيح نحو تحقيق النجاح الذي اعتاد عليه المركز آملاً أن تحقق الندوة النجاح الكبير الذي نتمناه.

يذكر أن الندوة ستقام بتاريخ ٢٨ فبراير ٢٠٢٣م بقاعة مصنع الوطنية لتعليب الأسماك برعاية محافظ محافظة حضرموت أ. مبخوت بن ماضي في ضمن فعاليات الذكرى ٥٠٠ للغزو البرتغالي على مدينة الشحر التاريخية.

الأستاذ محمد بلفخر في زيارة للمركز



إعلام المركز:

زار الكاتب السياسي الأستاذ محمد بلفخر مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر للاطلاع على آخر المستجدات للمركز بوصفه يمثل جزءاً من حضرموت في مجال الدراسات التاريخية والنشر والتوثيق، ومثنياً عن العمل الدؤوب الذي يعمل به المركز من ندوات ومؤتمرات وحفظ الوثائق والمخطوطات ونشر الكتب وترجمتها بالإضافة إلى مجلة حضرموت الثقافية واستمراريتها.



8
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

محافظ حضرموت يفتتح فعاليات الذكرى 500 للغزو البرتغالي على مدينة الشحر التاريخية

بندوة علمية ينفذها مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر

إعلام المركز:

افتتح محافظ محافظة حضرموت رئيس المجلس المحلي أ. مبخوت مبارك بن ماضي اليوم فعاليات الذكرى ٥٠٠ للغزو البرتغالي على مدينة الشحر التاريخية أول الأنشطة والفعاليات والأمسيات والاحتفالات المصاحبة للذكرى بندوة علمية بعنوان المقاومة الشعبية في مدينة الشحر تجاه الاعتداءات البرتغالية في القرن ال١٦ الميلادي.





ويقدم أوراق هذه الندوة التي ينفذها مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر ١٢ باحثا وباحثة أثروا نواحي مختلفة تتحدث عن الغزو البرتغالي وأثر الحدث التاريخي على حضرموت ومدينة الشحر التاريخية وقد أدار الجلسة الأولى أ.د. صالح عوض عرم والجلسة الثانية كانت بإدارة أ.د سالم عبدالله باصريح ثم اختتمت الندوة بفتح المجال للمناقشات والتعقيب على الأوراق البحثية التي طرحت في الندوة.

الندوة بدأت بآيات من الذكر الحكيم ثم كلمة ألقاها أ.د عبدالله سعيد الجعيدي رئيس مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر معرباً فيها عن ترحيبه بمدينة الشحر التي احتضنت هذه الندوة العلمية لأهميتها الكبيرة بمشاركة عدد من الباحثين من داخل حضرموت والمحافظات المجاورة، مؤكداً على أن البرتغال هزمت وبقيت الشحر.



من جانبه قال محافظ حضرموت أ. مبخوت بن ماضي إن هذه الذكرى تمثل حقيقة تثبت بسالة المواطن الحضرمي الذي واجه الغزو البرتغالي بثبات مشيراً إلى أهمية هذا الحدث الذي يعتبر أحد أكبر الانتصارات على واحدة من أهم الامبراطوريات الكبيرة في القرن الـ١٦ الميلادي، بعد أن طالت عدن لتأتي إلى الشحر وتعود مكسورة بعد هزيمتها.

وفي كلمة ألقاها أ. عبدالله صالح حداد نيابة عن مؤرخي الشحر والمثقفين قال فيها إن الشحر ترحب بالزائرين من مختلف المناطق للاحتفال بهذا النصر الكبير الذي سطره الأجداد قبل قرون حاثاً الجهات المعنية على تكثيف الجهود لتقديم أكثر من ندوة ومحاضرة لتوعية الشباب بالأحداث التاريخية لبلادهم.

الجدير بالذكر أن هذه الندوة تأتي ضمن الأنشطة المتنوعة لمركز حضرموت ومن ضمنها الندوات والمحاضرات والمؤتمرات العلمية وترجمة الكتب والدراسات التاريخية والتوثيق وتأليف الكتب ونشرها وإصدار مجلة حضرموت الثقافية بالإضافة إلى الموسوعة الحضرمية.




















المقاومة الشعبية في مدينة الشحر




في مدينة الشحر






البرتغالية في القرن الـ 16 الميلادي
الشحر (28 فبراير 2023م)




المقاومة الشعبية في مدينة الشحر









11
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

رئيس ديوان الأحبة الثقافي الفني بسلطنة عمان في زيارة لمركز حضرموت



إعلام المركز:

قام أ. عبدالقادر البلوشي رئيس ديوانية لقاء الأحبة ومعه الشاعر العماني المعروف أ. فتحي سالم المخيني بزيارة مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، لتبادل العلاقات بين الجانبين حيث إن حضرموت تجمعها أواصر العلاقة المتينة مع عمان في جوانب عديدة منها العلاقة في النسب والثقافة والفن.

وفي ذات السياق عبرّ رئيس المركز أ.د عبدالله سعيد الجعيدي وإدارة المركز عن تقديرهم لهذه الزيارة التي تأتي في ضمن أهداف المركز لنشر الرسالة التي يقدمها إلى أبعد الحدود.

ومن جانبها قالت اللجنة العلمية بالمركز إن هذه الزيارة هي إشارة على رسو تعاون متبادل بين الطرفين في الجوانب البحثية والتأليف والمشاركة في مجلة المركز، آملين لهم إقامة مثمرة في حضرموت ويانعة لما فيه مصلحة التاريخ والثقافة والرسالة التي ينشرها الطرفان.



حضر اللقاء الأستاذ والشاعر عبدالله سعيد باوزير رئيس مؤسسة حضرموت للتراث الفني.



اللواء الركن سالم الخنبشي في زيارة لمركز حضرموت



إعلام المركز:

استقبل مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر مدير كلية الشرطة بحضرموت اللواء الركن سالم عبدالله الخنبشي وذلك مساء الثلاثاء ٧/ ٢/ ٢٠٢٣م للاطلاع على أنشطة المركز وتبادل المنفعة بين الجانبين.

وفي خلال الزيارة حرص رئيس مركز حضرموت أ. د. عبدالله سعيد الجعيدي على تقديم شرح مفصل عن أنشطة المركز ورؤيته بعيدة الأمد لخدمة حضرموت ثقافياً وتوثيق كل المراجع الحضرمية التي تخص حضرموت لتتجدد الثقافة لبناء مستقبل حضرموت.

من جانبه قال اللواء الركن سالم الخنبشي يسرنا أن نشاهد هذا النشاط الثقافي الذي يعكس صورة حضرموت الحضارة، ويجعلنا نستلهم من تاريخ حضرموت العبر والدروس فيما يخدم مستقبل حضرموت بشكل أفضل، مع تمنياته بأن تصل رسالة مركز حضرموت إلى كل أنحاء العالم لما لها من أهمية علمية قد يغفل عنها الكثير.

وفي ذات السياق رحّب بالتعاون مع المركز في الجوانب الثقافية التي تعود بالنفع على الكلية، ولما فيه مصلحة البلد والطالب بكلية الشرطة.

وقال الدكتور عبدالقادر باعيسى نائب رئيس المركز مدير إدارة الإعلام والثقافة إن هذه الزيارة فريدة من نوعها ونحن سعداء بها لا سيما أننا نستمع إلى وعي ثقافي ومستقبلي طيب من خلال هذا الحديث الذي يتفضل به سيادة اللواء الخنبشي.

ومن جانبه قال الدكتور حسن الغلام رئيس لجنة القبائل والأسر بالموسوعة الحضرمية بالمركز إن هذه الزيارة ستعرّفكم على جانب مهم نعمل فيه وهو توثيق مناح متعددة من حضرموت في موسوعة تشمل العديد من المواضيع التي توثق الأنساب والأعلام الحضرمية وغيرها.



وفي ختام اللقاء تم إهداء اللواء الركن سالم الخنبشي بعض إصدارات المركز والقيام بجولة لإدارات المركز بشكل عام، وتم الوعد على إهداء كلية الشرطة كل إصدارات المركز من الكتب والمجلات لرفد مكتبة الكلية.

13
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

الدكتور العوادي مدير مكتب رئيس الوزراء الأسبق خالد بحاح في زيارة لمركز حضرموت



إعلام المركز:

زار الدكتور محمد صالح العوادي مدير مكتب رئيس الوزراء الأسبق الأستاذ خالد بحاح مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، للاطلاع على اخر الأنشطة التي قدمها المركز نظرا لكونه أحد النوافذ الثقافية المهمة في حضرموت.

وخلال اللقاء شكر أ. د. عبدالله سعيد الجعيدي رئيس المركز الدكتور العوادي على زيارته باعثاً التحية للأستاذ خالد محفوظ بحاح رئيس الوزراء الأسبق.

كما شكر الدكتور العوادي المركز على حسن الاستقبال آملاً بأن تستمر أنشطة المركز لتصل رسالته إلى الشباب ليتعرف على تاريخ أرضه وينعكس ذلك على واقعه، لما تتميز به حضرموت من تاريخ مجيد.

وحدين والمضي يزوران مركز حضرموت



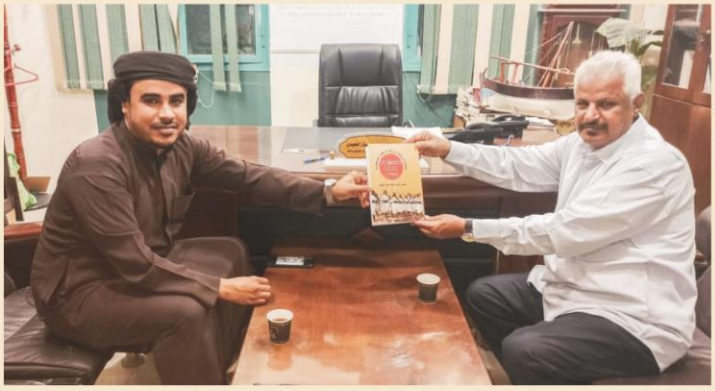
إعلام المركز:

زار أ. عبدالمجيد وحدين و أ. صالح المضي مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر مطلعين على أبرز الأنشطة التي ينفذها المركز وآخر الإصدارات من الكتب ولتبادل الحديث حول الأفكار التي من الممكن أن يتبناها المركز لتعزيز الذاكرة السياسية التاريخية لحضرموت، وفي خلال الزيارة شكر أ.د عبدالله الجعيدي رئيس المركز وحدين والمضي على زيارتهما ومدى استيعاب المركز لجميع آراء الأطياف السياسية والاجتماعية والفكرية ومساهمتهم في تعزيز الرسالة التي يعمل من أجلها.



من جانب آخر رحّب د. عبدالقادر باعيسى نائب رئيس المركز ومدير إدارة الإعلام والثقافة بهذه الزيارة آملا أن تستمر اللقاءات وتتكرر وتتجدد بمساهمتهم في المجلة ببعض من كتابات الذاكرة التاريخية في المرحلة التي عاشوها وأسهموا فيها. والمركز يهتم بجميع الرؤى من جميع الأطياف لتحقيق رؤية تاريخية قيّمة وفقاًللاستراتيجية التي يعمل بها.

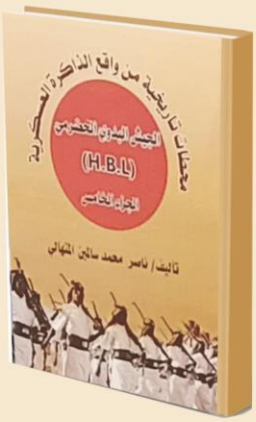
كتاب محطات تاريخية من واقع الذاكرة العسكرية " الجيش البدوي الحضرمي " إهداء لمركز حضرموت



إعلام المركز:

أهدى ابن الكاتب والمؤرخ الشيخ ناصر محمد سالمين المنهالي الأستاذ نايف ناصر كتاب محطات تاريخية من واقع الذاكرة العسكرية (الجيش البدوي الحضرمي) لمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر استلمه منه أ.د عبدالله سعيد الجعيدي لإثراء المكتبة الحضرمية بأحد الكتب التوثيقية لحقبة زمنية فارقة في حضرموت.

وقال ابن الكاتب الأستاذ نائف بن ناصر المنهالي في أثناء إهدائه الكتاب: إن هذا الكتاب أُرسل خصيصاً للمركز لما له من تأثير في نشر التاريخ والثقافة الحضرمية، بوصفه



محطة ذات أثر كبير، باعثاً تحيات والده الكاتب وحرصه على هذا الإهداء.

من جانبه شكر أ.د عبدالله الجعيدي اهتمام المنهالي بمتابعة نشاطات المركز وإهدائه العديد من إصداراته القيمة متمنياً مزيداً من العطاء في توثيق المرحلة العسكرية للجيش البدوي الحضرمي.

الكاتب طارق العمودي يهدي كتابه (قصتي مع القمر) لمركز حضرموت



إعلام المركز:

أهدى الكاتب أ. طارق العمودي كتابه (قصتي مع القمر) لمركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، وتم إيصاله بوساطة الخبير الفلكي أ. سالم الجعيدي.

وعبرّ رئيس المركز أ.د. عبدالله الجعيدي عن بالغ شكره وتقديره وامتنانه للكاتب العمودي على هذا الإهداء الذي وصل إليه، شاكراً الفلكي الجعيدي على زيارة المركز والتواصل المستمر معه بما يخدم رسالة المركز.

من جانب آخر عبرّ د. عبدالقادر باعيسى نائب رئيس المركز، مدير إدارة الثقافة والإعلام عن شكره للأستاذ العمودي على تواصله بالكتابة في مجلة (حضرموت الثقافية) الصادرة عن المركز ورفده له بمؤلفاته.

زيارة نجل اللواء بن سميدع إلى مركز حضرموت



إمكانية الاطلاع على بعض الوثائق التي كان يحتفظ بها المرحوم في أرشيفه الخاص، وذلك في إطار اهتمام المركز بالوثائق والمخطوطات الحضرمية.

وفي أثناء اللقاء شكر د. عبدالقادر باعيسى نائب رئيس المركز مدير إدارة الإعلام والثقافة



الأخ فائز بن سميدع على اسهامه بالحوار مع أ. صالح الفردي لمجلة حضرموت الثقافية الذي سينشر في العدد ٢٧.

إعلام المركز:

في إطار اهتمام مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر بالقيادات التاريخية التي تركت أثرها في واقع حضرموت المعاصر في النواحي السياسية والعسكرية والتربوية والتعليمية.. استقبل أ. د. عبدالله سعيد بن جسار الجعيدي رئيس المركز الأخ فائز بن سميدع نجل المرحوم اللواء صالح بن سميدع يرافقه حفيده محمد محفوظ بن سميدع وذلك لغرض تبادل المشورة بشأن

عميد كلية الآداب والعلوم الإنسانية يجدد العلاقة العلمية مع مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر



إعلام المركز:

جدد أ.د. محمد عوض بارشيد العلاقة العلمية الوطيدة بين كلية الآداب بجامعة حضرموت ومركز حضرموت للدرسات التاريخية والتوثيق والنشر خلال زيارته المركز للحديث عما يمكن العمل به خلال الأيام القادمة في ما يخص التعاون العلمي المشترك بين الطرفين، ومثمناً الجهود التي تبذل في المركز من إصدارات جديدة وندوات وأنشطة ثقافية مختلفة.

من جانبه شكر أ.د. عبدالله الجعيدي رئيس مركز حضرموت زيارة أ.د. محمد بارشيد معتبراً الزيارة رافداً مهماً من خلال تحريكها الاتفاقية والتعاون و الشراكة العملية بين المركز والكلية، وشاكراً زيارة العميد ومقدماً شكره لجامعة حضرموت لتعاونها المستمر مع ما يقدمه المركز من أنشطة وفعاليات.

يذكر أن مركز حضرموت يضم عدداً من الأساتذة بجامعة حضرموت في الإدارة والمسهمين والشركاء في نجاح رؤية المركز وأهدافه السامية.

16
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

حلقة نقاش المجلة الموسومة بـ (مجلة حضرموت الثقافية.. الواقع والطموح) بمناسبة إكمال (25) عدداً من إصداراتها



أقيم في مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، حلقة نقاش عن تقويم مجلة (حضرموت الثقافية)، بمناسبة إصدار خمسة وعشرين عدداً منها قدّم خلالها عدد من الأساتذة الأكاديميين في مجال الإعلام ورؤساء تحرير وصحفيين عدداً من الملاحظات القيمة عن المجلة تتصل بالمحتوى والشكل، وقد تجنبنا إيراد الملاحظات التي تشيد بالمجلة إنشائيًا مع تقديرنا لقائليها لأن غايتنا عملية بالأساس في تطوير المجلة وإثرائها مستقبلاً. وقد كانت الملاحظات كما يلي:

• الأستاذ محمد عبدالله الحداد

إعلامي مخضرم:



– من المهم أن نهتم بالمجلة بأفكار العرض فيها بمنطقه وأسلوبه وتناسب المحتوى مع الشكل وتناسب العناوين مع محتواها والتبسيط في العرض من خلال تحليل محتوى الموضوع إلى أقسام ودقة اختيار الصور وتوزيع المساحات على جغرافية الصفحة وفي حالة انقسام الموضوع إلى عدة أجزاء ينبغي على المحرر وضع ملخص سريع مركز للحلقة السابقة إضافة إلى الاهتمام بالعناصر التشويقية الفنية (رسوم + صور) وكذلك الاهتمام بسلاسة الترجمة ووضوحها ودقتها ولا بأس إن تطلب الأمر تدخل المحرر ببعض الإضافات فتلك لمسات تحريرية ضرورية وحيوية.

– تقسيم المادة إلى أكثر من عنوان داخلي وعدم تكرار جغرافية المناطق وصورها في بعض الأعداد والاهتمام بصياغة فنية العنوان في أعلى الصفحة فعدم الاهتمام بهذا الجانب الجمالي الشكلي البصري قد يترك تأثيراً سلبياً على مستوى المجلة.

• د. أديب الشاطري - إعلامي أكاديمي:



- تنوعت مواد الأعداد بين كثير من المواضيع التاريخية والأدبية والثقافية والفكرية والإبداعية والفنية والنقاشات والترجمة والأعلام وأقترح أن توضع في الصفحة الثانية من الغلاف بجانب الصورة الشخصية المنشورة صورتها نبذة وجيزة عن صاحبها، وقد لاحظت عدم استخدام العناوين الفرعية في كثير من المواد مما يزيد من رتابة الموضوع ويقلل من عنصر التشويق إلا في ما ندر حيث لا ترتاح عين القارئ فلا بد من كسر رتابة المواد الطويلة.

- لا يوجد أحياناً تناسق في أحجام الخط وفي عناوين الأغلفة فمثلاً نجد في عنوان واحد كلمة تكتب بخط أكبر من خط غيرها من الكلمات أو نجد الثلاث الكلمات الأولى صغيرة الخط والباقية كبيرة الخط، وهناك جهد رائع يبذله المخرج في التصميم، وتكررت في صفحة الغلاف الأخيرة صورة واحدة لإصدارات المركز يخيل معها للناظر وكأنها صفحة مكررة، وكان بالإمكان التعريف بمطبوع واحد ونشر صورته وتعريف عنه، وبدت لي صياغة الأخبار المنشورة في المجلة بحاجة إلى مختص إعلامي في هذا المجال.

• الأستاذ خالد سعيد مدرك
اختصاصي في الإعلام:

- يجب أن نعرف أولاً إلى أي نوع من أنواع المجلات تنتمي مجلة حضرموت الثقافية التي يصدرها مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر وللإجابة عن هذا السؤال نقول: إن مجلة (حضرموت الثقافية) تنتمي إلى النوع الرابع من أنواع المجلات وهي المجلات الثقافية الشهرية العامة التي تخاطب شرائح القراء كافة، وهي تتفق إلى حد كبير مع المجلات الأسبوعية العامة، وأهم ما يميز هذا النوع من المجلات أنها متعددة في موادها التحريرية والصحافية كما أنها تتسم بالعمق في كل ما تنشره في موضوعاتها، ومن هذه المجلات مجلة العربي الكويتية ومجلة الفيصل السعودية ومن ملاحظاتي التقويمية على مجلة حضرموت الثقافية ما يلي:



- العديد من أغلفة المجلة ظهرت بشكل جيد وجميل مثال ذلك غلاف العدد ١٧ إذ ركز المخرج الفني على إبراز صورة عنوان المقال وهو (دور الحضارم في صناعة السفن بميناء عدن والموانئ الجنوبية) فوضع صورة مكبرة لبناة السفن الحضارم احتلت نصف الغلاف، وكان يمكن أن يكون الغلاف أكثر جمالاً لو كبر بنط عنوان الموضوع في الأعلى ولم يأتِ المخرج بعناوين كثيرة بل وضع عنوانين فقط.

- هناك مثال آخر للغلاف الجيد والجاذب للانتباه وهو غلاف العدد ١٨ من المجلة فالمخرج نجح في إخراج غلاف العدد حين خصص مساحته لإبراز جزء مكبر من مدينة شبام التاريخية مستلهما أحد موضوعات العدد عن العمارة الحضرمية في ملف خاص، ووضع عناوين صغيرة أسفل مدينة شبام ولو أنه كبرَّ بنط الخط لجاء الغلاف أكثر من رائع.

ومن أغلفة المجلة غير الجيدة التي لا تلفت الانتباه ولا يتوافر فيها عامل الجذب ما يلي:

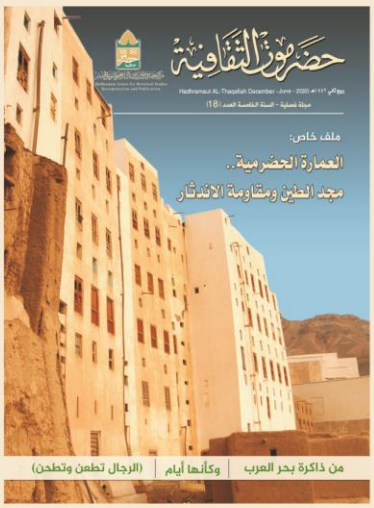
- غلاف العدد العاشر من المجلة الذي كثرت فيه العناوين وبلغ عددها في ذلك الغلاف حوالي ستة عناوين ولا شك أن كثرة العناوين تؤدي إلى تشتيت ذهن القارئ ويفضل أن يركز المخرج على أهم عناوين العدد ويقوم بإبراز صورة مكبرة له ومن المفترض أن يبرز المخرج صورة مكبرة لعنوان الموضوع (ملف العدد) وهو (المظاهر التقليدية العسكرية في حضرموت) ويضع العنوان في رأس الصفحة ويأتي بعد ذلك بصور متعددة من المظاهر العسكرية التقليدية لحضرموت تحتل ثلثي صفحة الغلاف ثم يأتي في الثلث الأخير بعنوان أو عنوانين.

- ومن أمثلة الأغلفة غير الجيدة في المجلة غلاف العدد (٨) الذي كثر فيه من العناوين، ومن المهم التركيز على عنوان واحد أو عنوانين فقط، كما نجده في أغلفة العربي الكويتية.

ومن المهم مراعاة الخطوط والألوان الخاصة بالغلاف وفقاً للمواضيع المطروحة.

وفيما يتعلق بتبويب المجلة فيمكننا أن نقول على سبيل المثال إن الموضوع المعنون بعنوان (أبو فتيلة سلاح ناري غير موازين القوى) للدكتور محمد صالح بلعفير في العدد العاشر أخرج بشكل فني متناسق ووضع صوراً مختلفة لكل صفحة ماعدا صفحتين فقط.

- ومن الموضوعات التي أخرجت بشكل جيد موضوع (الأسماك والأحياء البحرية ساحل حضرموت نموذجاً) للأستاذ عمر خميس بامتيرف المنشور بالعدد ١٥ فقد قام المخرج الفني بتوزيع فقرات الموضوع بصورة مرتبة أضفت على المقال أهمية وجمالاً.



ومن أمثلة التبويب والإخراج غير الجيد:

- تبويب وإخراج موضوع (من ملامح توثيق الشعر الشعبي في التاريخ الحضرمي) فقد غابت الصور المساندة والمساعدة للفت الانتباه وبلغ عدد الصفحات التي هي بدون صور سبع صفحات، وكذلك مقال الدكتور خالد الجوهي المنشور في العدد ١٩ من المجلة إذ لم تظهر فيه إلا صورة واحدة بالإضافة إلى صورة المؤلف، وظلت سبع صفحات بدون صور.

وبالنسبة لمحتوى المجلة وخطابها الإعلامي فإنه يرقى إلى معدل عام بنسبة جيد جداً وقد غطت المجلة وتناولت الكثير من أنواع التراث الثقافي الحضرمي على النحو التالي:

- العمارة الطينية التقليدية الحضرمية.
- الغناء والموسيقى.
- الحرف اليدوية والشعبية التقليدية.
- الفنون الشعبية (رقص وأهازيج).
- العادات والتقاليد (الأزياء).
- المؤلفات والكتب والنتاجات الفكرية.
- الميثولوجيا (الأساطير).

وهناك ضعف في نشر الثقافة العامة في المجلة.

• ملاحظات عامة:

- يفضل أن يكون بنط المجلة بين ١٤ و ١٦ أسود للمتن. وللمراجع والمصادر بخط ١٢ والخط يكون صحفياً ونوعية الخط الصحفي يعرفه المخرج الفني للمجلة الأخ حسن بلجعد.

- مستشارو التحرير يفضل أن يكون بينهم مختص إعلامي لكي يقدم استشاراته الإعلامية للمجلة باستمرار.

- من المهم المحافظة على الأبواب الثابتة في المجلة في كل عدد، وإضافة أبواب أخرى ثابتة.

• الأستاذ صالح سعيد بامطرف
مهتم بالإعلام:



لفتني في المجلة أنها تعكس نشاطات المركز النوعية ومن أهمها البحث عن وتسجيل ذاكرة حضرموت والترويج لإعداد الموسوعة الحضرمية وأن يكون لدى المركز خزانة للكتب (الخزانة الحضرمية)، والمحافظة على العمل مع المؤسسات العلمية والثقافية والتوقيع على الاتفاقيات مع الكليات الجامعية المتصلة بنشاط المركز والاهتمام بمسألة تطوير دور المركز واتساع عمله مع مؤسسات الدولة وغيرها للوصول إلى عمل مؤسسي ثقافي متكامل.

ويمكن الإشارة إلى ما يأتي:

أولاً: من حيث المحتوى الإخراجي الفني والطباعة والتصوير فقد شكلت المجلة تطوراً نوعياً في هذا النوع من الإصدارات في حضرموت لاسيما أنه يسهم في الكتابة فيها عدد من الكتّاب والمختصين والأساتذة الجامعيين وآخرون مما لهم مؤلفات وبحوث متعددة وبمضامين جديدة أضافت للمجلة رونقاً وتنوعاً.

ثانياً: أن المجلة أظهرت الموروث الحضاري لحضرموت وأبرزت أدوار المؤرخين والكتاب الحضارم والأجانب بهذا التاريخ وأنها نقلت بعض الأبحاث المقدمة للندوات والورش والمؤتمرات العلمية وهذا في حد ذاته مادة غزيرة نعتز بها.

ثالثاً: الاهتمام بنتاجات الأدباء والشعراء.

رابعاً: توثيق المعالم التاريخية والأثرية والمعمارية في حضرموت وتوثيق ذاكرة حضرموت البحرية والبنائية وكذا الأماكن واللهجة الحضرمية والمعالم ومواقع المدن والبلدان وتقاليدها وأهم معالمها التاريخية من قصور ومبانٍ.

خامساً: المساهمة في إيضاح دور الحضارم في المهجر وهو مايعزز الترابط بين الداخل والمهجر من خلال هذه المجلة وإبراز كتابات المستشرقين والرحالة الأجانب عن حضرموت.

سادساً: خصَّصت المجلة ملفات لبعض الموضوعات فقد استطعنا أن نرصد عدداً من الملفات في إصدارات أعداد المجلة، مثل العدد (٨) وإجراء الحوارات والمقابلات مع شخصيات اعتبارية مهمة وفي مجالات متعددة.

سابعاً: إبراز نشاطات المركز إعلامياً.

ثامناً: وجود عناوين وأعمدة ثابتة في المجلة مثل أضواء، دراسات، ترجمة، نقد، نقاش، شخصيات، كتابات، إبداع.

تاسعاً: إتاحة المجال لعدد من الأساتذة للكتابة في المجلة.

عاشراً: نرى أن أمام المجلة في نشاطها القادم تنشيط ذاكرة حضرموت في مجال التربية والتعليم.

• الأستاذ عبدالقادر بصعر:



- أقترح إضافة باب بعنوان (لغتنا الجميلة) بإشراف الدكتور عبدالله صالح بابعير وأقترح إضافة ركن عن العلوم بإشراف الأستاذ الدكتور سالم عوض رموضة.
- نشيد بالمجلة في انتظام إصدارها فبعض المجلات الفصلية في بلادنا يتم إصدارها نصف سنوياً أو سنوياً.
- الاهتمام بتوزيع المجلة في الداخل والخارج، والجامعات والمراكز العلمية والثقافية والمكتبات العامة.
- الاشتراك من قبل المؤسسات الحكومية وخاصة الثقافية منها لشراء المجلة بسعر تشجيعي دعماً لها.

وأيضاً للمشتركين في الخارج من مؤسسات وأفراد بالدولار.

• د. وجدي باوزير
إعلامي أكاديمي:



– **أولاً:** أقترح أن تهتم المجلة بجذب القارئ من قطاع الشباب بالصورة التي تراها مناسبة.

– **ثانياً:** أيضاً يسعدنا أن المجلة اهتمت في أغلب موضوعاتها بثقافة المجتمع.

– **ثالثاً:** نلاحظ انحسار كتابة المرأة المثقفة في المجلة.

– **رابعاً:** أقترح زيادة المواضيع المترجمة من اللغات الأجنبية إلى العربية وعدم الاكتفاء بموضوع واحد ينشر.

• الأستاذ عبدالعزيز بامحسون
صحفي ورئيس تحرير:



١ – تعاني المجلة من نقص في الحوارات الصحفية مع أبرز الشخصيات الحضرمية في الداخل والخارج.

٢ – تخلو المجلة من الاستطلاعات للتعريف بمدن وبلدان حضرموت ساحلها ووديها.

نتساءل عن توقف إصدار المجلة ورقياً.

• عبدالله حسن - إعلامي:

– يا حبذا لو يكون أعضاء هيئة التحرير في صفحة ومحتويات العدد في صفحة أخرى.

– للأسف بعض صفحات المجلة يغلب على إخراجها وتصميمها الطابع القديم مثلاً الصفحة التي حملت اسم (عبدالرزاق قرنح) للدكتور عبدالقادر باعيسى ترويسة الصفحتين واللون الأخضر فيها بالإضافة إلى أوراق الشجرة كان المخرج غير موفق فيها إطلاقاً لأن اللون والرسومات المرافقة للتصميم بعيدة عن مضمون ومحتوى المادة.

– الصفحة رقم (٦) ومحتواها الذي هو عبارة عن تقرير عن زيارة الأستاذ محمد سالم بن علي جابر إلى حضرموت كان نمط الإخراج فيها خاطئ ولم يوفق فيها المخرج الفني لأن طريقة إخراج صفحات الأخبار تختلف عن طريقة إخراج باقي صفحات المجلة على سبيل المثال من غير المعقول أن يكون نص مقدمة التقرير أصغر من حجم النص المستخدم في المادة.. يفترض أن يكون العكس أن تكون مقدمة التقرير بخط أكبر من الخط الذي استخدمه المخرج.

– طريقة إخراج صفحات الأخبار لم يوفق فيها المخرج لأنه مثلما أسلفت (طريقة إخراج صفحات الأخبار تختلف عن طريقة إخراج باقي صفحات المجلة).

– الصفحة رقم ١٥ من العدد الأخير حملت عنوان (العناصر الوظيفية لمدينة شبام) لم يوفق المخرج في طريقة إخراج (عنوان ومقدمة) الموضوع بل وضع لها مربعاً ملوناً وهو ما لاحظته في باقي مواضيع المجلة وهي طريقة إخراج قديمة لا تتواكب مع تقنيات وفنيات الإخراج الصحفي الجديدة.

– أتمنى التركيز على الصور والاهتمام بجودتها ودقتها وخصوصاً الصور الشخصية وطريقة إخراجها ووضعها في بداية الصفحات.

– ختاماً... تقنيات وفنيات الإخراج الصحفي تتطور بشكل متسارع ولذا يجب على المخرج الصحفي مواكبة ذلك التطور وعكسه على الواقع من خلال تغيير نمط إخراجه حتى لا يشعر القارئ بالملل من تكرار التصميم.

• د. أحمد المنصوري

إعلامي أكاديمي:

ملاحظاتي حول المجلة ممكن عرضها فيما يلي:

١. لا تظهر هوية المجلة البصرية.

٢. اختلاف الخطوط من صفحة إلى أخرى وعدم الالتزام بالخطوط المعروفة في تصميم المجلات.

٣. المجلة تهتم بالثقافة إلا أن موضوعاتها تاريخية حضارية.

٥. المجلة لا تحتوي على الأشكال الصحفية لذلك لابد من تعديل التبويب.

٦. التبويب يحتاج تعديل ليشمل جميع مجالات الثقافة واقترح ما يلي:

- تقارير وأخبار ثقافية.
- قضايا ثقافية (مقالات ومقابلات وأحاديث).
- قصة كتاب.
- شخصيات حضرمية.
- النقد والأدب والشعر.
- حضرموت في كتب الرحالة.
- مشاركات القراء.

٧. توسيع جمهور القراء من النخبة إلى الجمهور العام.

٨. قطع المجلة ليس بالكبير ٢٨×٤٠ وليس بالعادي ٢٠×٢٨ وإنما من النوع المسطح ٢٥ ×٣٥ سم حيث يمكن تقسيم الصفحة فيه إلى ثلاثة أعمدة وفي هذه المجلة عمودان مما زاد من مساحة الهوامش والمساحة البيضاء.

وأقترح أن يكون حجم المجلة الحجم العادي.

٩. الهامش السفلي أصغر من الهامش العلوي والأصل العكس.

١٠. عدم الاعتناء بالعناية الفرعية في مختلف الموضوعات.

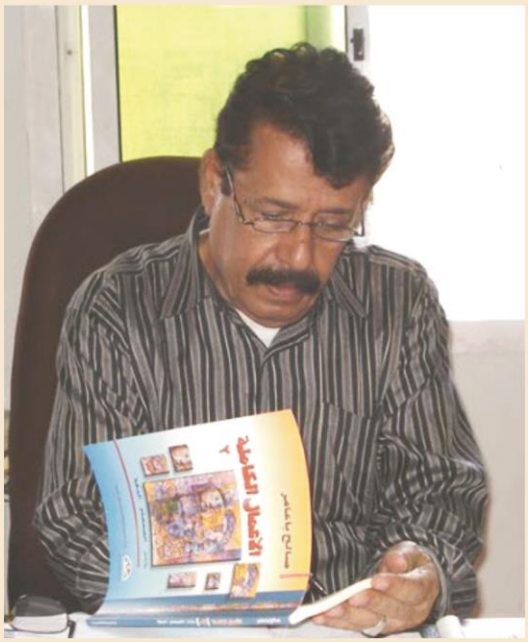
١١. عدم استغلال بطن الغلاف الأمامي والأخير.

١٢. لا يوجد اتساع بين غلاف المجلة الأول والأخير خصوصاً في وحدة أرضية الغلاف.

١٣. أقترح لون البيانات الخاصة بالجملة يختلف عن لون عنوان المجلة.

• الأستاذ صالح باعامر

رئيس تحرير سابق:



مقترحات لـ(حضرموت الثقافية):

- أن يكون الاسم (حضرموت) حسب.
- أن تعنى بشؤون وقضايا ومشكلات حضرموت بشكل خاص.
- أن تجمع بين التخصص العلمي والفكري والاقتصادي والتجاري بكل أطيافه.
- الاعتناء بالثروات المعدنية لحضرموت.
- أن تفتح نوافذ على المهجر الحضرمي.
- أن تتبنى جوائز علمية وأدبية وفكرية وثقافية.
- ألا يكون الشكل على حساب المحتوى.
- أن تعتني المجلة بالتراث غير المادي لحضرموت.

نجل اللواء بن سميدع
(فائز صالح بن سميدع)
في حوار مع مجلة (حضرموت الثقافية)



في شهر فبراير من عام ١٩٧٣م استشهد اللواء صالح يسلم بن سميدع، وبعد مرور خمسين عاما على هذه الحادثة، وفي إطار اهتمام مجلة (حضرموت الثقافية) بالتاريخ الحضرمي بما فيه التاريخ المعاصر، ارتأت المجلة إجراء هذا الحوار مع نجله (فائز) الذي عمل سائقاً لسيارة أبيه مدة من الزمن، واطلع على مجريات بعض اللقاءات التي كانت تتم بين والده وبعض الشخصيات السياسية والعسكرية لاسيما تلك اللقاءات التي كانت تتم في بيت الأسرة، وما تلا ذلك من أحداث حتى استشهاده.



حاوره/
صالح حسين الفردي

23
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

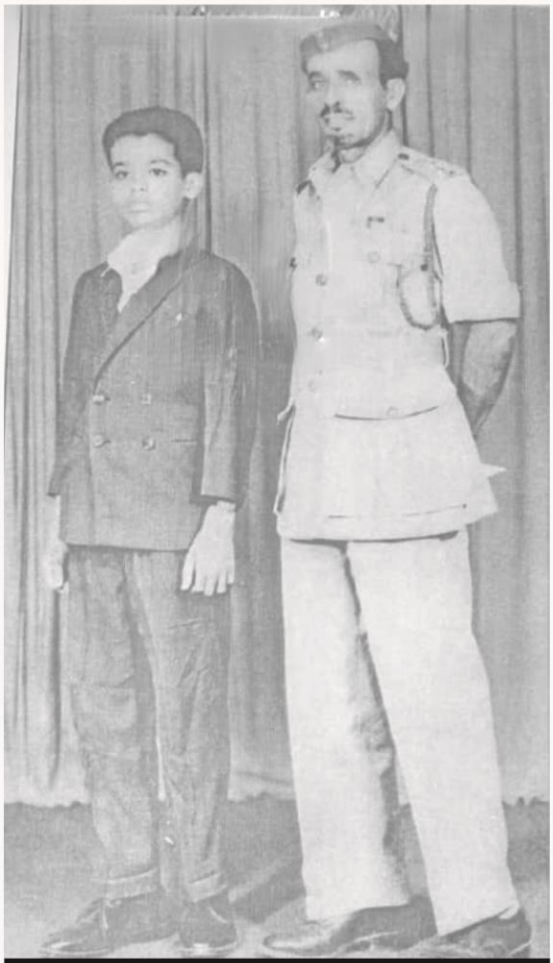
• خمسون عاماً مضت على رحيل اللواء صالح بن سميدع قائد الجيش الحضرمي في زمن الدولة القعيطية، وأحد العلامات المضيئة في شرف العسكرية الحضرمية في العصر الحديث، يسرنا في مجلة (حضرموت الثقافية) أن نستعيد سيرة حياته التي لم تزل بحاجة إلى إضاءات لكل الأجيال الحضرمية، من خلال النبش في ذاكرة ابنه (فائز)، والبداية لابد لنا وللقراء الكرام من أن ننطلق من تلك البدايات التي تدّرج فيها اللواء صالح بن سميدع -يرحمه الله- طفلاً وفتى وشاباً؟!

- في البداية أشكركم جزيل الشكر لما تبذلونه من جهود لإبراز الدور الريادي لحضرموت ثقافياً وتاريخياً وسياسياً، حضرموت التي أهمل تاريخها عن قصد.

وأنا متابع لمجلتكم منذ صدور العدد الأول وأحتفظ بأغلب الأعداد لما فيها من فائدة قيمة، كما أشكركم لمتابعتكم تاريخ والدي الشهيد اللواء الركن صالح يسلم بن سميدع الذي هو جزء من تاريخ حضرموت الحديث وأفتخر بأن يكون أول حديث عنه لمجلتكم الغراء لما لها من مكانه في قلبي وسبق لعدة صحف وقنوات طلبوا التواصل معي لكن كنت أعتذر، واليوم وهي مناسبة غالية عندنا نحتفل بها كل عام ذكرى استشهاد هذا القائد الفذ.

• بلا شك أن البيئة البدوية التي ولد وترعرع فيها اللواء (ابن سميدع) كانت ظاهرة في كل مراحل عمره، التي اتسمت بالسماحة والكرم والاعتزاز والأنفة والكبرياء والشمم، وهي سمات ألقت بظلالها على مسيرة حياته التعليمية والعسكرية، فهل لك أن تضعنا وهذه السنوات التي منها انطلق وتتدرج في سلك العسكرية حتى أصبح الرجل الأول في قيادة الجيش الحضرمي حتى لحظة الرحيل؟

- الوالد من مواليد عام ١٩١١م قرية الشمرية صوط آل علي وينتمي إلى قبيلة نعمان الشهيرة تربى في ظروف بدوية شاقة كان وحيد والده عاش حياة البداوة الجلفة في ظروف صعبة وكانت المنطقة تمزقها الحروب والثارات، رعى الأغنام



القائد صالح يسلم بن سميدع
برفقة ابنه فائز صالح في عدن عام ١٩٦٣م

وعاش مع الجمال والزراعة، أخذه والده وهو في سن الثامنة تقريباً إلى المكلا لغرض السفر إلى الخارج وعندما وصل المكلا لم يجد عبرة (مواصلات) للسعودية إنما للسودان، حيث يوجد العديد من أقاربنا خاصة أهل سهوة وادي رخية وقد درس الابتدائية في السودان ووالده يعمل ولكن الوالد توفي بعد فترة وقرر أقاربه إرساله للسعودية حيث المجالات أكثر وهناك العديد من أقاربه فيها، سكن سنوات بالسعودية يعمل في البيوت ويواصل دراسته كان مجتهداً ومحباً للتعليم وبعد فترة عزم بعض جماعته على السفر إلى جاوه وكان منهم وعمل في جاوه في بيع الملابس في الأرياف لكنه لم يقتنع بذلك فقد كان طموحه أكثر وعندما سمع بالهند سافر إلى هناك وعمل في قوات جيش حيدر أباد وكان ذكياً ومجتهداً مما أهله لأخذ دورات عسكرية،

وعندما سمع به السلطان صالح رحمه الله طلب منه الخروج لحضرموت وضمه للجيش النظامي هناك، كان السلطان صالح بعيد النظر ويريد تحديث الدولة والجيش ووجد في بن سميدع ضالته، ولبى بن سميدع نداء وطنه وحزم أمره للخروج حاملاً توصية السلطان صالح لابنه عوض بالمكلا، وقد وصل بن سميدع إليها في أجواء عام ١٩٣٥م، ولم يكن يعرف أحداً وليس له سابق معرفة بالمكلا ولكن ذكاؤه ونباهته جعلته رقماً صعباً في نهاية المطاف.

انضم للجيش النظامي برتبة ملازم كان رياضيًا وذكيًا مما لفت إليه الأنظار وكان جيش النظام يديره ضباط هنود وأردنيون أما الحضارم إما كانوا كباراً في السن أو ليس لديهم الإلمام التام بالضبط والربط العسكري مما جعله يتقدم في الرتب ويتأهل لعدة دورات عسكرية في عدن وغيرها وأثبت جدارته وتفوقه الكبير.

في المكلا تزوج عند الشيخ عبدالله بامقبل العكبري وهو شخصية بارزة في المكلا وكان من بُعد نظره من هذا الزواج يريد تثبيتاً لأقدامه وإقامة أسرة، لكن الزواج لم يدم طويلاً عندما توفيت زوجته وهي في حالة ولادة واختارها الله، كان بن سميدع قد أقام علاقات جيدة بالمكلا وأصبح معروفاً وكان ينجح في مهام توكل إليه وقد أصيب في معارك الحموم منطقة بلس وعاد للمكلا وكان عمه العكبري الطبيب المعالج له كانت إصابته بالغة لكن الله سلمه. ثم انتقل للشحر لإنشاء قوة خاصة سميت حرس الخط والسبيل لتأمين الطريق الشرقية والمشقاص ونجح في المهمة، ثم أسهم في إنشاء الفرقة الموسيقية السلطانية وأشرف عليها كما ذكر ذلك الضابط التوي الذي كان من أوائل منتسبي الفرقة.

ووصل إلى رتبة قائد للجيش النظامي بعد أن شارك في استقبال ملكة بريطانيا في عدن على رأس فرقة من الجيش النظامي وأنهى دورة عسكرية في عدن وخاض العديد من المعارك لتوطيد الأمن والاستقرار بحضرموت.



القائد صالح بن سميدع (قائد الجيش النظامي)، والأمير غالب بن عوض القعيطي، ووكيل قائد دسوندي خان (رئيس الفرقة الموسيقية السلطانية)

تزوج عند الشيخ عبود عوض الكثيري خلال تلك الفترة وهي الزوجة التي أنجبت له من الأطفال ٣ أبناء وبنتين وعاشت معه الحلو والمر حتى النهاية.

• مثّل اللواء – ولم يزل – نموذجاً عسكرياً فذّاً، واستطاع أن يؤسس لقوات عسكرية تميّزت بالجدّية والانضباط والاحترافية في المنتصف الثاني من القرن العشرين، وصار مضرباً للمثل على مستوى الجزيرة والخليج، هل لك أن تضعنا ومراحل تطوره في الجندية حتى بلوغه قمتها على مستوى حضرموت؟!

– تعرف يا عزيزي أنه ثاني من يصل لرتبة لواء في المنطقة العربية بعد اللواء محمد نجيب قائد الثورة المصرية وهذا يكفي فخراً له ولنا ولحضرموت فقد تنقل في الرتب العسكرية من جندي إلى ضابط وقائد وكولونيل وسكرتير حربي ثم إلى لواء لم يصل لهذه الرتبة عشوائياً بل تدرج بالرتب ونال العديد من الدورات العسكرية حتى في لندن عندما وجدوا أمامهم شخصية بهذه الرتبة العالية والتأهيل العالي.

25
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

• إن ما حفظه الأرشيف العسكري من صور للواء صالح بن سميدع يؤكد على تأثيره الطاغي على الشق العسكري، وكذلك حضوره الكبير على المستويين القبلي والمدني، ماذا علق بذاكرتك حتى اللحظة من هذه التفاصيل لعلاقاته العميقة في كل هذه الجوانب الحياتية؟

– كان الوالد لديه علاقات واسعة بالعديد من قبائل حضرموت ومقادمتها بحكم عمله الأمني وكان كثير الوصول لمناطقهم النائية عبر الدوريات التي كان يقوم بها باستمرار وكان يهتم بقضاياهم ومشاريعهم من مياه ومدارس وخدمات وبذل جهوداً كبيرة لإقناعهم بإدخال أولادهم المدارس والمؤسسات العسكرية فقد أسهم في تأسيس مدارس أبناء وبنات البادية وتولى قيادتها لفترة ونجح في إقناع البادية بدخول المدارس وأصبحت تلك المدرسة مصنعاً للرجال ورافداً للدولة بالكوادر المؤهلة بنين وبنات كما ارتبط اسمه بمدارس البادية وتخرجت أجيال منها وكذلك كان له تأثير في تسوية المشاكل بين القبائل وبحكم كوني كنت مرافقاً له في أغلب زياراته للداخل شاهدت مدى التقدير والاحترام له من كافة شرائح المجتمع، كما لعب أدواراً كبيرة مع الأندية الرياضية وأسهم في تأسيس الجمعية الرياضية الحضرمية وتولى رئاستها وعضويتها لمدة من الزمن.

كما أسهم في توطين المنكوبين العائدين من شرق أفريقيا والصومال والهند وكان أول المستقبلين لهم واستخرج من الدولة مخطط جول الشفاء لبناء مساكن لهم، وهو أول من أقام الزواج الجماعي بحضرموت بمساعدة المقدم حمد سعيد الجوهي والمقدم مانع باذياب العوبثاني وأصبح ذلك تقليداً وأيضا أسهم في بناء العديد في المساجد والمدارس في كافة مناطق حضرموت ومشاريع المياه في المناطق البدوية وله دور في شق عقبة شتنه التي تربط دوعن بالمكلا وذلك بدعم المعلم بن لادن.

وقد ارتبط بعلاقات حميمة مع المقدم بن حبريش والمقدم بانهيم وهم من أبرز القيادات القبلية آنذاك بعد أن خاض معارك ضارية معهم بل أصيب في معركة حرو بلس مع الحموم وأصبحوا أصدقاء بعد ذلك.

وأيضاً له علاقات جيدة مع الحكم بن عجاج وبن عيشان زعماء نهد.

• السلطان غالب بن عوض بن صالح القعيطي آخر سلاطين الدولة القعيطية، أشار في حديث لمجلة حضرموت الثقافية، إلى أن اللواء صالح بن يسلم بن سميدع يعد الشخصية المثالية للحضرمي الذكي والحاذق والمغامر، فهل لك أن تقف عند هذه الكلمات الثلاث لتسبر للقراء عمق معانيها وما أراد لها السلطان أن تقول باختصار عميق؟

– في البداية أود أن أتوجه بالشكر والتقدير للسلطان غالب بن عوض القعيطي لما ذكره في مقابلته معكم في مجلة حضرموت الثقافية عن والدنا رحمه الله وإن دل هذا على شيء فهو يدل على عمق العلاقة الوطيدة بينهما فهو من جيلنا ولعبنا كرة القدم مع بعض وكنا أصدقاء مع أخي محفوظ رحمه الله ونكن له كل التقدير والاحترام ولأخيه عمر وكان والدنا إذا ذكر السلطان صالح بن غالب رحمهم الله يعتبره مثله الأعلى فالوالد أول من لبى نداء السلطان صالح في الهند



اللواء صالح بن يسلم بن سميدع
مع طلاب مدرسة البادية في الستينيات من القرن الماضي

عندما دعا الحضارم للعودة والمشاركة في بناء الوطن كما سبق أن ذكرت لك، وقد لقي من الأسرة القعيطية كل الوفاء والمحبة وظل محافظاً عليها حتى يوم استشهاده كان دائماً يقول إن هذه أمانة في أعناقنا للدولة القعيطية وقد سمعته يقول مع بدر الكسادي أيام تسليم السلطنة إنها أمنا ولن نخون أو نتهاون وبالفعل صمدوا صمود الجبال لكن الرياح أتت بما لا تشتهي سفنهم وكانت المؤامرة أكبر من الجميع.



اللواء صالح بن يسلم بن سميدع
بمعية السيد/ أحمد العطاس وزير الدولة القعيطية يتفقد جيش النظام

أما عن وصف السلطان للوالد بالذكي والحاذق والمغامر فقد لخص السلطان شخصية الوالد بهذه الكلمات الثلاث التي لا تأتي إلا من رجل واعٍ يعرف بواطن الأمور فله كل التحية وتمنياتنا له بطول العمر والعافية وكان الوالد يأمل في عهد السلطان غالب الجديد كل الخير لحضرموت لما اتصف به هذا السلطان من نباهة وذكاء وما تحصل عليه من تعليم وكانت بداياته موفقة من خلال جولاته الميدانية في الدوائر والألوية والأقاليم التي كان الوالد مرافقه فيها وكان السلطان يحب استشاراته فيها.

• هناك كذلك ما حفظه الأرشيف من صور لزيارته إلى بريطانيا وجولاته المتنوعة في مصانع التسليح للحكومة البريطانية، فهل كانت مثل هذه الزيارة تشير إلى حرصه الشديد على متابعة الجديد في عالم التسليح، وسعيه الحديث لتطوير القدرات الدفاعية للجيش الحضرمي؟

– منذ توليه قيادة جيش النظام ثم القيادة العامة للقوات المسلحة وهو يسعى لتطوير قدرات المؤسسة العسكرية ابتداءً من بناء الجندي الشجاع الوطني النزيه من خلال نشر التعليم ومحو أمية الجنود وقيام الدورات العسكرية والمناورات الحربية ونشر القيم الدينية السمحاء وتوفير السكن المناسب من خلال بناء مساكن الجنود والضباط وتأمين احتياجاتهم العائلية لخلق الاستقرار الاجتماعي، ثم السعي للبحث عن مصادر للأسلحة وتطويرها وجاءت زيارته إلى بريطانيا للاطلاع على كل جديد في عالم التسليح ورفد القوات المسلحة بها وتطوير قدراتها الدفاعية، حتى أصبحت من أقوى جيوش المنطقة تسليحاً وتدريباً حتى إن السلطان غالب بعد توليه الحكم طلب منه إعداد خطة دفاعية عن حضرموت من الجهة الغربية وتقديم الأفكار والخطط وقد أعد جزءاً منها لكن الأحداث عصفت بالبلاد، وهذا يدل على حنكة السلطان غالب حفظه الله كما بذل الوالد جهوداً كبيرة في سبيل ضم العديد من الضباط الحضارمة خريجي المعاهد العسكرية في مصر مثلا الكلالي وباعباد وباوزير وكعيتي والكسادي وكان له ما أراد لأنه شعر بأنهم دماء جديدة للجيش ويستحقون. وفي عهده كانت القوات المسلحة قمة في الانضباط ويتحلى منتسبوها بالرجولة والأخلاق.

• في سنوات قيادته للجيش الحضرمي، شهدت حضرموت والسلطنة القعيطية العديد من الأحداث، خاصة فيما عرف بحادثة القصر في ٢٧ ديسمبر ١٩٥٠م، وكذلك في ظل الصراعات التي كانت تنشأ بين السلطة المركزية في المكلا والبدو في المناطق الريفية، كما حدث في حرب المدحر كما عرف في التاريخ الحديث، كيف كان يتعامل مع مثل هذه الأحداث، وبماذا كان يحدثكم عنها في سنوات عمره الأخيرة؟

– كان رحمه الله عسكريًا من الطراز الأول لا يتخاذل في أداء عمله ومهامه وهمه الأول الأخير حفظ الأمن والاستقرار والحفاظ على المواطن وأملاكه لكونه المسؤول الأول عن الأمن في البلاد وكانت التقطعات في الطرق همه الأول ولا يرضى أي إعاقة للمواطن وللحركة وكان يقف إلى صف البدو ومطالبهم العادلة كونه واحدا منهم لكنه لا يرضى بأي إخلال بالأمن وقد كان يتحرك شخصيا لحل أي إشكالات هنا وهناك وخاض العديد من المعارك مع الحموم وسيبان والخامعة لكنه ارتبط بعلاقات وطيدة مع مقادمتهم وعقالهم خاصة بن حبريش وبانهيم وكانت الثقة متبادلة كونهم لا يعرفون من الدولة سوى بن سميدع الذي يوجد دائماً بينهم ولم أرَ الحزن يكتسي ملامحه إلى يوم معركة المدحر وما حدث للجيش من خسائر لسوء تقديرات القادة مما اضطره للخروج ثاني يوم لميدان المعركة حتى انتهائها. ثم سعى عند السلطان في العفو عن المحكومين من البدو بعد محاكمتهم.

أما حادثة القصر رغم ما احتواها من ملابسات وتحوير فقد حدثني شخصيا عنها في عام ١٩٦٤م وبعد خروجه من السجن عام ١٩٧١م قال لي وصلته إشارة أن يوم غد ستكون مظاهرة وعليك وضع الجيش في حالة استعداد في معسكراتهم وتم ذلك وكان أول الواصلين للقصر قبل التظاهر بنفسه وعند وصول المظاهرة صدر له الأمر بإحضار الجيش فخرج وسط الناس إلى الرزميت وأحضر فئة (٣٠ جندياً) ووجد سدة المكلا مغلقة فتسلق بجنوده سور المستشارية ووضع الجنود هناك ودخل القصر مع (١٤ جندياً) فقط وشق طريقه بصعوبة وسط الحشود لكن ضاع الجند وسط الناس وبدأوا في مهاجمة القصر فعاد للمستشارية وأحضر البقية وكانت الحشود تملأ الساحة فشق طريقه بصعوبة بالغة وعند اقترابه من القصر هاجمه مواطن يدعي سعيد صانه بسكين حاول أن يتفاداه بمساعدة المقدم بوعسكر وكان الجنود وراءه صفاً واحداً وسط الناس وكان الجندي محمد بارباح الديني وراءه مباشرة عند رأى مهاجمة قائده حط على ركبه وضبط البندق حقه لكن القائد راح يصيح لا لا تضرب (هذه القصة رواها لي شخصياً الجندي بارباح عام ١٩٧٣م في الضليعة) لكن الناس أطبقوا على الجنود وأخذوا بنادقهم وانفلت الموقف وبدأ إطلاق النار وناس تصيح لا تخافوا الضرب في الهواء عسكر بن سميدع ما يسوون ربية ثم اختلط الحابل بالنابل يقول



الراحل الملك فيصل بن عبدالعزيز يستقبل وفد حضرموت الذي قدم التهنئة له بمناسبة توليه مقاليد الحكم برئاسة وزير الدولة أحمد العطاس (بمثابة رئيس وزراء السلطنة)، والنائب بدر الكسادي نائب لواء المكلا، والسكرتير الحربي الجنرال صالح بن سميدع (بمثابة وزير الدفاع بالسلطنة).

الوالد ما قدرت أعمل شيء ما تعرف الجندي من المواطن وإطلاق النار من أماكن مختلفة. فتفرق الناس ولم يبق إلا القتلى والجرحى. وقد قدمت إلى لجنة تحقيق بعد الحادثة مباشرة ولم يثبت شيء علي كان يقول لنا دائم ثقوا أن يدي لم تلوث بدم أو بمال حرام.

أنا شخصياً التقيت مع سعيد صانة كان يركب معي في سيارتي التاكسي يقول لي يا بوصالح كان غشم وطيش وربي سلم كنت بقتل أبوك مانا عارف كيف لولا المقدم بوعسكر المهم ربك سلمنا وتعرف أن أبوك بعد ذلك بسنين وجدنا محجوز في شرطة المكلا على مضرابه وخرجنا وقال لي خليك عاقل أنا أحب أبوك مثل والدي.

• هل تستطيع أن تضعنا عند تحركاته ومحاولاته المستميتة في الأيام الأخيرة لعدم سقوط المكلا بيد ثوار الجبهة القومية في السابع عشر من سبتمبر من العام ١٩٦٧م؟

- يا عزيزي النصف الأخير من عام ١٩٦٧م تسارعت فيه الأحداث مما يوحي أن هناك قوى بدأت تنسج الخطوات القادمة لحضرموت بداية من إرغام السلاطين على الذهاب إلى جنيف لإجراء مشاورات مع بريطانيا وهذا بداية (الفيلم) البريطاني فبعد أن أوكل السلطان غالب إدارة البلاد إلى لجنة الطوارئ وغادر إلى جنيف وصل مساعد المستشار البريطاني الميجر جونستون إلى منزلنا والتقى بالوالد على عجل ليخبره أن البريطانيين مغادرين الليلة إلى الريان للتجمع والمغادرة لعدن قائلاً: "جنرال سميدع نحن مغادرون حضرموت حسب الأوامر وأنت صديقي حبيت أخبرك" فاستشاط الوالد غضباً قائلاً له: "لن نسمح لكم بالمغادرة المفاجئة هذه مهما كانت الأسباب وأقول لك إن الغدر طبعكم" فضحك جونستون قائلاً: لا لا نحن أصدقاء لكن هذه أوامر قيادتنا، قال له الوالد لدينا أمور كثيرة يجب تسويتها والسلطان غائب عن البلد وجيش البادية كيف وضعه وحقوقه.؟ قال له جيش البادية جزء من قواتكم وأموره المالية تم تسويتها مع قيادة الجيش وسوف أبعث لك قائد الجيش الجوهي ليوضح لك ذلك.. ثم ضحك مرة أخرى قائلاً يا جنرال سميدع السياسة هكذا لن نغادر حتى تتفاهم مع الجوهي قال له الوالد أوكي. جرى كل ذلك الحديث وأنا واقف جنب الوالد. بالفعل وصل الجوهي بعد ساعة والمنهالي وأكد للوالد أن أمور جيش البادية تمت تسويتها وأنهم من اليوم جزء من القوات الحضرمية وغادر جونستون والوالد يردد: "الانجليز خباث مالهم أمان". كانت العلاقة الشخصية بين الوالد وجونستون جيدة جداً. بعد ذلك بأيام وصلت الوالد معلومات أن أعضاء من الجبهة القومية يجرون حوارات مع بعض القيادات العسكرية لغرض تسليم السلطة. ومن جانبه أجرى الوالد لقاءات مع عدد من الضباط المقربين منه ومن بدر الكسادي لمواجهة الموقف وانتظار ما تأتي به الأيام. وقد وصل القادة مع الجهة القومية إلى طريق مسدود عندما

> "وصل مساعد المستشار البريطاني الميجر جونستون إلى منزلنا والتقى بالوالد على عجل ليخبره أن البريطانيين سيغادرون الليلة إلى الريان للتجمع والمغادرة إلى عدن قائلاً: جنرال سميدع نحن سنغادر حضرموت حسب الأوامر وأنت صديقي حبيت أخبرك، فاستشاط الوالد غضباً قائلاً له: الغدر طبعكم"

أصر القادة للرجوع إلى السكرتير الحربي القائد العام بن سميدع وأنهم لن يقدموا على أي خطوة دون الرجوع إليه. وقد وافق أعضاء الجبهة القومية على مضض. رجعوا إلى بن سميدع وعقدت لقاءات في بيتنا مع القادة وبعض أعضاء الجبهة القومية منهم خالد عبدالعزيز وسعيد العكبري وسالم علي الكندي والوالد وبدر الكسادي. كانوا يسحبون الوقت وأعضاء الجبهة يستعجلون الأمور ثم انفجر الوضع في حجر وتمت محاصرة نائب اللواء بن حطبين ووصلت منه برقيات استغاثة واجتمع القادة العسكريون برئاسة الوالد وأقروا إرسال قوة عسكرية لإنقاذ الموقف في حجر. ولأن طريق بروم كان مغلقاً فقد تم الترتيب لإرسال القوة العسكرية عبر ريدة الدين، وكانت القوة مكونة من جيش النظام والشرطة المسلحة وجيش البادية ومعززة بمصفحتين وهنا بدأ الخلل جيش البادية اعتذر بحجة أن فرقة المصفحات رفضوا الأوامر وإذا بتتحرك القوة تكون من قوات القعيطي.. هنا أحس الوالد بأن السوس بدأ ينخر في العظم وأن الأمور باتفلت لهذا اقترح عقد اجتماع على القادة والضباط في منزله لاتخاذ قرار موحد. وكل ما يتم عليه العمل، حاول وفد الجبهة القومية التملص وأحس أن هناك أموراً تدبر بليل. لكن

> "وصل الجوهي والمنهالي وأكدوا للوالد أن أمور جيش البادية تمت تسويتها وأنهم من اليوم جزء من القوات الحضرمية، وغادر جونستون والوالد يردد: الإنجليز خباث ما لهم أمان"

> "أحس الوالد بأن السوس بدأ ينخر في العظم، وأن الأمور باتفلت، لهذا اقترح عقد اجتماع بالضباط والقادة في منزله لاتخاذ قرار موحد، حاول وفد الجبهة القومية التملص، فأحس الوالد أن هناك أمورًا تدبر بليل، وعقد الاجتماع وانقسم الجميع نصف مع تسليم السلطة للجبهة القومية والنصف الآخر اقترح التأجيل حتى يتبلور اجتماع القاهرة بين الفصائل"

الاجتماع عقد وانقسم الجميع نصف مع التسليم والآخر اقترح التأجيل حتى يتبلور اجتماع القاهرة بين الفصائل بعدها لكل حادث حديث. وتم الاتفاق على ذلك وكان ما يتمناه الوالد ورفاقه هو التسويف على أمل تأتي انفراجة من الخارج. ثم أعدت القيادة العامة للقوات المسلحة بيانا رسمياً بذلك. بعد هذا الاجتماع حدث شرخ في الجيش هدد بصدام داخلي. واستمرت المشاورات في بيتنا الذي وصله العديد من القادة والضباط والعقلاء والمشايخ وعدد من أعضاء القيادة القومية المقربين للوالد وبينه وبينهم احترام متبادل خاصة الكندي والعكبري وقد يكون للانتماء البدوي دور في ذلك.

في بداية سبتمبر ١٩٦٧م كانت الأجواء متوترة والمكلا تبيت على خبر وتصبح على آخر كان الاتفاق الأخير أن يتم تسليم السلطة أواخر سبتمبر ويتم التقاسم بين الجيش

والجبهة القومية. وتم توقيع اتفاق بين القادة العسكريين يوم ١٥/ ٩/ ٦٧م وصدر بيان الجيش ١٦/ ٩/ ٦٧م وجمدت الأمور حتى جاءت برقية السلطان يوم ١٦/ ٩/ ٦٧م بوصوله بالباخرة غداً ١٧/ ٩/ ٦٧م لتعيد الأمور إلى نقطة البداية. وفي عصر يوم ١٦/ ٩/ كنت في البيت عندما جاء سائق السكرتير الإداري بلعلا وسلمني رسالة للوالد سلمتها لوالدي وقرأها وعندها تبسم ابتسامة ماكرة سألته قال لي السلطان بكرة بايجي استعدوا لأي شيء.. لم أفهم ماذا يقصد في وقتها لكن عند الساعة الثالثة عصرا وصل مسلم بلعلا وبدر الكسادي استقبلهم الوالد وأنا معه أمام البيت كان بلعلا يحمل البرقية في يده سلمها مباشرة للوالد واتجهوا لداخل البيت سأل الوالد بلعلا حد شافها قال بلعلا نعم رويتها محمد عبدالقادر بافقيه التفت الوالد نحوه قائلاً خربتها يامسلم وبينما بدر الكسادي يضحك ودخلوا الغرفة وكان الوالد في قمة الغضب بعد نصف ساعة خرجوا وكان مسلم يقول أيش العمل الآن قال له الوالد جلس في بيتك وغادروا كان

> "حدث شرخ في جيش البادية الحضرمي هدد بصدام داخلي، واستمرت المشاورات في بيتنا الذي وصله عدد من القادة والضباط والعقلاء والمشايخ وعدد من أعضاء القيادة القومية المقربين للوالد، وبينه وبينهم احترام متبادل، خاصة الكندي والعكبري"

> "يوم ١٦/ ٩/ وعند الساعة الثالثة عصرًا وصل مسلم بلعلا وبدر الكسادي استقبلهم الوالد وأنا معه أمام البيت، كان بلعلا يحمل البرقية في يده، وسلمها مباشرة للوالد، واتجهوا إلى داخل البيت، سأل الوالد بلعلا: حد شافها، قال بلعلا: نعم، رويتها محمد عبدالقادر بافقيه، التفت الوالد نحوه قائلاً: خربتها يا مسلم"

مسلم بلعلا إدارياً أكثر مما هو سياسي هكذا عُرف، غادر مسلم بيتنا وبقي الكسادي فيه بعدها أرسل الوالد في طلب عدد من الضباط والشخصيات العامة إلى البيت توافدوا وعقد اجتماع معهم شرح لهم التفاصيل وكان البعض يميل للمواجهة قبل وصول السلطان مهما كانت الخسائر لكن الوالد قال لهم علينا الحفاظ على البلاد والعباد لا نريد سفك الدم. وفي أثناء المداولات وصل البيت الرئيس يوسف طالب الكثيري والرئيس أحمد نوح بارشيد اجتمعوا مع الوالد ساعة وخرجوا بعدها كانت الساعة ٥ عصراً طلع الوالد عند الوالدة قال لها جهزوا عفشكم باتسرون الصوط بعد المغرب سألته أنا ليش قال لي من الصباح انته جنبي وتسألنا ليش. المهم أرسل الوالد للعم يسلم صالح بن سميدع سائقه الخاص لإحضار ٢ سيارات أجرة لنقلنا للبلاد الساعة ٩ مساء سريعاً جهزنا عفشنا وفجأة وصل سعيد العكبري وسالم علي الكندي عضوا القيادة القومية

31
العدد (27)
يناير
مارس
2023م



اللواء صالح يسلم بن سميدع قائد الجيش النظامي الحضرمي وبجانبه المقدّم أحمد عبدالله بن طالب الكثيري (أفندي) رئيس الأركان

واجتمعوا حوالي نصف ساعة وغادروا المغرب كان يريدون منه الحضور للاجتماع النهائي لقيادتي الجيش والجبهة القومية في المباني الواقعة فوق حافة باسويد لكن الوالد اعتذر. وكان الطرف الآخر قد دعا قادة الجيش للاجتماع لبحث الأوضاع المستجدة وتسريع نقل السلطة وكان الاجتماع الساعة ٩ مساء وتم فيه توزيع المهام لتسليم السلطة وعودة السلطان، قد يكون أطلت وأسهبت في الرد لكن كان لابد من بعض التفاصيل كوني شاهد عيان لذلك الحدث-. عند الساعة ٩ مساء وصلت سيارتا أحمد عوض باضروس وعلي البطين وتم شحن عفشنا سريعاً كنا أسرة كبيرة تم توزيعنا ورافقنا العم يسلم بن سميدع و٢ جنود عيظة بن حيد وصالح باجحاو قبل تحركنا أمسكت يد الوالد قلت له ببقى معاك أو أنت قم روح معنا قال يا ولدي أنا عسكري بالميدان ما أعرف أيش بكرة أنتم بتروحون عند ربعنا في الأمان ما أنا فاضي لكم كان التأثر بادى على الجميع اقترب خالي محمد عبود الكثيري من الوالدة عندما ركبت السيارة وقال إيش عزمتوا ردت عليه الوالدة إيش نعمل صالح مصر علينا. أحست أنه هناك شيء كبير غداً المهم تحركنا، قال عمي يسلم صالح الله يهديه ما ندري إيش في رأسه ردت الوالدة كل ما نكلمه يقول ما يصيبك إلا ما قدر الله البلاد والناس أمانة في أعناقنا مابا نسيبهم.. في طريقنا للبلاد مرينا بمركز مولى مطر كان المسؤول سهل الشعملي أعطاه عمي يسلم رسالة له وأخرى للمقدم بانهيم يسلمها له سريعا ثم واصلنا سيرنا وصلنا الفجر ريدة الدين وعندها سلم عمي يسلم رسالة للمقدم بن قروان ثم وصلنا قريتنا الشمرية الساعة ٧:٣٠ صباحاً ١٧/ ٩/ ١٩٦٧م هناك وأدخلنا بيتنا.

وفي المكلا كان اجتماع القادة مع الجبهة القومية قرروا فيه إعادة السلطان أو ضرب الباخرة وإغراقها وتسليم السلطة للجبهة القومية بينما الوالد والجماعة قرروا التروي والحفاظ على وحدة البلد وعدم انزلاقها للدم.

• كيف تفسر بقاءه في مدينة المكلا، بعد سقوطها بيد الثوار، وعدم مغادرته أو محاولته الهروب، وإصراره على البقاء، حتى سارت الأمور إلى نهايات مؤلمة ومحزنة في آن معاً؟

- كان الوالد ورفيق دربه الكسادي من أبرز رجال السلطنة القعيطية وأقواهم شكيمة وكانوا يدينون بالولاء الشديد للسلطنة والسلطان وهمهم الحفاظ على الدولة ونظامها ومكتسباتها واستقرارها لا يخافون في الحق لومة لائم.

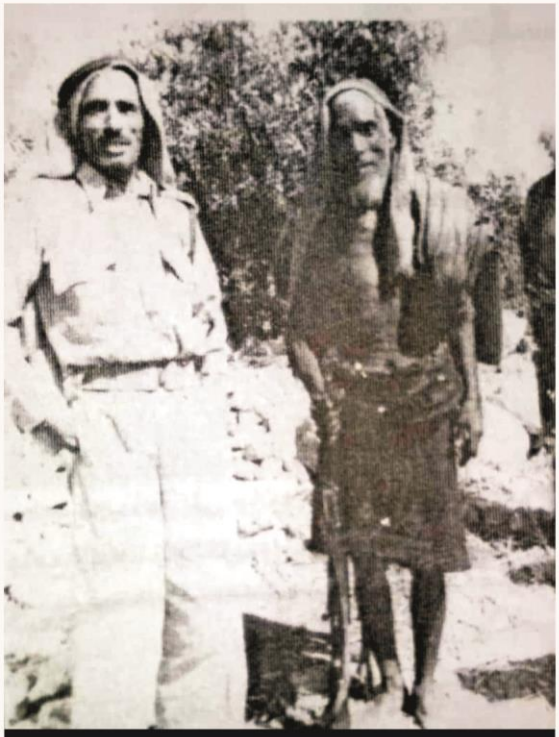
كانوا من أشد المعارضين لانتقال السلطة خوفاً من الانزلاق لحرب أهلية كان همهم الحفاظ على وحدة حضرموت وعدم حدوث شرخ. كانوا يملكون كاريزما خاصة وخبرة

وتمرساً ولم يشاركوا في سلطة ما بعد ١٧ سبتمبر التزموا بيوتهم حتى اعتقالهم أول مرة وثاني مرة. حكام الجبهة القومية في البداية احتاروا في تحديد مصيرهم بين القتل أو الاختطاف. ثم قرروا لهم الحل الأخير وهو إعدامهم. وفي مقابلة مع خالد باراس وهو من قادة الجبهة القومية- مع صحيفة صوت العمال ١٩٨٨م سُئل من كانت العناصر التي كان التنظيم يحسب لهم حساب؟ قال كان أخطرهم اللواء بن سميدع والنائب الكسادي.

أنا شخصياً قابلت سالم جبران سكرتير المحافظ في نهاية ٧٢م في مكتبه وقدمت له عريضة أن والدي معتقل من فترة وقد اعتقل عدة مرات وأفرج عنه والآن أعيد اعتقاله رد علي وقال والدك من ركائز الحكم الانجلو سلاطيني وله ارتباط بالرجعية العربية سوف يحاكم أمام محكمة الشعب. قال لي في مكتبه وأعاد لي العريضة وخرجت من مكتبه أنا الشاب العشريني في حالة ذهول ورجعت البيت قالت لي الوالدة إيش قال قلت لها ما قاله قالت الله يشتت شملهم وينكبهم يا رب وبالفعل نكبهم ربك وأعادهم إلى أحضان الرجعية والامبريالية يأكلون من فتات موائدها..

كان الوالد له علاقات جيدة مع كافة القبائل والمشايخ في حضرموت ويحظى بتقديرهم وهذا أيضاً كان من عوامل حقد القيادة الجديدة عليه بعد الإفراج عنه من السجن كان البيت يكتظ بالزوار وكان عندما ينزل للشارع يلتف حوله الكثير من معارفه ويسببون له حرجاً كبيراً وذلك حسب قوله سيثير عليه النظام وكان المخبرون يلتفون حول البيت على مدار ٢٤ ساعة ولم يجدوا أي ملاحظة عليه ولم يتمكنوا من اختطافه.

• لماذا وضع ثوار الجبهة القومية الوالد في قائمة الأكثر خطراً على التوجهات الثورية الجديدة، هو والنائب بدر الكسادي، وعندما أرادوا التخلص منهما استعانوا بالشارع وتلاميذ المدارس لتبرير عملية الإعدام؟



اللواء صالح بن يسلم بن سميدع، وعلى يساره المقدم سعيد بانهيم مقدّم قبيلة المراشدة إحدى قبائل سيبان

– كان رحمه الله واثقاً من نفسه ومن أعماله وكان يقول لنا من ثوبه طاهر صلى وكان مؤمناً بالله ولم يكن خائفاً من شيء، فسجله ناصع البياض وهو زاهد في السلطة ليس لديه أي طموح في العودة إليها كان يقول لنا إن وجوده بيننا نعمة من الله افتقدها فخلال سنوات عمله لا يجد الفرصة الكافية للجلوس مع عائلته وكان يمنى نفسه بالبقاء وسط أسرته فقط والدليل أنه بعد الاستيلاء على السلطة قدم استقالته وطلب إعفاءه من كافة مناصبه وسبق أن تقدم للسلطان غالب بطلب إعفائه عن العمل لكبر سنه ومعاناته من عدة أمراض. ولم يتوقع بعد الإفراج عنه الأخير أن يعاد اعتقاله فعندما ذهب إلى عدن وكنت برفقته التقينا بالأخ محمد علي هيثم رئيس الوزراء بوساطة القائد محمد سعيد الشنظوري اليافعي الذي سبق أن كان محافظا لحضرموت وهو من قادة الجيش الليوي وصديق للوالد وقال هيثم للوالد سنرتب لك عمل بالداخلية مستشاراً لكن الوالد رفض وبعدها نصحه هيثم بمغادرة البلد وسيصرف له الجواز لكن قال له أريد البقاء مع عائلتي ما تبقى لي من العمر.

عندما سألته أنا ليش ما تسافر قال ما نضمن أعيش يعملون بكم الجماعة مابا خليكم وحدكم.

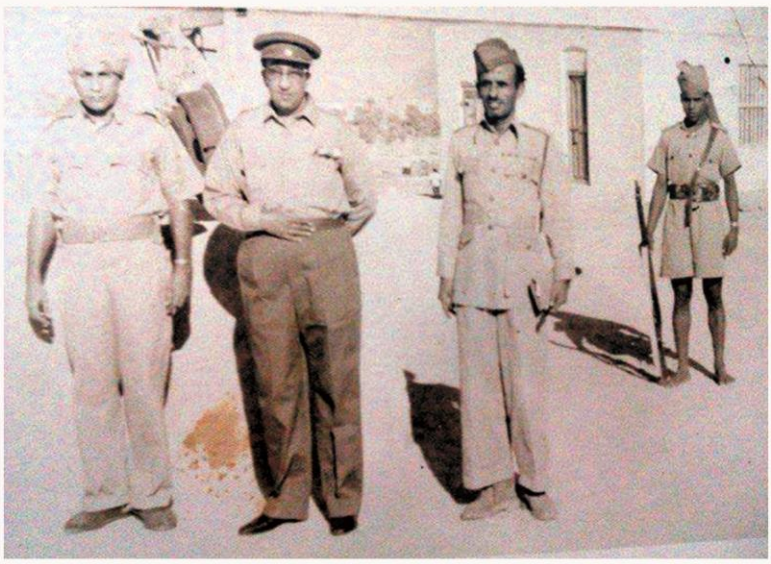
• قيل إن هناك محاولات حثيثة من الأسرة لإطلاق سراحه، بلغت هذه المحاولات إلى الحصول على قرار بالإفراج من الرئيس سالم ربيع علي (سالمين) في تلك الفترة، فماذا جرى بعد ذلك، ولماذا لم ينفذ قرار الإفراج الرئاسي؟

– وصلنا خبر من الوالد من السجن بأنه اليوم تمت محاكمته في القصر وأنه صدر عليه حكم الإعدام وأوضح لنا بأنه لم يتمكن من الدفاع عن نفسه قال لهم أعرف أن الحكم كان جاهزاً لديكم وأكد أنه غير مذنب وأنه لا يجدي أي كلام أمام محكمة مرتجلة.

عندما عرفنا ذلك قررنا التحرك إلى عدن رغم معارضته لذلك قائلاً لنا ما يقطع الرأس إلا من ركبه.. لكننا توجهنا إلى هناك وبعد محاولات التقينا بالرئيس سالمين أنا وأخي محفوظ بعد مساعدة كريمة من الأخت عائدة يافعي عضو القيادة العامة التي أدخلتنا خلسة إلى مكتبها بعد أن وجدتنا جالسين عند باب اللجنة المركزية لم يسمح لنا لكنها بعاطفتها بعد سؤالها عن قصدنا أخذتنا إلى مكتبها وقالت لنا هذه سيارة سالمين في الحوش عند نزوله روحوا له.

وبالفعل بعد نهاية الاجتماع خرج سالمين واندفعنا نحوه وكان يرافقه علي سالم البيض محافظ حضرموت آنذاك منعنا الحراس لكن كنا نصرخ سالمين سالمين التفت نحونا وأشار للحراسة كان ماسكاً باب السيارة بيده والأخرى استلم الرسالة منا وهم بركوب السيارة لكننا قلنا له هذه حياة إنسان تراجع وأصغى لنا بينما البيض في الجانب الآخر أخبرنا نعود بكرة للقصر الرئاسي ووجه الحراس بالسماح لنا.. وصلنا الصباح عند بوابة الرئاسة لكن لم يسمح لنا لأنه ليس لديهم أوامر فانتظرنا وصول مسؤول الحراسة فعرفنا وركبنا معه حتى القصر المدور وأدخلنا عند مدير مكتب الرئيس مطلق عبدالله حسن الذي رحب بنا وقال إن الرئيس أخبره بموضوعنا وأنه منتهي لكننا أصرينا على مقابلته وفجأة دخل الرئيس قلنا له وراك حتى تعفى عن أبونا قال والدكم رجل أعرفه منذ سنوات المدرسة الحربية بالمكلا وسوف نصدر التوجيه بإلغاء الحكم وبالفعل رجعنا اليوم الثاني وأخبرنا مطلق أن التوجيه صدر وأرسلت برقية للمكلا بتوقيف الحكم وعرض علينا صورتها وتوجهنا للمكلا ثاني يوم على حساب الرئاسة بطائرة اليمدا لكن الجماعة حقنا استبقونا بتوجيه كبيرهم وتم تنفيذ الحكم.

كان يوم وصولنا للمكلا أسوأ يوم شفناه. فقد كنا في حالة فرح بالنتيجة ولكن ما أن وصلنا البيت حتى فوجئنا بالنساء يتوشحن بالسواد وارتفع العويل كنت أساعد والدتي في طلوع درج البيت ونحن في حالة ذهول عرفت أن الوالد استشهد وعرفت أن جماعة المكلا نفذوا قرارهم. وعندما وصلنا مطار الريان كان الناس يرمقوننا بنظرات الألم والحزن ولم نتوقع هذا الأمر الفظيع.



السلطان عوض القعيطي وعلى يساره الواء صالح بن يسلم بن سميدع
السكرتير الحربي وعلى يمينه القائد أحمد عبدالله اليزيدي

وعزاؤنا أن والدنا ذهب شهيداً وصائماً في يوم عاشوراء وكان يقول لنا تبات مظلوم ولا تبات ظالم له الرحمة والمغفرة.

• بعد خمسين عاماً على تلك الحظة المأساوية في حياة الأسرة، هل لك أن تستعيد لنا ملامح الأب صالح بن سميدع؟

- كان رحمه الله أباً حنوناً وزوجاً مخلصاً عاش مع والدتنا سنوات حتى نهاية حياته محباً ومخلصاً لها وهي كانت امرأة قوية الشخصية حنونة استطاعت تربيتنا على أحسن وجه، واجهت المصاعب والمتاعب وعانت السنوات الأخيرة لكنها صمدت صمود الجبال فقد غرس فينا رحمه الله مزايا عدة منها الكرم والشجاعة والإيمان بالله والصبر على المكاره فقد عانينا بعد اعتقاله الكثير كان يتعامل معنا معاملة الأخ الأكبر في النصح والتوجيه كان محباً للأطفال وغرس فينا صلة الرحم ومحبة الأقارب والناس جمعاً كنا عندما نزوره في السجن يقول لنا لقد أديت ما علي اليوم أنتم رجال كونوا يداً واحدة واهتموا بوالدتكم وعند زيارتي الأخيرة أمسك بيدي بقوة قائلاً أنتم رجال والدكم رجل أدى ما عليه ويده نظيفة لم تلوث بدم أو مال حرام، حافظوا على اسمي وأؤكد لك سيذكرني الناس حتى بعد خمسين عامًا سيذكرونني بالخير والسماحة والإيمان.. حتى يوم إعدامه كان جلداً صائماً وصلى ركعتين لله.. يالها من إرادة صلبة وفي يوم مبارك يوم عاشوراء.

عشنا بعد اعتقاله وإيقاف راتبه فترة صعبة فكانت الأسرة كبيرة والحمل ثقيل لهذا اتجهت أنا وأخي الأكبر محفوظ إلى سوق العمل في العقد الثاني من عمرنا تركنا الدراسة وعملت بسيارة أجرة تاكسي لسد رمق أسرتنا وكنا مثار إعجاب الكثير ولا أنسى موقفاً نبيلاً لصديق والدنا سعيد أحمد بامطرف وكيل الحسيني لسيارات الزيزو عندما اشترى لنا سيارة نسدد قيمتها شهريا بالتقسيط المريح وهو موقف لم ننساه لكل من آل الحسيني وبامطرف ولهم منا كل التقدير.

• هل لك - كذلك- أن تضعنا واهتماماته الأخرى



اللواء صالح بن يسلم بن سميدع في زواج أولاده محفوظ وفائز في مدينة المكلا في عام ١٩٦٥م

غير العسكرية، وطبيعة حياته اليومية وأسلوبه المعيشي؟

- كان رحمه الله متديناً ورعاً كان يبدأ صباحه بقراءة سورة (يس) قبل صلاة الفجر يقرؤها وهو يتجول داخل البيت ثم يؤدي صلاة الفجر ويقرأ القرآن وكانت الوالدة تقوم بتلميع جزماته وأزراره النحاسية التابعة للبدلة العسكرية وترتيبها ثم يقوم بحلاقة ذقنه كل يوم والاستماع لراديو صوت العرب الساعة (٦) ثم نشرة بي بي سي كل ذلك في أثناء تناول القهوة والتمر. الساعة (٧:١٠) يخرج من المنزل للعمل.

كان يحب الخمير والقهوة والتمر صباحاً ويراقب كمية الأكل في البيت بحيث تكفي الجميع لكنه لا يحب الإسراف.

كان يمر دائماً في أثناء خروجه صباحاً على مدرسة أبناء الوحدات العسكرية للاطمئنان على الطلاب وسير الدراسة وكان يواظب على نوم الظهر (القيلولة) حتى نصف ساعة.

كان همه الأكبر التعليم وكان له دور في إنشاء مدرسة أبناء البادية وبنات البادية وإنشاء مدرسة أبناء الوحدات العسكرية بالرزميت وكان يقوم بزيارات لعدة مدارس بالمكلا ويدعمها.



زيارة اللواء فائز منصور التميمي لأسرة اللواء القائد صالح بن سميدع وتكريمه بدرع قيادة المنطقة العسكرية الثانية

كان يقـرأ كثيراً خاصة ما يتعلق بالعلوم العسكرية والسياسية كان يصطحبـني وأخي محفوظ دائماً إلى مكتبة أحمد سـعيد حـداد ومكتبـة الصافي لشراء الصحـــف المصرية واللبنانية وجديد الكتب ويشجعنا على القراءة ابتداء من مجلتي سـمير وميكـي للأطفـال ومجلـة المصـور وآخر سـاعة وصحـف لبـنانية وكويتية وكان يناقشنا فيما قرأنا.

كان يذهب معنا للسينما ويترجم لنا الأفلام الهندية لكونه يتكلم اللغة الهندية بطلاقـــة كما كان يرافقنا للمستشارية لمتابعة الأفلام وتابعنا كأس العالم ٦٦ وكان الوالد عضواً في الجمعيـة الرياضيـة الحضرميـة وبـذل جهوداً كبـيرة لتطوير الرياضة وكان يواظب على حضور المباريات في المكلا والشحر باستمرار.

• بعد خمسين عاماً على الرحيل- يرحمه الله- لديك ثلاث رسائل لمن تحـب أن توجهها اليوم، ولماذا؟

- **الرسالة الأولى:** إلى مثلي الأعلى وتاج رأسي القائد العظيم الشهيد اللواء صالح يسلم بن سميدع أقول نم قرير العين في مرقدك الأبدي لقد خلفت لنا اسماً كبيرا وتاريخاً ناصعاً.

فبعد خمسين عاماً من استشهادك ما يزال الناس يذكرونك بالخير ويدعون لك بالرحمة لقد قدمت لحضرموت روحك الطاهرة هذا الوطن الذي تعتز بـه دوماً ودافعت عنه وعن أهله، وبذلت كل ما تقدر لخدمته.

- **الرسالة الثانية:** للقـائد المقـدام الوفي اللواء فائز منصور التميمي قائد المنطقـة الثانية بـالمكلا: إن تكريمك لوالدنا هو تكريم لكل شـهداء حـضرموت تكريماً من رجل وفي لرجل وفي أنصفتنا عندما تجاهلنا الكثير ممن تولوا قـــيادة حضرموت ولا يكرم الرجال إلا الرجال وهو تكريم لكل العسـكريين في عهد والدنا الذين وضعوا اللبـنات الأولى للعسكرية الحضرمية بارك الله فيك يا بن منصور.

- **الرسالة الثالثة:** لأبنائنا وأحفادنا حافظوا على هذا الاسـم الكبـير ضعوه في حدقـات أعينكم لقـد حملنا الراية بـعده وستحملونها بعدنا أجيالاً بعد أجيال فقد خلف لنا تاريخاً ناصعاً بالبياض ومليئاً بالبطولات والرجولة والكرم شهد له به القاصي والداني.

• هل تجد في بعض البـعض من إنصاف التاريخ لمسيرة اللواء الوالد صالح بن يسلم بن سـميدع ما يشفي قلوبكم لسنوات الفقد لهذه الشـخصية التاريخية في حياة حضرموت؟

- منذ خمسـين عاماً على استشـهاد والدنا لم نجد ما يشـفي قلوبنا ويمسح دموعنا وينسـينا آلام الفراق والحرمان من الجهات الحكومية أو مسؤولينا خاصة وللأسف من أبـناء جلدتنا الذين عندما نلتقـي بهم يذكرون الوالد بـكل خير واعتزاز، تصدق أنه لا نستلم أي مرتب تقاعدي له وحقوقـه أيضاً مهدورة كما لم يتم تعويضنـا عـما أخـذ منـا مـن مـال وسلاح وأشياء ثمينة وهي مسجلة بـخط يده عندما فُتِّشَ بـيتنا وأخذها صالح عواس وعبـدالله الأشـــطل وعندما

سألهم الوالد فيما بعد قالوا إنهم سلموها لعلي البيض وهذا مسجل بخط يد الوالد عام ١٩٦٧م، الإنصاف الكبير الذي نعتز به هو ما يقول الناس لنا طوال الخمسين عاماً يذكرونه بالخير، ولم نجد من يقول نهب حقنا أو هتك عرضنا أو قتل أحداً منا.

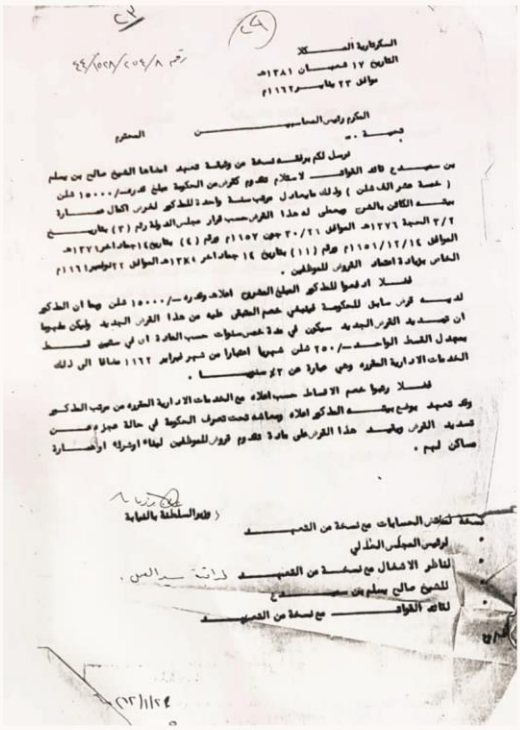
قد يكون هناك عدد من الكتاب والصحفيين الذين كتبوا عن والدنا وأنصفوه رغم أن البعض منهم لا يعرفه فلهم منا التحية والتقدير.

أخيراً جاء الإنصاف من قائد المنطقة العسكرية الثانية اللواء الركن فايز منصور التميمي كما ذكرت في السؤال السابق.

• ماهي الكلمة الأخيرة في هذا الحوار؟

- في الأخير لا أجد ما أقوله سوى الشكر والتقدير لكم لإبراز هذه الشخصية العسكرية الفذة الذي قدم كل ما عنده لهذا الوطن لم يكن ينتظر منه جزاء أو شكوراً فقد عمل بجد ونكران للذات وكون في فترة وجيزة قوة عسكرية يشار إليها بالبنان ومثل مع زملائه القادة والضباط نموذجاً للوطنيين المخلصين وكانت مجموعة متجانسة صنعت أمناً واستقراراً في حدود حضرموت المترامية الأطراف حيث كان المواطن ينتقل من المكلا إلى أقصى البلاد في أمن واطمئنان كان التاجر في المدن يأمن على ماله وعياله بفضل هؤلاء الرجال المخلصين الساهرين عليه.

ولقد تعرضنا خلال تلك الفترة للكثير من المضايقات والتهميش ومداهمة البيت عدة مرات لكنه للإنصاف نذكر أن الكثير من المسؤولين في زمن الاشتراكي تعاملوا معنا بصدق وشرف وحظينا منهم بالكثير من التقدير والاحترام والمعاملة الحسنة، وعلى رأسهم صالح الصيعري عضو القيادة العامة وسالم الكندي وفيصل العطاس والحاج صالح باقيس وصالح منصر وغيرهم وألتمس العذر إذا لم أذكر البقية، وقد يكون هناك ممن سواهم لا يتعدون أصابع اليد من لازال الحقد والحسد يعشعش في رؤوسهم منهم من مات ومنهم من ينتظر أقول لهم حسبنا الله والدنيا دوارة.





37
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

حضرموت.. رؤية هولندية من الداخل

(رحلة دانيال فان در ميولين)





أ. د. عبدالله سعيد بن جسار الجعيدي

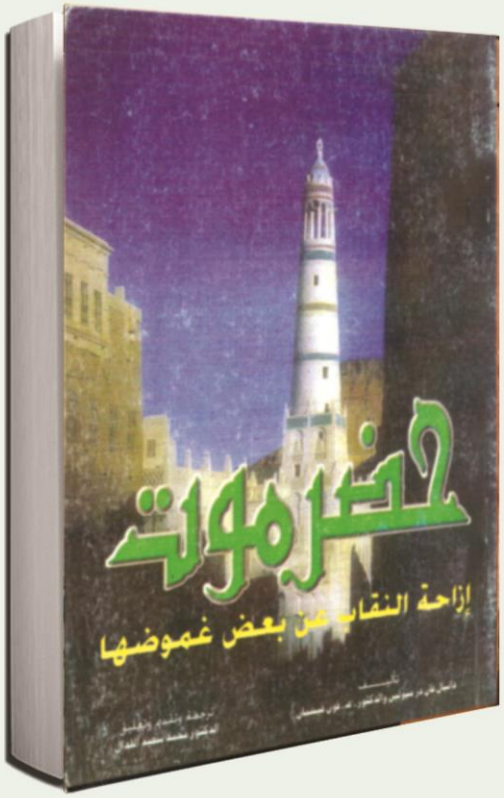
في إثر الثورة الصناعية الأوروبية – التي هي نتاج تراكمات علمية واسعة المدى بلغت قوة اندفاعها في أواخر القرن الثامن عشر وبداية القرن التاسع عشر الميلاديين – برزت الحاجة إلى الأسواق خارج أوروبا، وتوازى ذلك مع بروز مرحلة التوسع الاستعماري، التي من مظاهرها انتشار موجات الرحالة، وجوّابي الآفاق، ووصولهم إلى أصقاع المعمورة المجهولة، حتى تعرف أوروبا أين تضع أقدامها.

ورحلة هذا الكتاب الاستكشافية إلى حضرموت وإن جاءت متأخرة مقارنة بغيرها من الرحلات، فإنها لا تخرج عن هذا النسق الأوروبي العام، لكنها تختلف عن سابقاتها بأنها لم تكن لغرض التغلغل فيها أو احتلالها، بل لمعرفة حضرموت (المهاجرة) في إندونيسيا من خلال حضرموت (الثابتة) في جنوب جزيرة العرب، لهذا حدد مؤلف الكتاب أغراض الرحلة في أنها تجمع بين الزيارة الرسمية أو

الدبلوماسية، والعلمية[1]، والغرضان يلتقيان نحو الهدف العام، وهو الرغبة في معرفة تفاصيل بلاد حضرموت الجغرافية، والاجتماعية، ويذكرنا ذلك بما قام به نابليون في حملته الاستعمارية لاحتلال مصر عام ١٧٩٨م عند اصطحابه فريقًا من العلماء؛ لدراسة مصر جنبًا إلى جنب مع الجيوش الجرارة المحتلة[2]، وكان ذلك المنحى هو الملمح المضيء في تلك الحملة.

قام بهذه الرحلة الكولونيل دانيال فان در ميولين (١٨٩٤ - ١٩٨٩م)، قنصل هولندا في جدة، برفقة مساعده الدكتور الألماني هيرمان فون فيسمان، استغرقت الرحلة من المكلا إلى وادي حضرموت والعودة ستة أسابيع، من ٩ مايو إلى ٢١ يونيو ١٩٣١م، وقد نشر ميولين تفاصيل الرحلة في كتاب بعنوان: (**حضرموت.. إزاحة النقاب عن بعض غموضها**)، وقد وصف مترجم الكتاب الدكتور محمد سعيد القدال الرحلة بأنها ضرب من أدب الرحلات رفيع المستوى[3].

الفاصل الزمني بين الرحلة وعصرنا الراهن تسعون عامًا وبضعة أشهر، ففي عام الرحلة (١٩٣١م) كانت حضرموت بسلطنتيها الكثيرية والقعيطية واقعة تحت الحماية البريطانية؛ ولهذا جاءت الموافقة على الرحلة عبر البوابة البريطانية[4]، وقد تبرز هنا تساؤلات من قبيل: لماذا هذا التغلغل الهولندي في منطقة واقعة تحت النفوذ البريطاني؟ وماهي مكانة حضرموت بالنسبة للهولنديين؛ البعيدة عن مناطق نفوذهم الاستعماري في أقصى الشرق؟! والإجابة عن ذلك ببساطة أن نسبة كبيرة من المهاجرين الحضارمة إلى جزر الهند الشرقية (إندونيسيا) يُعَدُّوْنَ رعايا تحت الحكم الهولندي الاستعماري، وكانوا في مهجرهم الشرقي جالية لها وزنها الاقتصادي الكبير، وتأثيرها الديني القوي على سكان هذه الجزر؛ ولهذا كان الفضول السياسي (الاستخباراتي) هو الدافع الرئيس لهذه الرحلة.



كان الهولنديون منذ وقت مبكر يتوجَّسون من الوجود الحضرمي في مناطق نفوذهم في إندونيسيا، ومدركين مقدرتهم على تنبيه الأهالي إلى عبء احتلالهم لبلادهم، بل والتحريض على مقاومتهم - وهو ما حدث بالفعل - لهذا في عام ١٨٨١م كلف الحاكمُ العام لجزر الهند الهولندية في بتافيا (جاوا)؛ المستعربَ الهولندي (فان دن بيرخ) بإعداد دراسة مفصَّلة عن العرب المقيمين في الأرخبيل الهندي، وفي عام ١٨٨٦م قام هذا المستعرب بنشر نتائج دراسته في كتاب باللغة الفرنسية وعنونه بـ(حضرموت والمستعمرات العربية في الأرخبيل الهندي)، ترجمه عام ٢٠٠٦م الدكتور مسعود عمشوش الذي نبّه - أي الدكتور مسعود - إلى الأبعاد السياسية الخطيرة للكتاب؛ لأنه يكشف عن الوسائل التي استخدمها الهولنديون لمحاربة العرب والإسلام، التي منها الزيادة في تضييق الخناق على المهاجرين الحضارمة، والحد من تحركاتهم فيها[5].

39
العدد (27)
يناير
مارس
2023م



وتأتي هذه الرحلة (١٩٣١م) بعد خمسة وخمسين عامًا من تلك الدراسة الاجتماعية، وخلال هذه المدة تنامى دور الحضارمة في المجتمع الإندونيسي، كما استفحل الانقسام فيما بينهم؛ لهذا يمكن وصف دراسة (برخ) بأنها محاولة هولندية اعتمدت على السماع من المهاجرين دون الاتصال المباشر ببلادهم، أما هذا الكتاب (الرحلة) فقد عاينت هولندا حضرموت وسمعتها والتحمت بها، وهذا ما يعطي هذا الكتاب أهمية قصوى؛ لأنه كما يقال: "من شاف ليس كما من سمع". وإذا حيّدنا هنا الأهداف الاستعمارية أو الاستخباراتية لرحلة ميولين، فإننا سنجد لها فوائد للمشتغلين بالدراسات الإنسانية، ومنها علم التاريخ. فالرحلة المدوَّنة هي تسجيل حي لواقع الحال كما هو، لكن مع مرور الزمن نجد أن معلوماتها قادرة على سد بعض الثغرات التي تصمت أو تغفل عنها مصادر التاريخ، ومما يعزِّز قيمة الكتاب - إضافة إلى ما دوّن فيه - هو تضمينه لعشرات الصور الفوتوغرافية للأشخاص والمدن والبلدات، والسقايات، والمساجد، والمآذن، وغيرها، وهي بهذا تكون شاهدة على عصرها، ووثيقة من وثائق التاريخ (ورُبَّ صورةٍ خيرٌ من ألف كتاب)، والبعض من المنشآت العمرانية التي وثَّقتْها الرحلة الآن مُهَدَّمة؛ لهذا فإنَّ العودة إلى هذه الصور ستساعد في إعادة بناء تلك العمائر الأثرية التقليدية أو ترميمها، والتي ينتمي غالبها إلى نمط العصور الوسطى.

ويذكر مترجم الكتاب الدكتور محمد سعيد القدال (رحمه الله) قائلاً: "**إن الرحلة تصوِّر - بكثير من الصدق- انطباع الأوروبيين عن الحياة في بلاد العرب، ونحن بحاجة لمعرفة رأي الآخر فينا؛ لأنها تبرز إيجابيات مجتمعنا كما تبرز السلبيا، وهذا لا يعني أن نؤخذ بهذه الانطباعات دون تمحيص وروية بل علينا أن نتدبرها**"[٦]، ومن منطلق (التدبُّر) والتبصرُّ سنحاول تتبع الرؤية الهولندية للمجتمع الحضرمي بما لها، وما عليها حتى نعيد اكتشاف أنفسنا؛ ولهذا سنعرج في هذه القراءة على اختيار وقفات من الرحلة، وجدْنا أنها جديرة بالتعليق والمناقشة، دون الالتزام بخط سير الرحلة الجغرافي المرسوم خطوة بخطوة في فصول الكتاب.

كشفت الرحلة بالنسبة للأوربيين، ولنا نحن العرب بعد تسعين عامًا من القيام بها كيف كانت حضرموت، وما هي تطلعات الناس، وماهي عوائق تطورهم، وماهي أبرز أنشطتهم الاقتصادية، وإلى أي مدى كانت الهجرة الحضرمية الخيار الصعب، والشاق في حياة الحضارمة الدرامية، بل والأكثر مرارة ما بينته هذه الرحلة من أن حضرموت (الثابتة)، كانت أعجز من أن تفعل شيئًا لصالح أهلها الذين هم في حالة انتظار مزمن لمنقذ خارجي ما، أو لحوالة من مهاجر، تسدُّ رمق أهله بحسب نصيبه من حصاد الشقاء في المهجر... (وما أشبه الليلة بالبارحة).

ومن القضايا الساخنة للرحلة التي تفصح عن غربة حضرموت الداخلية والخارجية؛ تلك الحوارات التي يتداخل فيها مؤلف الكتاب مع الحضارمة في المجالس العامة،

لاسيما عندما يتحدثون عن مستقبل حضرموت، والمآلات المتوقَّعة، والأهداف المرجوَّة، وأبرز ما يطرحه الحضارمة ويكرِّرونه من تلك التساؤلات التي تبحث في انتشال حضرموت من أوضاعها المتردِّية في كل المجالات، وما هي فرص التدخل الخارجي، لا سيما الهولندي، حتى يتم إعادة ضبط الأمور، وإصلاح الحال؟، والرد الهولندي غالبًا ما يكون واضحًا؛ هو: إنهم لا يستطيعون التدخل في شؤون حضرموت الواقعة تحت الحماية البريطانية، وأن الحل من وجهة النظر الشخصية لصاحب الرحلة الذي يضعه من باب النصيحة الدائمة للحضارمة؛ هو بالوحدة الداخلية للمجتمع الحضرمي، ونبذ الصراعات(٧).

كان دانيال فان در ميولين يتهرَّب من التساؤلات المتكرِّرة عن انطباعه تجاه حضرموت من زُوَّاره الذين يصفهم بالفضوليين، ويختار في البداية الرد الدبلوماسي؛ لأنه يعلم أن الإجابة (المجاملاتية) هي المطلوبة، لكنه يضطر - إذا حوصر مرة أخرى بالسؤال نفسه - في التعبير عن رأيه الصريح برد لا يخلو من النقد اللاذع للوجاهات الحضرمية المهاجرة، من ذلك قوله: "**إن خيبة أملنا في انعدام الوحدة وحالة الحرب، وهما عار على القادة الحضارمة، الذين عرفناهم في جاوا مقتدرين ونشيطين ومواطنين مسالمين**"(٨)، وهذه الحوارات التي أفصحت عن واقع حضرموت البائس، والمهترئ ربما حملت رسائل تطمينية للتوجُّسات الهولندية من (حضرموت الثابتة)، وهم يبحثون عن سر قوتها؛ ليتمكنوا من ترويض (حضرموت المهاجرة)، فإذا بهم يكتشفون أنها منطقة لا يوجد بها أساطيل، تشق عباب المحيطات، أو غواصات مدمرة، أو طائرات قاذفة، أو جيوش جرَّارة، وأنها منطقة يعمُّ غالبَ أهلها البؤس والفقر، وأنهم لا يستطيعون التحرُّك بأمان خارج المدن المُسوَّرة، بسبب الفوضى القبلية، واختلال الأمن، وضعف الموارد الاقتصادية، لكنهم في تغريبتهم تزوَّدوا بثقافة مدرسة



الرحّال الهولندي دانييل فان دير مولن ورفيقه الجغرافي الألماني هرمان فون فيسمان في ضيافة الحبيب مصطفى بن أحمد المحضار في منزله في وادي دوعن. حضرموت - ١٧ مايو ١٩٣١م

حضرموت الوسطية، وبهُوِيَّتها الإسلامية السمحة، وبذلك شقُّوا طريقهم في معترك الحياة في بلاد الناس الواسعة.

ومما لفت نظر ميولين - لاسيما عندما يدخل بيوت الأثرياء الحضارمة - ذلك البون في مستوى المعيشة بينهم وبين أغلبية السكان، وفي مثل هذه المناسبات كان يتساءل باستنكار: هل هذه فعلاً حضرموت المنعزلة المتعصبة؟! ودائماً ما يكرِّر انتقاده لهؤلاء الأثرياء؛ لتقصيرهم في خدمة مواطنيهم، ويستثني من ذلك السيد أبابكر بن شيخ الكاف؛ الداعم السخي للتعليم والصحة في حضرموت، والمبادر لتعبيد الطريق الرابط بين وادي حضرموت، وساحلها، الذي كان يؤمِّل فيه انتعاش حركة التجارة وتسهيل حركة الناس(٩).

41
العدد (27)
يناير
مارس
2023م



وتكشف الرحلة عن رغبة قوية مبكرة عند السيد الكاف في إحلال السلام، وأنه كان يرى في سلاح الطيران البريطاني الخيار الاستراتيجي لقبول القبائل السلام تحت تهديد القنابل، وهذا الطرح في زمن الرحلة وهو عام ١٩٣١م؛ أي قبل خمس سنوات من قيام البريطانيين فعلاً باستخدام الطائرات؛ لإخضاع القبائل المتمرِّدة أو الرافضة للهُدنة العامة، ولا نريد الخروج عن مسار الرحلة، لكن توجب الإشارة إلى أن قنابل الإنجليز لا تُرمَى إلا بعد منشورات تحذيرية، تتحدّد فيها مناطق الاستهداف، ويطلب من الأهالي الابتعاد عنها هم ومواشيهم[١٠]، وأعتقد أن هذا ما كان يرمي إليه السيد أبوبكر بن شيخ الكاف، فالحضارمة خاصة البدو منهم كانوا يحتاجون إلى ما يشبه الصدمة؛ حتى يقبلوا ما يتمنَّونه في دواخلهم من الجنوح إلى السلام والأمان، وحقَّقت هذه السياسية أُكُلَها، وعمَّ السلام في حضرموت بفضل عناصر كثيرة، أهمُّها القبول الجمعي للهدنة العامة.

ويبدو أن الرحَّالة دانيال فان در ميولين لاحظ وجود ثنائية حضرموت الحقيقية (الثابتة)، والموازية (المهجرية)، وذلك من خلال أمور عدَّة، منها رصده لحركة الانتقال من جاوا؛ ففي أيام وصوله الأولى وصل ١٠٠ مهاجر إلى ميناء المكلا، وقدَّر نسبة الحركة السنوية للمهاجرين قدومًا ومغادرة بألف مسافر سنويًا[١١]، أي: إنَّ في كل شهر يسافر تقريبًا تسعون إلى الشرق (الهند والشرق الأقصى)، كما لاحظ هذه الثنائية من اعتماد غالب الأسر الحضرمية في معيشتها على المهجر الجاوي، وتحدث الأهالي باللغة الملاوية، وفي الملامح الجاوية المميزة للموالدة منهم، ومن أنواع المأكولات الجاوية، وطريقة طهيها، والتوابل المستخدمة؛ لهذا دائماً يعزو حفاوة الاستقبال له في حضرموت؛ لامتنان الحضارمة على المعاملة الكريمة التي يلقاها أبناؤها المهاجرون من حكومة هولندا في إندونيسيا[١٢]. لكنه لم يذكر المعاملة الهولندية السابقة السيئة للحضارمة، وذلك بالتضييق على تحرُّكاتهم، وبإجبارهم على العيش في أحياء معينة من المدينة الواحدة، وعدم السماح لهم بالتنقل إلا بتصريح خاص، ولم يتحدَّث عن الدور الهولندي في إضعاف الصف الحضرمي، ومحاولة تشويه سمعتهم عند الإندونيسيين[١٣].

ومن الأمور الطريفة التي لها علاقة بما يمكن وصفه بشيوع ثنائية حضرموت و(سلطنة هولندا الحضرمية)؛ هو عندما قال السلطان علي بن منصور الكثيري للرحالة ميولين ـ عند استقباله في قصره ـ إنه السلطان الفعلي لحضرموت، وشرعنَ له هذا المنصب بتأكيده أن نصف سكان المنطقة التي يحكمها تابعون لهولندا، ويعيشون في كنف مستعمراتها. وفي تعليق لا يخلو من الارتياح وصف ميولين هذا (المنصب) بأنه "مفعم بالمبالغة الشرقية"[١٤]، وفي تقديرنا أن كلام السلطان (مفعم بالمجاملة العربية) التي تؤشر إلى أن حضرموت كانت وربما لا تزال عبئًا على نفسها، وعلى المهاجرين وعلى غيرها، وبهذا ليس غريبًا أن تشهد ولاتزال سلاطين حاضرين غائبين، تختلف التفاصيل والمأساة واحدة.

والحقيقة أن قضية الهجرة الحضرمية قد شغلت حيِّزًا لافتًا من مشاهدات صاحب الرحلة وتعليقه، فعندما



تكلم على اختلال في التوازن بين صادرات دوعن للعسل وما تستورده من الأرز والسكر والقماش والدقيق والأقمشة، لكنه أكد على أن أموال الهجرة هي التي تحقق نوعًا من التوازن، ويدفعنا هذا الوضع إلى تساؤل عابر، وهو: هل نبالغ إذا قلنا: لولا الهجرة لهلكت حضرموت؟ وأيًّا كانت الإجابة فإن الرحلة استمرت في التركيز على ملحمة الهجرة الحضرمية، ففي خضم حديثه عن مظاهر الهجرة يلاحظ ميولين بعين ذكية وجود ثلاثية تسيطر على تفكير الحضرمي العائد لبلاده؛ (المنزل – المسجد – القبر)، فهو يريد المنزل سكنًا يقضي ما تبقّى من حياته في الدنيا، والمسجد ليبني له الله منزلاً في الجنة، والقبر مرحلة انتقالية بين المنزلين، وفي هذا المشهد الثلاثي يرى ميولين حظ المساجد كبيراً من حيث الصرف بسخاء في إعمارها؛ لهذا يكثف تعليقه الناقد بالقول: "**مساجد فارهة في بلاد حضرموت الفقيرة**"(١٥).

واتسم أسلوب المؤلف بالطرح المتَّزن، وتجنُّبَ النظرة الأوروبية الاستعلائية نحو الآخر؛ التي كثيراً ما تُلاحَظُ في كتابات الرحَّالة والمستشرقين، لكنه قدّم وصفًا دقيقًا للأوضاع السيئة في المجتمع الحضرمي، وانتقد بعض العادات والظواهر الاجتماعية، وبيّن تأخُّر المجتمع عن ركب الحضارة، وكما كان خطابه مُوَجَّهًا للحضارمة من منظور قراءتهم المستقبلية لما يكتبه، فإنه بصورة مباشرة يقدِّم نفسَه للقارئ الأوروبي بوصفه البطل الذي اكتشف مساحات واسعة من حضرموت، وتعمّد الوصف الغرائبي المثير للدهشة والإعجاب، لكن بدون مبالغة.

وفي سياق متصل تحدَّث عن الرؤية العربية الإسلامية للأجانب (النصارى)؛ ليضفي نوعًا من الخطورة والمغامرة لرحلته، لكنه كما ذكر التعصُّب العربي تجاه النصارى، ذكر الاتجاه المنفتح الذي أتاح له دخول المساجد، وطلوع المآذن(١٦)، ومن جانب لم يكن مُوَفَّقًا عندما فسّر لطافة نساء آل (الحيقي) في معاملته، بأنهن لا يعرفْن إلا القليل عن دينهم، وأنهن لمْ يُصَبْنَ بعدُ بالعداء للنصارى، في حين كان العكس هو الصحيح، فمن يعرف الدين الإسلامي يعرف حق غير المسلمين في بلاد المسلمين على المسلمين، ويؤكد ذلك ما قاله سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: ((**من آذى ذميًّا فقد آذاني**))، واللافت شيوع لفظة النصارى – حسب نص الترجمة – عند الحضارمة بوصف المسيحيين، وهي لفظة أكثر مرونة من استخدام لفظة الكفار؛ لهذا كانت نظرتهم العامة تجاه الأجانب متحفظة، ومتسامحة في الآن نفسه، لكنَّها تدريجيًا صارت أكثر مرونة، لاسيما بعد أن اتسعت حركة الهجرة، واختلاطهم بأجناس، وثقافات متنوعة.

لقد وصفَ الكتابُ – بدقَّة – ملامحَ الأشخاص الذين قابلهم؛ من البدو والحضر والوجاهات الاجتماعية، وسكان الحواضر الفقراء، مبيِّنًا مظهرهم العام من حيث نوع الملابس، والأسلحة، ولون البشرة، ومزاجهم، ونظافتهم، وكذا وصف مصاعب الرحلة مع الجمال والحمير، وهما وسيلة المواصلات الأساسية في الجبال والهضاب، وتكلم عن الفقر المدقع والقصور الفارهة، والمناخ والتضاريس والجفاف والطبيعة الساحرة بأسلوب ماتع، من جهة أظهر تمكُّن المترجم الدكتور محمد سعيد القدال، ومن جهة أخرى

أظهر براعة المؤلِّف في سلاسة السرد، وبالسيطرة على القارئ، بجعله يتخيَّل الرحلة حيَّة متحركة يعيشُها.

لقد عبرَّ الرحالة دانيال فان در ميولن عن دهشته من الكرم العربي، بوصفه سلوكًا يرتفع على الاتجاهات الفردية التي ميّزت الحضارة العربية؛ لهذا لمْ يخُفِ امتنانه عندما أُهدِي له في مدينة المكلا سترة بدلاً من سترته التي تمزَّقت[١٧]، وفي مناسبة أخرى من الرحلة لمْ يخُفِ إعجابه ودهشته عندما حلَّ وفريقُه ضيفًا في وقت غير مناسب بقوله: "**لعله من المناسب أن نتقدم بالعرفان لحفاوة العرب، فمَنْ من الغربيين سيخفي امتعاضه إذا توقَّف حفل زواجه بمجيء قافلة من الناس المرهقين الجوعى، ومَنْ منَّا كان سيفتح داره فوراً للمسافرين أبناء الطريق، ويقوم بنفسه بإحضار الماء لإطفاء ظمئهم، ويعدُّلهم في الحال الطعام الذي يقيم أودهم**"[١٨]، وهناك إشارات أخرى في الرحلة للكرم الحضرمي، لكن نكتفي بما أشرنا إليه.

وحرص صاحب الرحلة على ذكر عدد السكان للمدن والبلدات الحضرمية؛ وهي بحسب التعداد التقريبي (المكلا١٢٠٠٠/ شحير١٥٠٠/ الشحر٩٠٠٠/ شبام٨٠٠٠/ حريضة٢٠٠٠/ سيئون١٥٠٠٠/ تريم١٢٠٠٠)، وربما كان ذلك من الإحصائيات التي تذكر عادة ضمن الوصف العام في كتب الرحلات، لكنها في هذه الرحلة الرسمية تدخل في صميم الأهداف الاستخباراتية، فقد شاهدت هولندا حضرموت على الطبيعة كما خلقها الله، وبحسب المعلومات التي خرجت بها رحلتهم فإن النظرة الأولية تؤشر إلى أن حضرموت لا تمثِّل ثقلاً سكانيًّا، أو حضاريًّا، أو حتى اقتصاديًّا يمكن أنْ يهدّد المستعمرات الهولندية، لكن ما لم يشر إليه الكاتب، أو لعله ضمّنه تقاريره الخاصة هو أن سر قوة الحضارمة في فكرة الدين الإسلامي، وثقافتهم المسالمة التي يسرّت اندماجهم في المجتمع الإندونيسي، فكانت هذه بضاعتهم الخفيفة، التي حملوها على ظهورهم وزادهم العميق في وجدانهم، وعندما تغلغلت هذه الفكرة في ثقافة المجتمع الإندونيسي، وترسَّخت صاروا مكوّنًا أصيلاً في المجتمع، وطرفًا في تطلعاته وآماله؛ لهذا ومع اندلاع الحركة التحررية الوطنية الإندونيسية انحاز الحضارمة بقوَّة إليها، وكان من نتائجها اهتزاز وضع الإندونيسيين (الصينيين)، وإجبار الهولنديين المستعمرين على مغادرة إندونيسيا، وبقي الحضارمة؛ بوصفهم ثقافة إسلامية أكثر منهم دماء عربية.

الهوامش:

١)- دانيال فان در ميولين د. هـ. فون ويسمان، حضرموت إزاحة النقاب عن بعض غموضها، ترجمة الدكتور محمد سعيد القدال، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ١٩٩٨م، ص١٥.

٢)- ر. ج. جافين، عدن تحت الحكم البريطاني ١٨٣٩ - ١٩٦٧م، ترجمة محمد محسن العمري، دار جامعة عدن للطباعة والنشر ٢٠١٣م، ص٣٥، وينظر: أحمد محمد بن بريك، اليمن والتنافس الدولي في البحر، دار الثقافة العربية للنشر والترجمة والتوزيع، ٢٠٠١م، ص٧٩.

٣)- دانيال فان در ميولين، المرجع السابق، ص٥.

٤)- نفسه، ص٣٠.

٥)- د. مسعود عمشوش، الحضارم في الأرخبيل الهندي، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ٢٠٠٦م، ص٩- ١٠.

٦)- دانيال فان در ميولين، المرجع السابق، ص٦.

٧)- نفسه، ص١١٠.

٨)- نفسه، ص١٤٥.

٩)- نفسه، ص٨٧.

١٠)- عبد العزيز بن علي القعيطي، إحلال السلام في حضرموت، ٢٠٠٩م، ص٦٥.

١١)- دانيال فان در ميولين، المرجع السابق ص٥٠.

١٢)- نفسه، ص١١٠.

١٣)- حامد القادري، ترجمة. زكي باسليمان، كفاح أبناء العرب ضد الاستعمار الهولندي في إندونيسيا، دار جامعة عدن للطباعة والنشر، ١٩٩٨م، ص١٠٠.

١٤)- دانيال فان در ميولين، المرجع السابق ص١٤٤.

١٥)- نفسه، ص٨٨.

١٦)- نفسه، ص١٦١.

١٧)- نفسه، ص٤٩.

١٨)- نفسه، ص١٠٠- ١٠١.

مواد البناء المحلية المستخدمة في العمارة الطينية بمدينة تريم





محمد رمضان مسلم

إن غالب مواد البناء المحلية المستخدمة في العمارة الطينية لمدينة تريم، هي مواد البناء نفسها التي تُستخدم في جميع مدن وادي حضرموت وقُراه تقريبًا، ويرجع ذلك إلى عدم اختلاف التكوينات الطبيعية لوادي حضرموت، غير أن هناك اختلافات يسيرة في طرق البناء وموادِّه، في بعض المدن والقرى، وقد يكون السبب في ذلك هو توافر بعض المواد المتاحة للبناء في منطقة، وعدم توافرها في مناطق أخرى؛ وحاولنا في هذه الدراسة المتواضعة، أن نسلط الضوء على -أهم مواد البناء المحلية المستخدمة في العمارة الطينية لمدينة تريم- لأنها لم تلقَ نصيبها وحظها من البحث، على أمل أن تتضافر جهود المراكز العلمية والباحثين من أهل الاختصاص من المعماريين والآثاريين والمؤرخين، للبحث في هذا المجال، ودراسة إيجابياته وسلبياته دراسات شاملة من جميع الجوانب، حتى يلقى نصيبه من الدراسات الأكاديمية المتعمقة والمفيدة.



فمواد البناء تختلف من منطقة إلى أخرى، وذلك حسب تكويناتها الطبيعية، ففي وادي حضرموت نجد أن مادتي الطين النيء والأخشاب المتوافرة، قد استخدمت كمادة بناء أساسية، أما الأحجار فيقتصر استخدامها على بعض المباني النادرة وعلى بناء الأساسات[١]، وقد اكتشفت البعثات الأثرية التي عملت في بعض مناطق وادي حضرموت على نمط البناء وطريقته، التي استخدمت القوالب الطينية (المدر) المدعومة بالهياكل الخشبية، والتي يعود تاريخها إلى فترة ما قبل الإسلام[٢]، وهذا يعطينا إشارة إلى أن هذا النمط كان يستخدم قديماً، وأن تطور العمارة الطينية التي يتميز بها وادي حضرموت من غيره من المناطق الأخرى في اليمن خصوصًا، وبلدان العالم عمومًا؛ لم يكن وليد العصور المتأخرة، وإنما أتى عن طريق معارف وخبرات ومهارات تراكمية تكونت عند الإنسان الحضرمي، على مدى قرون متلاحقة من الزمن، ومراحل مختلفة مرت بها العمارة الطينية في وادي حضرموت حتى وصلت إلى ماهي عليه من رقيّ وتميز وإبداع.

ويشكل الطين النيء مادة البناء الرئيسة في العمارة الطينية، بوادي حضرموت عمومًا، ويستخدم الطين في بناء الجدران والسقوف، كما استطاع الإنسان في حضرموت أن يحسن استخدام مادة الطين وأن يربطها بمواد أخرى، مثل النباتات الطبيعية أو الأحجار أو روث الحيوانات وشعرها، فقد اعتمدت العمارة الطينية في وادي حضرموت على مواد بناء محلية[٣]، وقد تحدث الكثير من الرحالة والمستشرقين، عن وادي حضرموت، وتميُّز عمارته التي أثبتت تعايش الإنسان مع بيئته، فظهرت مدن نالت إعجاب المهتمين بفن العمارة؛ فتلك شبام وتريم والهجرين وغيرها، من مدن وادي حضرموت وقُراه[٤]، التي تجلَّت فيها عبقرية الفنان الحضرمي في العمارة الطينية.

وتعد مدينة تريم من المراكز العمرانية الأكثر أهمية في حضرموت، وتحتوي على تراث عمراني وثقافي بالغ الأهمية، كما تشتهر بالكثير من أنماط البناء والطرز المعمارية ومجموعة من المباني التاريخية[٥]، فقد استقدم الحضارم فنونًا معمارية جديدة من أرض المهجر، مزجت بفن البناء في حضرموت، وتأثر الفن المعماري بما قدم إليه من هناك، وأخذت أفكار معمارية، وتم صهرها في بوتقة الإبداع الحضرمي، وخرج من ذلك عمل جديد يُظهر عبقرية البنائين في استخدام المواد المحلية[٦]، وتوظيفها لتصبح ملائمة للبيئة في حضرموت حتى تفيء بإظهار الطراز المعماري الجديد المنقول من بلدان المهجر، وبذلك تم مزج الطراز المعماري المحلي بالطراز المعماري الخارجي، فتكوَّن طراز معماري جديد وفريد من نوعه، تميزت به مدينة تريم عن غيرها من مدن حضرموت خاصةً أن مدينة تريم مرتبطة ارتباطًا وثيقًا ببلاد المهجر لاسيما بلدان شرق آسيا.

وظهرت عدد من المساجد والقصور والمباني الملبية لحاجات ومتطلبات الذوق المحلي في هندسة العمارة، ويمكن اعتبار هذه المرحلة مدرسة جديدة، ولد من خلالها جيل معماري جديد، ولعل أبرز نماذج هذه المرحلة المعمارية ما يقف أمامنا من قصور، كقصور الكاف وبعض مساجد مدينة تريم[٧]، وتتكون مواد البناء المحلية المستخدمة في العمارة الطينية لمدينة تريم من الآتي:

١) الأساسات الحجرية:

إن معظم المباني الطينية في وادي حضرموت لم تخل من وجود أساسات حجرية، تقوم عليها الجدران الخارجية، التي تشكل هيأة المبنى العام[٨]، وتستخدم الأحجار الكلسية في بناء الأساسات للمباني الطينية[٩]، إلا أن ثمة اختلافات وتجاوزات قليلة في بعض المباني، تمثلت في عدم وجود أساسات محيطة بعموم المبنى، وهذه الظاهرة توجد في المباني التي تم إنشاؤها على المنحدرات الجبلية الصخرية، فكان يتم عمل الأساسات من الجهة الأمامية، بحيث يساوي موضع بداية بناء الجدار الخلفي، وتكون أساسات الجوانب مكملة ومساوية لمنسوب الأساس الأمامي، ولكي تصبح أرضية المبنى الأمامية معتدلة فإنه يتم ردم المنطقة ببعض المخلفات الترابية أو غيرها[١٠].



(لوحة رقم: ١) عملية بناء الأساسات الحجرية

٢) مادة الطين:

ينتج الطين عن تحلل طبقات صخور الأرض الأساسية، حيث تؤثر عوامل التعرية في الصخور، وغالبًا ما تكون ميكانيكية عبر تحرك طبقات الأرض، المياه الجارية، الرياح وتمدُّد المادة وانكماشها بسبب اختلاف درجات الحرارة، ويتكون الطين من خليط من مواد عدَّة، منها الطمي، والصخر الرملي (الحجر الرملي)، والرمل، وفتات صخري، ومواد عضوية أخرى[١١].

٣) المدر:

المدر؛ مفردها مدرة: وهو الطوب الطيني المجفف بوساطة أشعة الشمس، وترتكز العمارة الطينية بوادي حضرموت بدرجة رئيسة على الطريقة التقليدية في صناعة الطوب الطيني، الذي يُعرَف محليًا بالمدر، ويمثل المدر أساس العمارة الطينية في وادي حضرموت وسر نجاحها طيلة هذه السنين، ويستخدم نوع معين من الطين في صناعة المدر يطلق عليه (الزبر)، وهو نوع يمتاز بخواص عدَّة، منها: اللدونة ونسبة الطمي العالية، ولونه الأحمر لاحتوائه على مركبات الحديد، ويطلق على هذا النوع من الطين علميًا بسلكيات الألمنيوم المحتوية على الماء وخليط من بعض الشوائب وفتات الصخور، وهناك بعض الخواص الطبيعية والكيميائية التي يجب توافرها في الطين ليكون صالحًا للبناء، فمن هذه الخواص الطبيعية اللدونة على سبيل المثال، وهي خاصية تسمح للطين بالتشكل واحتفاظه بشكل القالب، ويصبح الطين لدنًا بإضافة الماء إليه، ومن الخواص الطبيعية أيضًا خاصية الانكماش، وتتأثر هذه الخاصية بدرجة رئيسة بنسبة الطمي في الطين، فكلما زادت نسبة الطمي زادت قدرة الطين على امتصاص الماء، ومن ثم زادت نسبة انكماشه[١٢]، فالطريقة المستخدمة في إنتاج المدر هي؛ أن يُكوَّم الطين وتعمل له فتحة من الأعلى ويُحوَّم بحيث يصبح كحوض ماء ثم يصب عليه كمية وافرة من الماء حتى يمتلئ، ويترك فترة، ثم يتم التخمير للطين[١٣].



(لوحة رقم: ٢) طين جهاز للتشكيل

وبعد ذلك يخلط الطين مع التبن (التبل)، ويُضاف إلى المزيج أحيانًا روث الحيوانات وشعرها، ثم يخلط بكمية من الماء، ليصبح لدنًا كالعجين، وتشكل وحدات الطوب (المدر) بوضعها في قالب خشبي يسمى (مفتل)، يأخذ شكل الطوبة النهائي، وهناك أحجام مختلفة من المدر تختلف باختلاف الاستخدام[١٤]، وبعد ذلك يُترك معرَّضًا لأشعة الشمس أيامًا عدَّة حتى يجفّ.



(لوحة رقم: ٣) المدر بعد عملية التشكيل



(لوحة رقم:٤) العملية الأخيرة للتجفيف المدر (تنشيره)



(لوحة رقم: ٥) المفتل الخشبي

٤) الطين (الغُرُق):

هي الطينة المعجونة، التي تستخدم في تماسك المدر بعضه مع بعض في الجدار؛ تجهز هذه الطينة بمكونات الخلط لعجين المدر نفسه وطريقته التي أسلفنا ذكرها، مع الاختلاف في نوعية التبن والماء وكميَّتهما، ثم توضع الطينة المعجونة على الأساس الحجري، ثم يتم وضع (المدر) اللبنات الأولى، ثم طبقة أخرى، وهكذا حتى بناء خمس مدرات، ويسمى هذا الجدار المكون من خمس مدرات (مُوفِر)[١٥]، وتستخدم هذه الطينة المعجونة في تغشية وتكسية (محضة) الجدران الداخلية والخارجية مع اختلاف في نوعية التبن والماء وكميَّتهما، وتكسى الجدران بطبقة من الطين الناعم والمخلوط بـ(التبن)، حتى تكتسب قوة ومناعة ضد الأمطار، بحيث لا تصل إلى دواخل الجدران، أما من الداخل فتكتسب الجدران نعومة وشكلاً مناسبًا، إضافة إلى الوقاية من وجود بعض الحشرات أو غيرها في الفتحات، التي عادة ما توجد في الجدران غير المغشَّاة[١٦]، وتستخدم في أعمال التكسية (المحضة) أدوات هي الفارة، والطاب، والحديدة، والبُلد، وتضاف لطين التكسية (المحضة) كمية كبيرة من التبن؛ لتعطي قوةً وجودةً عاليتَيْن، كما أنه يُفضل أن تكون الطينة خالية من الأملاح والشوائب حتى يتلاءم المسكن مع طبيعة المنطقة، ففي الشتاء يحتفظ بالحرارة، وفي الصيف يحتفظ بالبرودة، وبذلك ينسجم المبنى مع ما يسعى الإنسان إلى توفيره، ليكون المبنى أكثر انسجامًا مع البيئة والإنسان.

٥) النباتات الطبيعية:

تشكل النباتات الطبيعية في وادي حضرموت ثاني أهم الموارد الطبيعية، التي تستخدم في تشييد المباني الطينية، وتأتي أهمية هذه الموارد من كونها تدخل في بناء الجسور وتشييدها، الرابطة في أساسات وجدران المبنى الطيني وتسمى البسوط، وهي تعمل عمل الميدات والكمرات في البيت الأسمنتي الحديث، كما تدخل في تشييد الأعمدة والسقوف، والأبواب والنوافذ والجسور فوق أعتابها العليا (التياسير)، وتعدُّ شجرة السدر (العِلب) إحدى أهم هذه الأنواع؛ إذ تستخدم جذوعها المعمرة والمسمى (الحمر)، وتشتهر هذه الشجرة بمقاومتها لحشرة الأرضة،

إضافة إلى ذلك هناك عددٌ من النباتات الطبيعية التي تستخدم في أعمال البناء، مثل نبات اليعبور، الذي يستخدم في بناء الأسقف، وربط الجدران لا سيما جدران الأساسات، وكذلك نبات اليثيان، وهو نبات ذو سيقان ليفية، ونبات الحسار ذو السيقان الطويلة والرفيعة التي تشبه نبات اليعبور، ونبات الأراك، وسعف النخيل والحصير المصنوع منه، ونبات العُشر، حيث يتم وضعه فوق المرابيع الخشبية ورصه بأشكال هندسية، تعطي السقف من الأسفل منظراً زخرفيًا بديعًا[١٧]، وفي مدينة تريم لم تعد جميع هذه النباتات تستخدم في أعمال العمارة الطينية في وقتنا الراهن إلا قليلاً منها، مثل خشب السدر، ونبات الأراك، الذي يستخدم في الأسقف، إضافة إلى المواد الحديثة التي أُدخلت في أعمال العمارة الطينية، مثل الحديد الصلب (الريلات)، والقصب (المواسير) أو الجسور والأعمدة الخرسانية الحديثة، والسبب في ذلك قوتها، وسهولة الحصول على تلك المواد الحديثة، مقارنةً بغيرها من النباتات الطبيعية.

- **التبن (التبل)**: هو عبارة عن القش الناتج من تصفية نبات البر (القمح)، وهناك حجمان من التبن:

- **تبن خشن**، ويستخدم في الغالب في طين صناعة المدر (الطوب الطيني)، وكذا في طين المؤنة (الغرق)، وطين التكسية (المحضة) الأولية للجدران.

- **تبن ناعم أو دقيق**، ويستخدم في طين التكسية (المحضة) الناعمة والأخيرة للجدران والسقوف[١٨].



(لوحة رقم: ٦) التبن (التبل)

٦) النورة:

تعدُّ النورة إحدى أهم مواد البناء المستخدمة في العمارة الطينية؛ إذ تستخدم في أعمال اللياسة (الطرقة) والبياض، ويعد الحجر الجيري، هو مادة الخام الأولية، التي يتم تصنيع النورة منها، وتصنع النورة في وادي حضرموت من الأحجار الكلسية المتوافرة في الجبال والوديان؛ إذ تجلب من هناك، وتوضع في أفران خاصة، وتضرم النيران عليها لأيام عدَّة[١٩]، ثم تنقل بعد ذلك إلى المعمل لتجهيزها؛ وتوجد في مدينة تريم الكثير من معامل النورة، وهناك طريقتان لإنتاج النورة، هما:

أ - **الطريقة القديمة**: وهي تقليدية يدوية، توضع النورة في أحواض مخصصة، وتتم عملية إضافة الماء، وتترك لمدة لا تقل عن اليوم؛ بعد ذلك تبدأ عملية الخلط للمزيج بالضرب بأعواد خشبية مخصصة (مسباط)، وتسمى بعملية السباطة؛ لسحق ما تبقى من حبيبات الجير الحي وخلطة بالماء بصورة جيدة[٢٠]، وهذه الطريقة بحاجة إلى جهد كبير، غير أن إنتاجها قليل وتكلفتها باهضة الثمن.



(لوحة رقم: ٧) أثناء عملية سباطة النورة

ب - **الطريقة الحديثة**: وهي ميكانيكية حديثة، توضع النورة في أحواض مخصصة، وتتم عملية إضافة الماء، وتترك لمدة لا تقل عن اليوم؛ بعد ذلك تشغل المكينة الخاصة (وهي مؤلفة محلية)؛ لتقوم بعملية خلط المزيج وتدقيق النورة وسحقها، وهذه الطريقة سهلة وبسيطة، ويكون إنتاجها أكثر بكثير من الطريقة التقليدية.



(لوحة رقم: ٨) معمل حديث لإنتاج النورة

وتستخدم النورة في أعمال البياض (الرشاشة) لطلاء الجدران، وأعمال اللياسة (الطرقة)، فتخلط النورة بالبطحة (رمل + نيس)؛ لتزيد من صلابتها، كما يستخدم أيضًا، كمؤنة لربط أحجار الأساسات، وتخلط النورة مع البطحة والرماد على التوالي؛ لتزيد من صلابة مؤنة النورة ومقاومتها للماء[٢١]، وأصبحت في وقتنا الراهن تخلط النورة بالبطحة والأسمنت معًا، لتعطي أكبر قوة وصلابة.

ولعل أهم ما يميز النورة كونها تستطيع التغلب على عيوب الطين وسلبيته أمام عوامل التعرية من رطوبة ورياح وأمطار، كما أن لها دورًا في تحسين خواص مادة الطين، بسبب عازليتها للحرارة وقدرتها على تقليل الإشعاع الشمسي من خلال عكس جزء كبير من الأشعة الشمسية الساقطة على سطح المبنى، ومن ثمَّ تقلل من كمية الحرارة المكتسبة، فالطلاء الأبيض يستطيع أن يعكس ٨٠٪ من الأشعة الساقطة، فضلاً عن استخدامها في أعمال الزخرفة والديكور[٢٢].

تبين لنا من خلال هذه الدراسة أن العمارة الطينية تتميز بالكثير من الخواص و المميزات الملائمة للبيئة، التي تلبي حاجات الناس؛ الأمر الذي جعل الإنسان في وادي حضرموت عمومًا، ومدينة تريم خصوصًا، يهتم بها دومًا ويسعى إلى تطويرها لتفي بحاجات الحياة العصرية الحديثة ومتطلباتها، ولا يعني ذلك أنها خالية من السلبيات، فهناك – على سبيل المثال – بعض العيوب والمخاطر التي تهدد العمارة الطينية، مثل عوامل التعرية، وغيرها من العيوب والمخاطر الأخرى، لذا تتطلب العمارة الطينية جهوداً جبارة للحفاظ عليها وتطويرها، بما يتناسب مع حاجات الناس ومتطلباتهم العصرية الحديثة.

الهوامش:

(١) الجرو: أسمهان سعيد، دراسات في التاريخ الحضاري لليمن القديم، دار الكتاب الحديث، عدن، ١٤٢٣هـ – ٢٠٠٣م، صـ١٩٥.

(٢) السقاف: عبدالرحمن حسن، والعيدروس: حسين أبوبكر، حولية الآثار اليمنية، (تقرير عن التنقيب الأثري في موقع عادية الغرف – حضرموت، الموسم الثاني)، العدد ٢، صنعاء، ٢٠٠٩م، صـ٣ – ٧.

(٣) باراشد: خالد ناصر، مواد البناء المحلية في وادي حضرموت، ((دراسة تحليلية))، هندسة معمارية، حضرموت للدراسات والبحوث، مج الثاني، العدد ٢، ٢٠٠٢م، صـ٣٦.

(٤) عيديد: حسن عيديد، دور الهيئة العامة للمحافظة على المدن التاريخية، ((مشروع تنمية المدن التاريخية في اليمن ((٢٠٠٠ – ٢٠١٠م)) المشروع اليمني الالماني (دراسة حالة)، صـ٤.

(٥) عبد الغني: ريم، دراسة حول أسس تصميم المساجد القديمة في مدينة تريم حضرموت – اليمن، رسالة ماجستير، سوريا، ٢٠٠٥م، صـ٢٤.

(٦) مصباح: محمد سالم، + عفيف: صبري هادي، العمارة الطينية عند المعماري عوض سليمان عفيف وإخوانه (دراسة معمارية تاريخية)، مكتبة تريم الحديثة، ط ١، ١٤٣٤هـ – ٢٠١٣م، صـ١٩.

(٧) المرجع نفسه، صـ١٩.

(٨) العيدروس: حسين أبوبكر، اختيار مواضع إنشاء المستوطنات في (عهد إمارة آل يماني بحضرموت) وأبرز العوامل المؤثرة عليها "خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين"، ((دراسة تاريخية– أثرية))، بحث مقدم للندوة العالمية السابعة لتاريخ الجزيرة العربية، كلية الآداب، جامعة الملك سعود، الرياض، ٥ – ٧ يناير ٢٠١٩م، صـ٢٩.

(٩) السقاف: محمد عبدالله، مدى ملاءمة المباني الطينية للعمارة والبيئة، ضمن أبحاث ودراسات تريم عاصمة الثقافة الإسلامية / ثلوثية بامحسون، دار حضرموت للدراسات، ط ١، ٢٠١٠م، صـ٢٣٧.

(١٠) العيدروس: المرجع السابق، صـ٢٩.

(١١) باراشد: المرجع السابق، صـ٣٢-٣٣.

(١٢) المرجع نفسه، صـ٣٦– ٣٧.

(١٣) المساوى: مازن إبراهيم، الدليل الإرشادي لتحسين مقاومة البناء الطيني للأمطار والسيول بوادي حضرموت، مشروع إعادة إعمار المعيشة المبكر لمحافظتي حضرموت والمهرة (برنامج الأمم المتحدة الإنمائي – اليمن) ط ١، ٢٠١٣م، صـ٣٩.

(١٤) باراشد: المرجع السابق، صـ٣٦-٣٧.

(١٥) المساوى: المرجع السابق، صـ٥٦.

(١٦) العيدروس: المرجع السابق، صـ٣١-٣٢.

(١٧) باراشد: المرجع السابق، ٣٩– ٤٠.

(١٨) المساوى: المرجع السابق، صـ٣٨.

(١٩) ينظر باراشد: المرجع السابق، صـ٤١ – ٤٤.

(٢٠) المساوى: المرجع السابق، صـ٤٤.

(٢١) باراشد: المرجع السابق، صـ٤٢.

(٢٢) باراشد: المرجع نفسه، صـ٤١.

50
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

عادات وتقاليد هضبة دوعن في سطور (١ - ٢)





سالم محمد بجود باراس

ما تتناقله الألسنة شفويًا لابد أنْ يتناثر غالبه في مهب الريح، وخاصة في هذا الجيل الذي اختلط عليه الحابل بالنابل، ومات الأجداد الذين حفظوا العادات الأصيلة، ومَن بقي منهم خالطه الزهايمر، لذا فالكتابة والتدوين هي السبيل إلى حفظ ما أمكن من العادات والتقاليد، حاولت جاهدًا أن أدوِّن ما استطعت إلى ذلك سبيلًا، فكتاب المقدَّم بانهيم يحوي شذرات من عاداتنا وتقاليدنا، ثم رأيت أن لابد من أنْ أتوسع قليلًا فخرج كتاب "زبدة الخلاصة في عادات وتقاليد حضرموت" يحوي كمًّا لا بأس به، ونحن هنا اليوم ندوِّن ما بقي لنطوي صفحة نظنُّ أنها قد نفذت "ذخيرتنا من المسبت" كما يقول الأجداد، ونترك لِمَنْ بعدنا يكمل المشوار.

العادات والتقاليد هي ذخيرة الأجداد، وهي مليئة بالكنوز من حكم ومواعظ وأمثال ونصيحة وعادات حسنة، نأخذ أحسنها، وإنَّنا نقول: مَنْ لا عادات ولا تقاليد له يفتخر بها فلا تاريخ له، كان الأجداد ولا زال منهم البعض حيًا يُرزَق يصارع الموت أو لِنَقُل: إنَّه في آخر عمره، يتصف بذاكرة، ويحكي لنا وتكاد دموعه تلامس الأرض من ذكريات وأطلال الماضي الجميل، حيث المحبة والتسامح والصدق والأمانة والنخوة والنجدة وهلمَّ جرًا، وها هو اليوم يرى ما يندى له الجبين، فنبت جيلٌ لا نفخر به، جيل يجترُّ أغصان القات، ويضيع أوقاته هدرًا، وترك القراءة والاطلاع والإبداع، وهنا نتذكر تلك النصيحة التي تربَّى عليها أجدادنا عندما كانوا يزرعون في أبنائهم الهمة والعمل والعزيمة (من لا يذبح شأته، ويخزم حذاته، ويرقع ثوبه، موته أحسن من حياته) هنا يقول المثل الحضرمي للجيل تعلَّمْ كُلَّ شيءٍ؛ لتكون ذا قيمة في مجتمعك ولا تكون عالة.

سنبدأ حديثنا منذ صغر الطفل، في ذلك الزمن كيف فراشه، وكل ما كان في ذلك الزمان؛ لنأخذ لمحة خاطفة عن هذه العادات والتقاليد والموروث الشعبي.

أدوات الطفل منذ ولادته:

فمنذ ولادة الطفل يصبح تحت عناية أمه وبمساعدة والدة الأم وهي الجدة التي تحرص دائماً على التمسك والتشبث بما كان عليه أسلافها الأوائل، فيتم تحضير ما يسمى (الشدود)، وهو صمغ يستخرج من شجرة (الرشح)، وهي شجرة تنمو بالجبال والسهول وبطون الأودية، وقد تكلمنا عن أنواع الأشجار والنباتات في كتابنا المسمى (الأعشاب والنباتات بمرتفعات هضبة حضرموت) مبينًا ذلك بالصور، والشدود يتكون من نباتات عدَّة: شجرة الرشح مكون أساسي يضاف له المحلب، والقرنفل، والهيل، والنيل، ويوضع بالظل ليجف، بعدها يستخدم بحيث تقوم الأم بالمسح على وجهه بخطوط عدَّة طولاً وعرضًا كزينة تعارفَ عليها الناسُ منذ زمن بعيد، وكذلك يوضع على أعلى الرأس يقال بأنه يشد ويقوي موقع (النغاة أو النغية)، وهي المنطقة الرخوة أعلى الرأس.

ومن العادات والتقاليد المتعارف عليها إعطاء الطفل مادة (الصبر)، وهي مادة ذات طعم مُرٍّ، تفيد في مقاومة الأمراض، وتشد عظام الطفل، وهي مضاد حيوي مهم، بحيث يقضي على البكتيريا والديدان بأنواعها وغير ذلك، يبدأ شربه للصبر منذ ولادته وحتى يصبح ابن سبع سنوات، بعدها يعطى له كل شهر مرة أو حسب الحاجة .



يتم قبل ولادة الطفل صنع له (المَزَب) (بفتح الميم والزاء)، وهو من أندر الأشياء القديمة التي حصلنا عليها بصعوبة لكي نلتقط لها صورة، ويصنع من جلود الأغنام وله نقوش وزخارف يد وبقصّات طولية للجلد، وله ثلاثة عيدان، ينصب عليها وتحمله روعة في الجمال، وله أطراف على شكل كالخيمة تسمى (المراكي) ليبقى الطفل معلقًا من الأرض قرابة الذراع ليسهل تحريكه وهدهدته عندما يصرخ ليكف عن البكاء وينام.

بيت المخاتين:

سمي بذلك لأن الطفل يوم ختانه تظل أمه تفرِّق بين رجليه بيديها حتى لا يجرح نفسه، فتقوم النساء بالغناء (والشرَح)، والشرح هو التصفيق بالأيدي مع رفع صوت الغناء بشكل جماعي من الليل وحتى قرب الفجر؛ لكي لا تنام الأم وهي ممسكة بطفلها، وعندما تتعب تساعدها إحدى قريباتها، كمساعدة وتكافل اجتماعي، ويستمر ذلك الغناء من النسوة لمدة ثلاثة أيام بلياليها، وهو ما يطلق عليه بيت المخاتين، وفي الوقت الحالي تطور العلم وأصبح الطفل دون مساعدة لوجود الحفَّاظات، ولكن الغناء لا زال لبعض الوقت في الليل، ولمدة ثلاثة أيام.

الهدّاة

صناعة يدوية قديمة، اشتُقَّت من المهد، أي هدهدة الطفل لينام أو يسكت عن البكاء، وتتكون الهداة من الآتي:





السَيف: وهي خشبة توضع بالأسفل، يشد بها جلد الغنم الذي ينام عليه الطفل، وتسمى (السفر) بكسر السين وفتح الحاء.

الحَوْمَل: بفتح الحاء وسكون الواو وفتح الميم، وهو عُودٌ يتم عطفه على شكل قوس، يشد إلى السيف، وهو ما يوضع على الكتف حينما تحمله الأم وترتحل به من مكان لآخر.

الكَرَش: وهو القوس الأسفل الذي تثقب له فتحتان نهاية طرفيَ عود السيف ليتم تثبيته عليها ويشد بحبال من جلد الغنم.

المنخَاس: وهو العود الذي يثبت بوسط الهداة وملتصق بالحومل وهو القوس الأعلى، والكرش وهو القوس الأسفل.

السِفَر: بكسر السين وفتح الفاء وهو جلد يفرش للطفل وسط الهداة، وتثقب له فتحتان للمخروج وحيث ما وضعته أمه بأي اتجاه يكون مخروجه (الغائط) يخرج للخارج، وقد كان قديماً لا توجد ملابس كافية أو حفَّاظات كما هو اليوم.

الجَلال: تنطق بفتح الجيم وكسره، وهو غطاء خلفي مصنوع من سعف النخيل يغطى به الهداة، وفي الوقت الراهن يغطى بكيس أبيض مثل كيس الدقيق حاليًا.

هذه هي مكونات الهداة قديماً، وسنشرح بعض ما كان يستخدم للطفل من أدوات وزينة، إذ كان لا يستغني عنها وتعد من الموروث الشعبي، وهي كما يأتي:

53
العدد (27)
يناير
مارس
2023م



المَوْجَر: بفتح الميم وسكون الواو وفتح الجيم، وهو وعاء صغير يصنع من شجرة الرشح لسهولة نجره وحفره، أو من الخشب العادي، ويستخدم الموجر لشرب الصبر واللبن من الأغنام، فالصبر يضاف له قطرات من زيت السمسم ويسقونه الطفل، واللبن يضاف له سمن الغنم ويعطى له ليقوِّي عظمه وتزوده بالعناصر والفيتامينات اللازمة لجسمه.

وعندما يصاب بمغص يعطى له القمحة، وهي معروفة بحضرموت، وقد أشرنا إليها في كتابنا (السراج الوهاج في معرفة العلاج)، وكذلك يُعْطَى الطفل للمغص مادة المر بضم الميم، وهي أيضًا معروفة.

المَرقَبة: بفتح الميم وسكون الراء وفتح القاف والباء، وهو جلد غنم مصنوع بطريقة معينة وجميلة في شكل عقد مترابطة ومتقاربة، ثم يخاط عليه خرز صغيرة ذات ألوان متعددة، ثم يعقد طرفه عقداً عدَّة بالجلد، ويفتح له بالطرف الآخر عين ليتم ربطه بها، والمرقبة اشتقت من كلمة الرقبة؛ لأنها تعلق كقلادة بعنق الطفل الصغير؛ إذ يَعتقدُ النَّاسُ أنها تحافظ على رقبته من (النغية)، فالنغية بحسب الموروث هي سقوط اللهاة في الحنجرة فحينها يصاب الطفل بالقيء والغثيان فيمتنع عن الأكل والشرب، فيتم استدعاء حكيمة له، فتقوم بإدخال يدها إلى خلف اللهاة وترفعها بطريقة معينة، حينها يتعافى الطفل سريعًا، علماً أنَّ ذلك قد يحدث للكبير سواءً رجلاً كان أو امرأة، فيقال (مرقوب)، وهو نادر جداً، وهذا من موروث الطب الشعبي بحضرموت.

النَسعَة: بفتح النون وسكون السين وفتح العين، هي حزام مصنوع من جلد الغنم خفيف، عرضه لا يتجاوز ٣سم، والطول حسب الحاجة، ثم يرتديه الطفل في ذلك الوقت.

الكحل: يعد من ضرورات الطفل منذ صغره، ويضاف للكحل العادي شب وعجوة التمر، تسمى بحضرموت (عَجَم) (بفتح العين والجيم)، حيث يحرق ويضاف للكحل مع الشب، ويُعتقَد أنها تقوِّي النظر وتحافظ عليه.

ويظل الطفل تحت الرعاية والاهتمام من أمه حيث تدهن



له بالمعصرة (زيت السمسم) كل صباح ومساء، وعند شروق الشمس تخرجه ليتشبع من حرارتها لمدة ربع ساعة، يتم بعدها غسله بالماء الدافئ والغُسّة (مسحوق ورق السدر)، ثم يعاود له المساح (وهو التخطيط بالشدود أو ما يسمى البُومة)، والبُومة (بضم الباء وسكون الواو وفتح الميم) هو الشدود نفسه بعد خلطه بالمكونات التي تكلمنا عنها سابقًا.

النفاس: عندما تلد المرأة وتضع مولودها يقوم الزوج بجلب كل الضرورات لها، من شراء المعصرة (زيت السمسم)، وذبح رأس غنم، وإحضار العسل (بَغِية أو مَرِية أو سُمرة وغيره من أنواع العسل بدوعن)، وتطحن لها قريباتها على المرهاة الذرة والمسيبلي والطهف، كل هذا الأكل المركز والمفيد لصحتها، إضافة إلى الراحة الكاملة لمدة أربعين يومًا، وخلال هذه الفترة لا ينقطع عنها اللحم والمرق والفتّة؛ وهي فت خبز الذرة أو الطهف ونحوها في صحفة يسكب عليها لبن الغنم والسمن وزيت السمسم فتأكل منه، إلى جانب أكل (التمر الحجري)، وسمي بذلك نسبة إلى مديرية حجر، ويعد أجود أنواع التمر بحضرموت، وأصبح في عصرنا الحالي يصعب الحصول عليه لغلاء سعره، إلى جانب ذلك تُعطَى النفاسُ العصيدة الحضرمية، وهي غنية عن التعريف.

الضَفير: (بفتح الضاد وكسر الفاء)، وهو صوف الأغنام، يصنع يدويًا؛ لتلفه النفاس حول خصرها، وطوله ثلاثون ذراعًا، وهو مفيد حسب الموروث الشعبي لشد البطن؛ لكي لا تسمن وتكبر بطنها في أثناء راحتها، وهو مفيد جدًا لشد الظهر وتقويته، ويلازم الضفير النفاس مدة أربعين يومًا.



المرأة والأعمال الشاقة:

المرأة الريفية امرأة تقوم بأعمال شاقة لتساعد زوجها، فهي الأم والمربية والراعية لغنمها، وسوف نوجز ذلك في نقاط ليعرف الجيل الجديد قدرة الأمهات وصلابتهن قديماً وحديثًا، فمن هذه الأعمال ما يأتي:



55
العدد (27)
يناير
مارس
2023م



• مربية في بيتها، وتطبخ، وتكنس، وتطحن الطعام على الرحا والمرهاة.

• بعد أن تقوم بمهامها من بعد صلاة الفجر إلى شروق الشمس، تسرح بأغنامها، وتجوب بطون الأودية والسهول والجبال بحثًا عن العشب والماء، ثم تعود عند غروب الشمس، وهي متعبة لتطحن لزوجها وعيالها الطعام وتقوم بمهام البيت، وأحيانًا تسرح بغنمها وهي حامل وتلد طفلها حيث لا أنيس ولا ونيس، وقد تجهزت بالموس والحبل لقطع الحبل السري، وتأتي بغنمها وهي تحمل وليدها في منظر قلّ أن تسمع أو تشاهد مثله في صمود أسطوري، بعدها تلازم البيت وتكون تحت الرعاية الكاملة كما أسلفنا.



• وفي أثناء راحتها تغزل على آلة المغزل، وهو عود طوله قرابة الذراع، وله مثل السنارة أعلاه، تعمل على فتل الصوف (شعر الغنم لعمل (الضفير، الحَبُس، الحثمة)، وغير ذلك، وتقوم بدبغ الجلود وعمل منها (لقربة، الخراطة، القماش، الشكوة، السقا، الغشاء، والمرقبة للطفل الصغير، والنسعة)، وغير ذلك من الصناعات اليدوية من جلد الأغنام.

• وعندما تكون سارحة بأغنامها تقوم بأعمال يدوية من تطريز لعمامة الكلان (العريس) ونُقبَة العروس تسمى (العطفة) بتطريز يدوي دقيق وجميل جدًا، وكذلك تصنيع البراقع للنساء، وغير ذلك من أنواع الفن اليدوي.

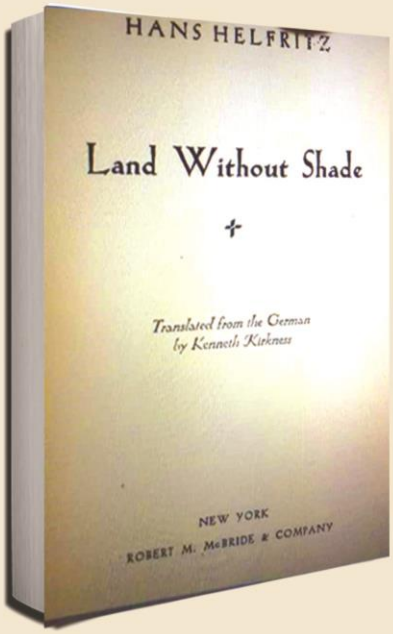
هذا جانب من أعمال أخرى تقوم بها المرأة الريفية إلى جانب مساعدة زوجها في أمور، شتى فهي لا تكل ولا تمل، صلبة وصامدة، فهي التي تجلب الحطب، وتكنس مخلفات الغنم من الدمان (السماد الطبيعي)، وتحمله إلى خارج الزريبة، هذه لمحة خاطفة لما تقوم به المرأة في ذلك الزمان.

• وفي وقت الصراب، صراب القصب) السنابل) تكون المرأة في مقدمة الرجل لتساعده من طلوع الفجر حتى غروب الشمس، وكذلك الحشيش (وهو حش الرمام) بالشريم.



56
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

أرضٌ بِلا ظِلال



هانس هيلفريتس (Hans Hilfritz)

ترجمها من اللغة الألمانية إلى اللغة الإنجليزية
كينث كيركننز (Kenneth kirkness)

نيويورك
روبرت م. ماكبرايد

أرض بلا ظل
حقوق النشر هانز هيلفرتز ١٩٣٦م
طبع في الولايات المتحدة الأمريكية
النسخة الأولى

النسخة الألمانية لهذا الكتاب
نشرت في مدينة ليبزج (liepzig) في كتابين
الأول بعنوان (شيكاغو الصحراء)
والثاني بعنوان (أرض بلا ظلال)



ترجمة: د. خالد عوض بن مخاشن

الفصل السادس

الرقص والموسيقى في الجنوب العربي

عاد السيد أبو بكر بن شيخ الكاف رئيس أسرة الكاف الأميرية من زيارة له إلى مدينة المكلا، وبمناسبة عودته سالماً سيقام حفل، وسوف تشارك المدينة كلُّها في هذا الحفل، وسيقام رقص شبواني (شبواني نسبة إلى مدينة شبام)، أي: إن الرقص الشبواني هو الرقص الشبامي. ومنذ الساعات الأولى للصباح جاب الطبَّالون شوارع المدينة وهم يضربون بعصي خشبية طويلة الطاسة (طبل معدني صغير مغطًّى بجلد حيوان) منتجين إيقاعًا مميَّزًا، وهذا الإيقاع هو دعوة لرجال المدينة للمشاركة في الرقص الشبواني الذي سيقام في المساء. وليس للرقصات الشبوانية أي ارتباطات ثقافية أو دينية،

57
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

بل هي أقرب إلى أن تكون مسرحيات إيمائية بسيطة ساذجة، كمقدمة للأغاني الدرامية التي تُغنَّى على شرف السيد أو الأمير، ويسبق هذا الرقص مرور موكبٍ في المدينة في الساعة الخامسة عصراً. يتقدَّم الطبَّالون هذا الموكب، وحامل الهاجر (طبل مزدوج) يكون في الوسط، وعلى جانبيه شخصان، كل واحد منهم يحمل الطاسة، ويمشي الراقصون خلف الطبَّالين مباشرة في هذا الموكب. يغني ويرقص مئتان أو ثلاثمائة من الرجال وهم يمشون عبر الشوارع مشكِّلين صفوفًا متتالية، كل صف مكوَّن من ثمانية رجال، كل رجل يحمل هراوة طويلة، وبين الفَينة والأخرى يرمي بها إلى الأعلى ثم يلتقطها قبل أن تصل إلى الأرض، ويصاحب هذه الحركات صيحات عالية جداً. يتواصل الرقص على النحو الآتي: يحمل الراقصون هراواتهم وكأنها بنادق، وبمصاحبة أغاني الشبواني تتمايل أجسادهم، يتقدمون ثلاث خطوات إلى الأمام، ويتراجعون خطوة إلى الخلف، بعد ذلك يتوقَّفون يلتفتون ثم يرمون بهراواتهم إلى الأعلى ليبدأ الرقص من جديد. يلتحق الكثير والكثير من الناس بالموكب الذي يشق طريقه تدريجيًا باتجاه قصر السيد الكاف. خارج القصر، الذي وصله الموكب بعد حوالي الساعة، يحتشد جمع كبير من المشاهدين وجمعٌ من النساء في مكان بعيد عن مكان الرجال، أمَّا السادة فهم في شرفة القصر. بعد ذلك يجلس الطبَّالون والراقصون على الأرض جلسة القرفصاء ويأخذون شالاتهم الطويلة التي كانت حتى تلك اللحظة على أكتافهم، ويربطونها حول رُكبهم ليجعلوا تلك الجلسة مريحة. يتقدَّم الشاعر، شاعر البلاط، واثنان من المغنين إلى الأمام ويأخذ الشاعر يقول بعض قصائد المديح للسيد الكاف. ويضع المغنون أصابعهم في آذانهم ويبدأون يغنون معًا كل بيت شعر يقوله الشاعر. هذه الطريقة من الغناء (الغناء مع وضع الأصابع على الأذنين)



السيد أبو بكر بن شيخ الكاف

تشجع المغني على الاعتقاد بأنه يغني بصوت له حجم أكبر من حجم صوته الحقيقي. ينقسم حشد الراقصين على فريقين فيغنون الأغنية الشبوانية ويرقصون إلى الأمام وإلى الخلف، ويستمرون في الرقص إلى أن يصلوا في الأخير إلى شاعر البلاط، فيعملون حلقة حوله ويصدرون صوتًا عاليًا، مُمسِكين بهراواتهم فوق رأسه، ثم يعودون راقصين إلى أماكنهم السابقة، ثم يقول الشاعر أبياتًا شعرية أخرى، فيغنيها المغنون، ويعود الرقص من جديد.

وبعد توقف قصير لأخذ قسطٍ من الراحة، يُستأنف الحفل في الساعة التاسعة مساء. وأبناء أسرة الكاف لايزالون جالسين على السجاد المفروش في الشرفة الكبيرة، ويجلس القرفصاء ثلاثة مغنين وشاعران في الساحة، ووُضِعَ مصباحان (لمبتان) في الساحة شبه المظلمة ومباخر عدَّة. يقُدَّم الشاي للذين يستمعون للشاعرَين والمغنين. ويحصل تنافس حادٌّ بين الشاعرين، وكان المغنون يقاطعونهما بتغنِّي



أبوبكر بن شيخ الكاف وعن يمينه السلطان الحسين بن علي الكثيري
ثم العلامة الحبيب زين بن حسن بلفقيه

ما يقولانه من شعر. هذا الغناء فيه شجىً وطرب أكثر من أي غناء يمكن سماعه في الجزيرة العربية. لقد كان غناء طبيعيًا حُرًّا أو في الأقل هكذا كان أثره على مسامعنا. كانت مواضيع هذه القصائد عن الحب، وبعضها كان ذا طابع فكاهي، وقد وعدني أحد السادة الذي كان يكتب هذا الشعر لوضعه في مكتبة عائلة الكاف، بأن يهديني بعضًا منها في اليوم اللاحق ولكنه لم يفعل.

غناء البدو وأغانيهم مختلفة تمامًا عن غناء المثقفين سكان المدن وأغانيهم. موسيقى الشعوب البدائية، وبدو الجنوب العربي بدائيون بالتأكيد، لها ارتباط وثيق بكل ما في وجودهم، فلا يوجد عمل أو مهنة إلا ويهبها البدوي شيئًا من مواهبه الغنائية والموسيقية، فتجدهم يغنون لِجِمَالِهم في أثناء المسير، وتغنِّي النساء في الحقول، فلا يتم احتشاد أو احتفاء أو ابتهاج إلا وبه غناء. الموسيقى والفن المعماري هنا ليس نتاج فنانين منفردين وإنما تعبير أساسي عن حياة قبيلة - عرق بشري كامل. يبدو أن دعاء الجمال وأغانيها التي تُسمَع في أوساط قبائل سيبان وقبائل تميم، وبعض القبائل الأخرى تعود في أصلها إلى طبيعة المشاهد الطبيعية للجنوب العربي. إن دعاء الجمال وأغانيها عندهم عبارة عن شدو أو غناء جميل مرح، قائم على التعبير الصوتي من غير ألفاظ؛ لأنه يجمع بين الصوت الطبيعي والصوت المزيف مساحة صوتية حادة تقع خارج المساحة الصوتية الطبيعية للمغنِّي من الرجال، فعندما يشدو فيه المغنِّي يغير لون صوته إلى شخصية أخرى - وهذا (نادرٌ جدًّا في أوساط أهل المشرق). هذه الأصوات تُنتِجُ صدًى مذهلاً ورائعًا في الشعاب الجبلية فينتابك شعورٌ رائع عندما تقترب قافلتان بعضهما من بعض في وادٍ طويل، وتسمع صدى غناء البدو الآتي من مسافات بعيدة. هذه الجهود الموسيقية هي ببساطة نتاج لتكييف الصوت مع الخصائص الصوتية والسمعية للجبال.



إنَّه من غير المتوقَّع اكتشاف أشياء عظيمة عند القيام بدراسة موسيقى الشعوب البدائية، فأنت الآن تتعامل مع موسيقى كما وجدت أوَّل مرة في عصور ما قبل الميلاد، وفي رحلات سابقة قمْتُ بها إلى شمال الجزيرة العربية، سمعتُ أغاني رعاة تعود لآلاف السنين. في حالات كثيرة لا تعرف القبيلة البدوية سوى لحن واحد بمثابة النشيد الوطني لها، والألحان والنغمات التي يعزفونها بآلاتهم الموسيقية المزمار والمدروف (آلة نفخ خشبية طويلة وكلارينيت مزدوج) هي النغمات نفسُها تمامًا. خلال فترة وجودي في الجنوب

العربي قمت ببعض التسجيلات للموسيقى البدوية، وفيما بعد حين قمنا بمقارنة هذه الموسيقى بموسيقى شعوب أخرى، كانت مفاجأتنا لا توصف؛ فقد اكتشفنا أن موسيقى الجنوب العربي مطابقة تمامًا لموسيقى البربر في جنوب المغرب. لم يستطع أحد أن يفسرِّ هذا التطابق مع موسيقى البربر الذين قاوموا بعناد شديد التأثير العربي عليهم، وموسيقاهم تختلف تمامًا عن الموسيقى العربية الحقيقية.

لم يُدرَسْ تاريخ أصل البربر على نحو راسخ وواضح، ولذا فإن اكتشافنا هذا ربما يقود إلى تكهُّنات تاريخية عرقية حول هذا الأمر، وهناك حقيقة أخرى ستساعدنا، ألاَ وهي اكتشافنا لناطحات السحاب الطينية في الجنوب العرب، فهناك على تخوم الصحراء في جبال الألب العالية تُوجَد مبانٍ عالية مشابهة لبيوت الجنوب العربي من حيثُ إنَّ لها الشرفات المفرجة نفسها (فتحات على سطح حصن يُطلق منها النار)، ولها الجدران نفسها، والكوى نفسها (فتحات الرماية للأسلحة الخفيفة)، وهذا كله يُظهر تشابهًا قويًا مع البيوت الآشورية القديمة، مما قد يوحي بأن هناك أصلاً واحدًا لهذا التشابه كلِّه. المشكلة الوحيدة المتبقية هي كيفية تفسير ظاهرة التشابه المعماري والموسيقي غير العادي بين مكانين متباعدين جدًا. القول بأن العرب نقلوا ثقافتهم من الجزيرة العربية إلى شمال أفريقيا بعد الفتوحات في القرن السابع الميلادي مستبعدٌ؛ لأن في هذه الحالة سنجد آثارًا لهذه الثقافة في أماكن أخرى إلى جانب المغرب، إضافة إلى أن البربر قد قاوموا التأثير العربي عليهم.

قدم بول أودنوت Paul Odin نظرية تقول إن البربر هم في الأصل كنعانيون هاجروا إلى المغرب في عصور ما قبل التاريخ، وعلى كل حال فإن ما اكتشفناه في الجنوب العربي يقدِّم دليلاً غير مباشر، يثبت أنَّ البربر أتوا من غرب آسيا، وهذا ما أعتبره أهم نتيجة توصلت إليها في رحلتي إلى الجنوب العربي.

الفصل السابع

القصر الخيالي

لا يوجد في الجنوب العربي كله أي مبنى يمكن أن يضاهي أو أن يتفوق على قصر السلطان علي بن منصور الكثيري في سيئون من حيث مهابة حجمه وكمال شكله. يُقال إنَّ عُمْرَ هذا القصر أربعمائة سنة، أما المدينة التي هي على بعد مسير يوم من تريم والبالغ تعداد سكانها الخمسة آلاف، فتعد ثاني أكبر مدينة في وادي حضرموت. إنَّ سيئون من أقدم المدن في حضرموت، ومساجدها الثلاثمائة الرائعة هي الأخرى قديمة، كما أن أسوارها وقصورها ومقبرتها موغلات في القدم. المقبرة بها الكثير من القبور المهدمة، وبها قباب لأولياء الصالحين، وبها قبر أول سلطان كثيري أتى إلى حضرموت وهو السلطان بدر بو طويرق(٢)، الذي يُقال إنه في عام ١٤٩٠ أتى مع عشرة آلاف رجل من مختلف قبائل همدان المنتمي إليها قادمًا من صنعاء فاحتل حضرموت ودوعن، وحتى هذا اليوم لا يزال آل كثير وبعض قبائلهم الأساسية مثل العوامر يسيطرون على سيئون وأماكن أخرى مجاورة لها، غير أن السلطان على الرغم من عظمة أملاكه لم يكن الحاكم الوحيد لسيئون، فعائلات السادة من الحبشي والعيدروس والسقاف يشاطرونه الحكم؛ لأنهم يسيطرون على غالب ثروات المدينة، ومن يمتلك المال يمتلك القوة والسلطة، فهم مَنْ بنى المساجد ذات المنارات البيضاء، وهم من حفر الآبار ذات القباب البيضاء المدبَّبة والتي تعد من أبرز معالم سيئون.

تأتي الأموال لسادة سيئون مثل الكاف كعوائد من مشاريع تجارية ضخمة في جاوة وسنغافورة، ويقومون باستمرار بإنفاق جزء من هذه الأموال على الفقراء، ويُقال إن أحد أفراد عائلة الحبشي يقوم سنويًا بتقديم الأرز واللحم لأكثر من ستمائة شخص، وهذا الأمر يزيد من شعبيتهم

عند البدو وعامة الناس، فمَنْ يُطعم الناس يجدهم بجانبه حين يدعوهم وخاصة في أوقات الحرب.

وعلى كل حال فإنَّ الكرم أحيانًا يقود إلى تنافس خطير بين السادة، ففي إحدى المرات بنى أحد السادة مسجداً، وكان مبنى المسجد جميلاً جدًا فيتقاطر إليه الكثير من المصلين مما جلب السعادة والسرور لذلك السيد إلى أنْ قام سيد آخر ببناء مسجد آخر مقابلاً للمسجد الأول وكان أكثر جمالاً منه، فذهب الناس إليه تاركين المسجد الأول، وهذا الأمر ساء السيد الأول الذي بدأ يخطط لهدم ذلك المسجد الجديد، ومن سيقوم بهذه المهمة هم بالطبع رجال القبائل البدوية؛ فالسادة هم رجال دين ولا يحملون السلاح، ولم تحُلْ هذه المشكلة إلا بعد مشاحنات دامية.

لا يسعنا هنا إلا أن نشكر سلطاننا الكريم - السلطان عليًّا - فقد خصص جناحًا كاملاً من قصرة لنا ولجنودنا ولسيد ذلك الوغد الصغير الذي استطاع أن يجد طريقه إلينا مرة ثانية، بعد أن نجح بمكره وخبثه في إقناع سادة تريم من الكاف أنه أنسان طيب بائس، فقاموا بترتيب لقاء مصالحة بيننا وبينه، وطلبوا منَّا غضَّ الطرف عن المشكلة التي افتعلها في الطريق، وتم إرجاعه خادمًا لنا. في البداية كان خانعًا كحَمَلٍ وديع، ولكن هذا التظاهر الزائف بالخنوع لم يدمْ طويلاً، فما لبث أنْ صار يتصرف وكأنه أمير، وأصبح يركب جَمَلاً استأجره على حسابه. من الواضح أنه كسب بعض المال من خلال قيامه بعمليات بيع وشراء عارضة خلال فترة بقائه في تريم. الاستماع لكلام الخدم والبدو والجنود فيه دروس ربما استفاد منها سيد، فلا يكاد المرء أن يجد في كلامهم جملة واحدة تخلو من كلمة "فلوس"، وللفلوس دور مهم حتى في الجنوب العربي.

كُنَّا نتنقَّل بين الإقامة في قصر السلطان علي، وفي قصر سلطان تريم السابق، الذي يعيش الآن في سيئون حياة ترف ورفاهية مَنْفيًّا هناك، فكلا السلطانين كانا حريصَيْنِ على نيل شرف استضافتنا في قصريهما.

السلطان الأول كان من هُوَاة جمع الأسلحة فقصرُهُ يعدُّ مُتحَفًا، به البنادق العربية القديمة، والسيوف الطويلة المعقوفة، التي تحمل على الكتف، ومخازن البارود الفضية، والخناجر المصقولة الجميلة، ذات الأغماد الفضية، وقد أهداني بعض الخناجر الثمينة وبندقيتين غربيتين، بعد أن أهديْتُه خارطة للجزيرة العربية قبلها وعلامات الرضا بادية على وجهه.



أمَّا السلطان الثاني فهو بستاني ماهر؛ فسيئون بكاملها محاطة بأشجار النخيل والبساتين، وتعود ملكية غالبها لهذا السلطان السابق، الذي قام شخصيًّا باصطحابنا لمشاهدة هذه البستانين الغناء الجميلة، التي تزرع فيها نباتات كثيرة، منها الخضروات والأعشاب الطبية، وتقوم قبيلة العامري وخاصة النساء والبنات بالعناية بها والعمل فيها، مستخدمات أدوات زراعية بدائية، كتلك التي كانت تستخدم قبل ألف سنة. تصل المياه إلى النباتات في هذه البساتين عبر قنوات ري ضيقة.

في هذه الأماكن الريفية لا ترتدي النساء الحجاب، ويضعن على روسهن "المرولة"، وهي قُبَّعة مصنوعة من الخوص، عريضة الحواف، لها قمة طويلة مدبَّبة، وأحيانًا يذهبْنَ إلى البساتين بدون هذه القبعات، ويَقُمْنَ بطي شعرهن بصمغ مطاطيٍّ، ثمَّ يَقُمْنَ بلفِّ الشعر في شكل كرة، ثُمَّ رَبطُه. تعشق هؤلاء النساء الجميلات المكياجَ؛ حيث يقمن بتسويد حوافِّ أعينهن، أما الوجه والأيدي والأقدام فيتمُّ طليها بمادة النيل، والبعض منهن يُفَضِّلْنَ طليَ الأجزاء المكشوفة من أجسادهن بمادة صفراء (الهرد)، التي تُستخلَص من بعض الجذور. تلبس هؤلاء النساء ثيابًا طويلة سوداء أو زرقاء غامقة، وتربُط في الحوض بحزام فضيٍّ، ويلبسْنَ حُليًّا كثيرة جدًّا من الفضة والنحاس، وهي بالطبع كلُّ ما يمتلكْنَه، وهذه الحُليُّ عبارة عن حلَقٍ أو أساوِرَ ثقيلة، تُلبَسُ حول معْصَمِ اليد والرقبة وأسفل الساق، وحلَقٍ أخرى للأُذُنِ والأنف، كما يحْمِلْنَ بعضَ التمائم الصغيرة.

من العادات الغريبة والمثيرة للاهتمام هنا أنْ تجدَ المرأة في أثناء العمل تحملُ سلَّةً، تتدلىَّ من على كتفها، وفي هذه السلة طفلٌ صغير أو حملٌ مولودٌ حديثًا لا يستطيع إطعام نفسه.

تحرص النساء حرصًا شديدًا على سلامة أطفالهن فعندما أظهر لهن، يكون همُّهن الأولُ إبعادَ الأطفال إلى مكان آمن، فلا أحد يستطيع أن يعلم فيما إذا كان هذا الرجل الأبيض يستطيع إلحاق الضرر بالأطفال بعين الحسد أم لا. إذا رأتْ عينٌ شريرةٌ طفلاً لابدَّ من البحث عن وَلِيٍّ لإبعاد هذه اللعنة، وهذا الأمر يتطلب أموالاً طائلة، ولهذا السبب لم أنجحْ في تصوير أي أُمٍّ مع مَهْدِ طفلها.

أودُّ هنا أن أشير إلى بعض الملاحظات المهمة المتعلقة بالتصوير في هذا البلد، يجب التصوير دون جعل الناس يلاحظون ذلك، وقد نجحْتُ في التقاط الصور باستخدام كاميرا صغيرة (Leica) بوساطتها استطعْتُ خداع الناس. ولأخذ الصور عن قرب في الشوارع غير المزدحمة وجدْتُ أن كاميرا (Rolleiflex) مفيدة جدًا، فبوساطة هذه الكاميرا أستطيع أخذَ الصور من جنب الكاميرا لا من أمامها، وبهذا لم يتمكَّن الناس معرفة ما هو الشيء الذي التقط له صورة، وقد كنتُ آخُذُ الصور بسرعة دون إضاعة وقت كبير، لا وقتَ للتردُّد، عليكَ أنْ تقرِّر ماذا ستصوِّر فتصوِّرُه مباشرة، وعمومًا لقد وجدْتُ التصوير مهنةً ماتعةً، وكُنْتُ دائماً أجدُ في طريقي أشياء مهمة جديدة تستحقُّ التصوير.

إنَّ اختيارك لنوعية الفلم الجيد أمرٌ مهمٌّ جدًّا؛ فقد اكتشفت أنَّ أفلام Agfa وأفلام Gevaert هي الأفضل لتحقيق غرضي. في المناطق الاستوائية الجمع بين أفلام شركة Agfa وشركة Gevaert يعدُّ أمرًا مثاليًّا، أمَّا الأفلام المنتجة من شركات أخرى فلن تتحمَّل حرارة الجو هنا. لن أتحدَّثَ كثيراً عن فترة التعرُّض للفيلم، وعمومًا فقد تعرَّضتْ أفلامي للفترة نفسها التي عادة ما تتعرَّض لها الأفلام في أوربا.

الصور التي احتواها هذا الكتاب هي جزء يسير من مجموع الصور التي عُدْتُ بها من الجنوب العربي، فإجمالاً لدي ثلاثة آلاف صورة وهي نتاج هذه الرحلة.

---

٢)- أخطأ المؤلف في اعتبار السلطان بدر بو طويرق (٩٠٢ هـ-٩٧٧هـ) أول سلاطين الكثير والصحيح أن أول سلاطين الكثير والمؤسس للدولة الكثيرية الأولى هو السلطان علي بن عمر بن جعفر بن بدر الكثيري (١٣٢٣م-١٤٢٢م) المترجم.

62
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

الحوطة في حضرموت*

الأبعاد والدلالات





د. عبدالقادر علي باعيسى

الملخص:

تحدثت هذه الورقة عن أربعة أبعاد متصلة بالحوطة، هي: الحوطة نفسها، والرجل الصالح مؤسس الحوطة، والمجتمع، والدعاء، مفسرة دلالات هذه الأبعاد المترافد بعضها مع بعضها الآخر، ومعتمدة على بعض الأخبار التاريخية الواردة عن الحوط، التي يغني قليلها عن كثيرها مادامت تتشابه من حيث القصد والدلالة.

إن أهم ما قدمته الحوط بنشوئها في المجتمع الحضرمي هو أنها أحدثت تغيرا في النسق الاجتماعي والروحي والمكاني للمجتمع، فأسهمت بذلك في تحديد مكانتها، وإعادة صناعة المجتمع، من خلال الارتكاز أساسا على شخصية صاحب الحوطة التي تمتد تأثيراتها العجيبة فتصبغ المكان والزمان بروحها بوصفها شخصية متحققة بوجودها المؤثر في المجتمع قبل الحوطة وبعدها، ولكنها بعد إنشاء الحوطة تغدو أشد تمكنا وحضورا، ومن ثم حوطتها.

ويتجلى تأثير تلك الشخصية بفعل الدعاء الذي يأخذ مجراه في تشكيل الأحداث والتأثير عليها إذ يقوم الدعاء -حسب خطاب الحوط- بدور الأداة العملية التي تعمل على إنزال الجزاء بمختلف أنواعه على المعتدين محققًا بذلك إنجازات دينية ونفسية وسلوكية واجتماعية. ومع أن الدعاء من حيث هو كلمات لا يظهر في المأثورات المنقولة عن الحوط إلا أنه يقوم بإجراء فعلي مؤثر من خلال إصابة الأفراد المعتدين على الحوطة وممتلكاتها بالعاهات، أو حتى

القضاء على حياتهم. وبغض النظر عن حدوث الفعل أو عدم حدوثه، فالمهم سيرورة الخبر في المجتمع بحدوثه فعلاً، وتصديقه، ومن ثم اعتماده رادعا فعليا يقوم مقام رجال الشرطة في السلطة السياسية، ومقام رجال القبائل في السلطة القبلية، وينشأ عن ذلك جمهور مساند للحوطة ومعتمد على قوتها الروحية في مواجهة القوى الأخرى.

تقديم:

مازالت الصورة المتكونة عن الحوط في حضرموت محدودة من الناحية البحثية، وإن كانت واضحة إلى حد ما من ناحية المعلومات، ولن يكتمل الجانب المعلومي إلا بالجانب التحليلي، فالمعلومات المقدمة عن الحوط لا تعطي بطبيعتها الإخبارية والوصفية إيفاء تحليليا واضحا عنها، باستثناء بعض الدراسات التي عنيت بالتحليل والتي مازالت في مجموعها في مستواها الأولي الذي يحاول تجميع أجزاء صورة تحليلية واسعة عن الحوط، بما فيها هذه الورقة التي انطلقت من الأبعاد الآتية:

أولاً: الحوطة:

فكرة الحوطة مأخوذة عن الحرم المقدس في مكة والمدينة، وقد تجسدت الفكرة في الجاهلية بشكل مختلف فيما عرف بالحمى، فلا يمكن لأي حمى تحميه القبيلة كتغلب مثلاً أن ينتهك، فانتهاكه يعني قيام المنازعات والحروب، كحرب البسوس، فالحوطة امتداد لتكوين متأصل في المجتمع العربي هو الحرم الديني، والحمى الاجتماعي – القبلي، وبذلك تحمي الحوطة نفسها من المعتدين بالقوة الروحية، بدل القوة القبلية، فتسيطر على ذاتها وعلى المجتمع متجاوزة وظيفة القيام بالأعمال الصالحة بداخلها إلى وظيفة أخرى اجتماعية تتمثل في إيذاء الأفراد الذين يحاولون الاعتداء عليها، أو على ممتلكاتها لاسيما ممتلكات الرجل الصالح صاحب الحوطة[1].

وسميت حوطة ليس لأنه تم إحاطتها بسور كالمدن السياسية والاقتصادية، وإنما لأنه تم إحاطتها روحيًا –حسب المعتقد الشائع حينئذ– ببركات الرجل الصالح ودعواته التي تكون نتيجتها هلاك من يحاولون الاعتداء عليها أو الإيقاع بهم إيقاعًا شديدًا، والمأثورات في ذلك كثيرة، فهي ذات أبعاد تخويفية يجري توظيفها لإصلاح المجتمع في منطقة معينة وللدفاع عن هيبة المؤسس وجماعته في إطار الصراع الديني/ القبلي.

وفعل التحويط فعل مخيف، له أثر نفسي قوي حينئذٍ في الإيحاء بالإحاطة بالمعتدين والساكنين والزائرين، وربما تحكمت الحوطة في الجهة بكاملها، بوصفها ذات وظائف متعددة دينية واجتماعية ودفاعية، فهي جهة للعلم، وجهة للفعل الخيري، وجهة للإجهاز على الأعداء بالدعاء عليهم. وبهذه الطريقة بقدر ما خدمت الحوطة المجتمع عززت الوجود الديني فيه بصيغة صوفية، كما عززت الوجود الاجتماعي بصفة خاصة من حيث اتجاه الساكنين فيها إلى المسكنة والمسالمة، وازدياد وضوح التحديدات المرتبة بداخلها من حيث إن للرجل الصالح، ومن ثم أسرته، الفضل في توفير التجمع الآمن لهم في ذلك المكان.

والملاحظ أن الحوط لم تخضع للتوسع كثيراً بحيث تمتد لتشمل أراضي أوسع، فهي بذلك التخطيط نموذج مرسوم روحيًا، وربما لأن الوعي القبلي، وعي الحمى، مغروس لا شعوريًا في طبيعة التفكير الاجتماعي فلا يراد السيطرة على أكثر من مساحة محدودة من الأرض تتخذ حوطة، والمهم أن النمذجة الروحية بكامل سلطتها تتأسس في الحوطة بغض النظر عن مساحتها انطلاقًا من اعتمادها على مجموعة من الصفات والإجراءات الروحية والعملية يقوم على أثرها عالم الحوطة المعنوي والمادي وكفايتها الوجودية.

ثمة ترابط بين الأبعاد الروحية والاجتماعية والنفسانية التي تحكم الحوطة وتشكل وجهًا بارزًا لها يعمل على تقوية

نظامها، بحيث لا يتم إجراء أي فعل قوي داخل الحوطة إلا بترافد هذه الأبعاد المشكلة لعالمها النموذجي حيث تغدو الحوطة موطنا للالتقاء بين الصالحين والعقلاء، وتبادل الرأي بينهم، وإرسال الرسائل الناصحة إلى جهات مختلفة[٢] حتى يبرز تقديرها بوصفها من الأماكن الصالحة الآمنة في حضرموت تقام فيها الاحتفالات الكبيرة (الزيارات) وتأتي إليها الوفود لأخذ مزيد من البركة عن صاحبها، وآثاره.

وما أدري ما إذا كان صاحب الحوطة يحدد موقع حوطته عن طريق الكشف الباطني كما هو عند المتصوفة، أو بطريقة موضوعية مبنية على مصلحة المجتمع، وإن كنت أميل إلى أنهم كانوا يجمعون بين الطريقتين، ومع أن الطريقة الأولى (طريقة الكشف) تعد ثانوية بالقياس إلى التفكير الموضوعي المنظم والمتصل بأكثر من جهة، غير أن أثرها قوي على الواقع المكاني حينئذٍ، وإعادة تشكيله التي توازي الفعل السياسي تقريبًا محدثة تحولات جذرية في المكان، ومن ثم في المجتمع، ولعل حوطة المشهد تبرز مثالاً واضحًا على ذلك.

لا تبرز أهمية الحوطة من خلال ذاتها وتكوينها الروحي والاجتماعي فحسب، بل من خلال الخطابات التي قيلت فيها سواء قالها أصحاب الحوط أنفسهم عن حوطهم وقدراتهم وطاقتهم التأثيرية، أو قالها غيرهم، وبهذه الطريقة القولية احتفظت الحوط بقيمتها في أذهان الناس، وليس من حقيقة تكويناتها الاجتماعية فحسب. إنها تتكون بالأساس من عدد من التشكيلات القولية التي تعطينا في المحصلة الأخيرة مفاهيم تصورية واضحة عنها من مثل أن الشيخ محمد بن الفقيه أحمد بن عبدالرحمن علوي جاء إلى غيضة من غياض الشحر (النقعة) وبنى بها بيتًا، وغرس بها ليمة، فكان يجتني من تلك الليمة كل يوم ألف حبة، فيبيعها، ويكتفي بثمنها مؤونة له ولأهله وضيفه،



حوطة أحمد بن زين

فعرفت له هذه الكرامة بين الناس، واشتهر أمره، فأتاه المستضعفون، وسكنوا عنده، فبينما هم يوما عنده، إذ جاءهم لصوص ونهبوهم، فذهب الشيخ خلفهم، وكلمهم، ليردوا ما نهبوا على جيرانه، فأبوا، فلما رجع عنهم صاروا إن أرادوا الذهاب بما نهبوا أعمى الله أبصارهم، وإن رجعوا إلى الشيخ أبصروا، فمكثوا على ذلك ما شاء الله تعالى، فقال كبيرهم: ما أصابكم هذا إلا من أبي علوي، فاذهبوا إليه وردوا ما نهبتم من جيرانه، وستبصرون، ففعلوا ما أمرهم به كبيرهم، واعتذروا إلى الشيخ، وردوا ما نهبوا على أهله، فرد الله عليهم أبصارهم[٣].

ثانيًا: صاحب الحوطة:

يبدو أن صاحب الحوطة شخصية مميزة، لديه القدرة على الإمكانية القيادية التي يعبر عنها بطريقته الخاصة، بعيدا عن مفهوم القيادة السياسية إذ يحبذ الاتصال بالواقع لتغييره في الوقت الذي ينفصل عنه، ولعل في إنشاء الحوطة ما يدل على أنه كان يرغب في الحصول على أكبر قدر من القوة في المجتمع، لاسيما إذا أنشأ حوطته في محيط قبلي شديد التوتر دالاً بذلك على أنه متميز على غيره من الرجال الصالحين في قوة إرادته[٤].

وفي الواقع فإن الرجل الصالح يحقق ذاته، ويتعرف على مدى تأثيره الاجتماعي من خلال إنشاء حوطته وفق تفكير ديني معين يتمكن من خلاله من السيطرة على موضوعه سيطرة قوية، أما إذا كان صاحب الحوطة قطبًا، وفق المفهوم الصوفي، فالمسألة ترتفع إلى حالة من القوة ينتج عنها الخوف والحذر من شدة تأثيره.

وانطلاقاً من هذا يتجاوز صاحب الحوطة ذاته الشخصية إلى كونه رمزًا دالاً على صفات متعددة من التميز دينيًا، واجتماعيًا، وقياديًا، وروحيًا، وهذه الصفات مترابط بعضها مع بعضها الآخر، ولا يمكن لصاحب الحوطة أن يقدم على بناء حوطته إلا إذا استوثق أن شهرته وسلطته الروحية صارت قوية بين الناس، وإلا لن يلتفت إليه أحد، ومن ثم لن تحترم حوطته، وستذهب أدراج الرياح. وكلما كان الشيخ أكثر هيبة وسيطرة على حوطته، وحماية ممتلكاته فيها، كان الساكنون بها أكثر اطمئنانًا لاستمرار حياتهم هادئة في صراعهم اليومي من أجل معيشتهم "روي أنه لما حوط الشيخ عبدالرحيم بن سعيد ابن أبي وزير حوطته التي بالشحر، اجتمع الشيخ عمر [المحضار] ببعض فقراء الشيخ عبدالرحيم، وقال لهم: **ما لعبدالرحيم وللحوطة! ما تصلح الحوطة إلا لرجل ساعده مَدْرَج ليس بـه مفصل..."**[٥]. إن الرجل الصالح والناس كل منهم ينشد مصلحته من الحوطة، وليس الناس وحدهم كما هو شائع، فمسألة الحوطة مسألة وجودية بالنسبة للجميع في مجتمع قبلي متصارع على الأمان ولقمة العيش.

وإن عدم إعلان الرجل الصالح عن دعواته التي تصيب الآخرين يعطيه نوعًا من الغموض الذي يزيد من تبجيله وتقديسه، وهو يعد بالنسبة للناس مرجعًا وذاتًا عالية، ولديه منافعه الخاصة من الحوطة سواء كانت دينية أو دنيوية، ليس أقلها تقدير الناس يومئذ لمقامه، وقيامهم على خدمة ممتلكاته، والمهم فيه كفايته في السيطرة على حوطته وأرواح ساكنيها، وتأهيلهم روحيا وأخلاقيًا حسب رؤيته، وتحديد معالم توجههم في حياتهم التي يرغب في أن يكونوا عليها. ومع أن الدعاء لا يظهر في مأثورات الحوط، فإن شخصية الرجل الصالح صاحب الحوطة موجودة كأقوى ما يكون الوجود من خلال نتائج الدعاء التي يتم تداول مأثوراتها المرتبطة بسياق اجتماعي وروحي مؤثر في أذهان الناس، وبخصوصية زمانية ومكانية معينة.



من احتفالات بعض الحوط في حضرموت

ثالثاً: المجتمع:

ثمة نوع من الحرب غير المنظورة بين الحوطة والمجتمع القبلي. المجتمع من خلال محاولة بعض أفراده نهب الزرع والضرع، والرجل الصالح بتخويفهم بالدعاء عليهم، وكلا الطرفين يعيش تحت قهر الطبيعة المجدبة المحدودة العطاء في حضرموت، فالصراع قوي بينهما انطلاقا من كونهما كيانين متناقضين يختلف مقام كل منهما عن الآخر، فالأول عابد، والثاني معتد رغم أنه قد يكون جائعا، ولم يحدث الالتقاء بينهما من خلال ما تقدمه أغلب مأثورات الحوط، إلا نادرا، كما في قصة أخوة الشيخة سلطانة الزبيدية الذين صادفوا "لحسن حظهم، بعيرا للشيخ محمد بن حكم باقشير فأخذوه، فسأل عنهم لما بلغه الخبر، ودعا لهم بأن يهديهم الله إلى سبيل الرشد، إن كان الدافع لهم هو الفاقة والحاجة، وبأن ينتقم منهم إن كان دافعهم البطر والظلم، ولما بلغهم الخبر بدورهم أنبتهم ضمائرهم وتابوا وأنابوا، ورب ضارة نافعة، وهذا شيء يسر أختهم التقية سلطانة، فقد أصبحوا عونا لها فيما بعد على سلوك طريقة الصوفية"(٦) وقد دلت كثرة الحوط في حضرموت على أن المجتمع كان في حالة من الفوضى، فأسهمت الحوط في إنتاج نوع من النظام فيه، وإن كان في أماكن جغرافية متفرقة لكنها مؤثرة.

وبغض النظر عن إصابة المعتدي أو عدم إصابته، فإن ما ينقل إلى الآخرين ممن سمعوا الحكاية، أن الإصابة قد تحققت بالفعل، وهذه هي الغاية، أي التوجه إلى ذهن المجتمع كله، والتأثير عليه، وليس إلى أسماء معدودة قامت بالفعل، ومن المهم تداول نتيجة الحادثة من خلال تكرار روايتها في المجتمع، وتلك آلية من آليات سيادة الحوطة وصاحبها، ذلك لأن تداول الحكاية يحول الإجراء الكلامي (الدعاء) إلى فعل قطعي يؤمن الجميع بتأثيره.

غدت الحوطة بتبني الرجل الصالح لها مركزاً منشوداً لما فيها من الأمن والأمان، وغدا المجتمع في بقية مدنه وقراه

لا تبرز أهمية الحوطة من خلال ذاتها وتكوينها الروحي والاجتماعي فحسب، بل من خلال الخطابات التي قيلت فيها سواء قالها أصحاب الحوط أنفسهم عن حوطهم وقدراتهم وطاقتهم التأثيرية، أو قالها غيرهم، وبهذه الطريقة القولية احتفظت الحوط بقيمتها في أذهان الناس، وليس من حقيقة تكويناتها الاجتماعية فحسب

جهات غير ملتزمة لنظام صارم يحكمها إذا ما استثنينا بعض البلدات المحكومة سياسيًا، فالمكان الاجتماعي المتميز -بهذا المعنى- هو المكان الصوفي، فالرجل الصالح يعرف أسرار حوطته ودقائق ما يجري فيها، بينما الحاكم السياسي والقبلي لا يعرف دقائق ما يجري داخل منطقة سلطته كهذه المعرفة، ومن ثم ارتفع الصوفي المتحكم بطريقته الخاصة في (حوطته) وتأخر عنه الحاكمان الآخران القبلي والسياسي، وذلك في إطار الصراع السياسي/ الروحي، والقبلي/ الروحي، فالحوطة بمعنى من المعاني رمز لتفوق الديني على السياسي، وفي واقع التصور أن الصوفي يتمتع بميزتين غيبية وواقعية، بينما يتمتع الحاكم السياسي بميزة واقعية واحدة، ويغدو خوف المجتمع بمن فيه الحاكم السياسي والحاكم القبلي من صاحب الحوطة كبيراً نظرا لتميزه الروحي عنهم.

وتعد الحوطة شكلا من أشكال رفض الواقع القائم حينئذٍ، ويمثل الهجوم الذي يقوم به بعض الأفراد على الحوط وغيرها من القرى أو على الأفراد رمزاً دالاً على عدم الانضباط الحاصل في المجتمع. وفي هذه الحالة تنتصر

الجماعات الساكنة داخل الحوطة على القوى الأشد بطشًا، وينشأ من هذا جمهور شعبي يساند الرجل الصالح، صاحب الحوطة، ففي هلاك المعتدي -حسب التصور السائد- رمز لانتصار النظام على الفوضى. والواقع أنك لن تجد آلية لضبط الفوضى في مجتمع قبلي متصارع إلا عند الإيحاء بالسيطرة على أرواحهم، لاسيما أنهم يداخلهم في أعماقهم اعتقاد بأن دعوات الرجل الصالح ستصيبهم، وقد أشار ابن خلدون في مقدمته إلى مثل هذه الطريقة في التعامل معهم[٧] ففي الوقت الذي تتم السيطرة الروحية عليهم تتم السيطرة الاجتماعية، أو الضبط الاجتماعي وإن كان محدودًا في مناطق معينة، فهاتان الظاهرتان مرتبطتان ارتباطًا قويًا. إنهم يخافون من الشيء الذي لا يفقهونه، ويؤخذ لديهم بجد، حتى يبدو القبلي أو المعتدي عموما مسلوب الإرادة أمام القوى الروحية الخارقة التي يرى أنها قادرة على الوصول إليه، وإعاقته.

ومعروف أن السلطة الدينية تظل جزءا من طبيعة المجتمع مهما تميزت عنه، أي أنها تمارس تأثيرها وسط المجتمع، وليس خارجه، ولكن المسألة تتجاوز هذا الموضوع إلى أن تشكيلة المجتمع بعد إنشاء الحوط غير تشكيلته قبل إنشائها حيث تتم الإبانة عن سلطة روحية واضحة محددة المكان والسيادة والمنزلة والعلمية (بفتح اللام) لها أسلوبها الخاص وطريقتها الخاصة في فهم المجتمع والتعامل معه، والتأثير عليه في إطار روحي، وهنا يكون لتداول المأثور من حكايات الحوطة شفاهيًا أثر اجتماعي وعاطفي كبير، فالوعي المرتبط بالشفاهية وهو في الغالب وعي جمعي يعمل على إرشاد من هم خارج الحوط كما يعمل بالتأكيد على إرشاد من هم داخلها.

وأهم ما ينتج عن الحوط وتأثيراتها بروز عقلية اجتماعية تبدو تجلياتها في سلوك المجتمع بشكل واضح من حيث ارتباط تلك النتائج الرمزية للدعاء بذاكرة جماعية تسترجع الحادثة بحرارتها الخطابية الأولى كما لو كانت حدثت الآن، كلما تم الاستماع إليها. وعلى أية حال فالحوط على

إن الرجل الصالح والناس كل منهم ينشد مصلحته من الحوطة، وليس الناس وحدهم كما هو شائع، فمسألة الحوطة مسألة وجودية بالنسبة للجميع في مجتمع قبلي متصارع على الأمان ولقمة العيش. وإن عدم إعلان الرجل الصالح عن دعواته التي تصيب الآخرين يعطيه نوعًا من الغموض الذي يزيد من تبجيله وتقديسه

جانبها الإيجابي لا تدل على مجتمع كامل الطمأنينة مادام الجانب الآخر المعتدي مازال مستمرًا بعد وجودها، فالاضطراب مازال موجودًا في المجتمع، ومع الزمن ينسى الإنسان الحوطة، ووجودها الاجتماعي، ويتكيف ذهنيًا ونفسيًا مع الحوادث المسموعة والمقروءة الناتجة عنها حتى تكتسب تلك الحوادث قوة لا يستهان بها في وعيه تعمل على توجيهه روحيًا.

وربما ولد المجتمع بدوره حكايات أخرى عن تلك الحكايات تكون أكثر تأثيرًا عندما تنسجم مع وحدتها الغائية التي تسعى إليها سواء في بناء أجزائها الداخلية، ودلالاتها، وإحالتها إلى رجل صالح مؤثر، وإلى تصورات الناس الثابتة عنها التي تقوم بدور الرجل الصالح نفسه في التأثير تقريبًا، أي أن ذوات المتلقين تصبح مصدرًا لتضخيم دور الحوطة وصاحبها في متصوراتهم الذهنية، وهو ترابط له سببية روحية خاصة منسجمة في التصور الذهني للمتلقين على أنها حقيقة مطلقة، غير قابلة للتشكيك، أو التجزئة إلى أجزاء مصدق بها وأخرى غير مصدق بها، انطلاقًا من الإيحاء بسيطرة الرجل الصالح على بعض مظاهر الطبيعة حتى تغيب في طبيعة تصوراته المنظومة العقلية لصالح المنظومة غير العقلية التي تبدو أقوى في التصور والتأثير في مجتمع ساد فيه التصوف.

أما الذين يعيشون داخل الحوطة فيلتزمون بنظام الحوطة مادام العقاب شديداً، ويتسمون بالمسكنة والهدوء، مما يعني أن الحوطة تقوم بتربية نفسية لقاطنيها الذين يحاولون تمثل توجيهات صاحبها باتباع تعليماته التي يكررها أولاده وأحفاده ومريدوه من بعده في خطبهم ومؤلفاتهم، ويهتم ساكنوها وزوارها بقراءة أوراده، وتبدو مواقفهم السلوكية أكثر انضباطا وتشابها داخل الحوطة انطلاقا من طبيعة معتقدهم في أن الرجل الصالح يحيطهم بسياج من المراقبة الداخلية لقلوبهم (من الشقي احفظ لسانك، ومن الولي احفظ قلبك)[٨] ولعل ثمة أحكام لوم وتأديب توجه إلى ساكني الحوطة وزوارها إن أساؤوا التصرف، فبشكل من الأشكال يعمل القاطنون بها على تشكيل وجودها بصدق تفاعلهم مع الاتجاهات التي رغب فيها مؤسس الحوطة.

رابعًا: الدعاء:

رغم أن الدعاء الذي يدعو به الرجل الصالح لا ترد صيغته النصية غالبًا في المأثورات المتعلقة بالحوط، وإنما تظهر نتيجته في المعتدي عليها، فإن المقاربة تشير إلى أن الرد على الاعتداء، وإن بصيغة قولية، قد يكون أقوى من الفعل نفسه، فسرقة رأس غنم أدت إلى هلاك مجموعة من السرق بدعوة مباشرة عليهم[٩] بل أخذ عود من الحطب أدى إلى ذلك ففي الحكاية السابعة والتسعين بعد الثلاثمائة في الجوهر الشفاف "**عن جماعة من الثقات، قال اشترى جماعة شاة، وطلعوا بها الجبل ليضبوها فيه، وكان ولد لخادمة الشيخ عمر رضي الله تعالى عنه منهم، فأتى إلى حائط زرع الشيخ عمر رضي الله تعالى عنه، وأخذ منه عودا يريده لضبي الشاة، فانتفخ من وقته، وورم جسده، ومات بعد ثلاثة أيام**"[١٠] وفي مناقب السيد عبدالله العيدروس أبي محمد أن "مما وقع له من كفاية الشر أن امرأة أرادت أن تسرق ثمر نخلته، ومعها ولدها، فوضعته، ورقت النخلة، فلما نزلت وجدت ولدها ميتًا، فصرخت بالبكاء، ثم أخبروها بأن النخلة للعيدروس، فردت ما أخذت، فتابت، وقام ولدها"[١١] ولعله يراد من الإيحاء بسرعة أثر الدعاء تنبيه المعتدين بشدة إلى عدم التجاوز، لاسيما على المنافع المعيشية، وإن قوة الدعوة لم يكن ليحدث أثرها الحاسم، وإن بصيغة رمزية، ما لم يرتبط ذلك بهيبة الرجل الصالح الروحية، وهيبة حوطته، وإمكانية تقبل الذهنية الاجتماعية لوقوع أثر الدعوة، فالناس من خلال مأثورات الحوط القولية أمام تمثيلات تعبيرية إشارية ينصتون إلى نبض كلماتها وتأثيراتها عليهم، لاسيما حينما يداخلهم تصور بأنها صادرة فيما تقوله عن نموذج روحي قوي، فيقوم عنها تصديق في أذهانهم يتلقون على ضوئه النص المنقول إليهم بصورة أكثر تأثيرًا، فدعاء الرجل الصالح يحكمه نظام متكامل روحي- اجتماعي هو في الأساس وراء قوته.

إن الدعاء وما نتج عنه، وإن بصيغة رمزية، يتحول إلى مأثور قوي بفعل تفاعل المجتمع معه، لاسيما عندما تتكون سلاسل من الحكايات المؤثرة في هذا المجال تجعل تأثيرها أكبر، من غير أن تتقاطع مع بعضها متجهة اتجاها واحدًا متعاضدًا يرويه المجتمع فردًا عن فرد، وجيلا عن جيل

والرابط الذي يجمع صاحب الحوطة والساكنين فيها هو الدعاء لهم، أو الدعاء عليهم، وذلك رابط قوي ومؤثر في مجتمع غلب عليه التصوف، وعنصر مهم في سياق العلاقة فيما بينهم، فهذه الدعوات هي بالأساس نموذج دفاعي يسعى من خلاله الداعي للدفاع عن حوطته وممتلكاته التي لا يريد لها أن تمس، حتى من امرأة أو طفل جائعين، حفاظًا -في ما يبدو- على حوطته وهيبته، ولن تجد من داخل

الحوطة أي صورة انتقادية معارضة لتصرفات صاحبها، فما يقوله الرجل الصالح هو دعوة وحكم أيضًا.

وإذا كان الرجل الصالح يؤثر فيمن يؤذون حوطته، فإن غير المصرح به في خطاب الحوطة أنه يتأثر منهم، والواقع أنهم يؤذون مصالحه وممتلكاته في حوطته، دل على ذلك شدة الدعاء عليهم، وترهيبهم. وعليه يبرز الدعاء شكلاً من أشكال معالجة الواقع ولو بصورة محدودة أو جزئية، وذلك في إطار السياق الاجتماعي التاريخي الذي ورد فيه، وفي إطار منظومة فكرية وعقدية كانت شائعة.

إن الدعاء وما نتج عنه، وإن بصيغة رمزية، يتحول إلى مأثور قوي بفعل تفاعل المجتمع معه، لاسيما عندما تتكون سلاسل من الحكايات المؤثرة في هذا المجال تجعل تأثيرها أكبر، من غير أن تتقاطع مع بعضها متجهة اتجاها واحداً متعاضداً يرويه المجتمع فرداً عن فرد، وجيلا عن جيل، وتتكون بإيجاز من فعل معين (السرقة مثلاً) وحدث (الدعاء) ونتيجة (الإصابة بالعاهة) حتى لا تنسى، ولا يتم التغيير فيها، ويمكن استعادتها بسرعة، وهذا النمط من المأثورات يجدر الاهتمام به، والالتفات إليه، ذلك لأن النتيجة التي تقوم على المباغتة التي ترهب المعتدي وتستحوذ على مشاعره، تجعله أشد تأثراً في إطار نص تراجيدي، وهكذا ترسل الحوطة حكاياتها على هذه الشاكلة من الإيجاز المركز وقوة النتيجة التي تقوم بعملية تشكيل تدريجي للذهنية الاجتماعية على مر الزمن.

إن في إصابة المعتدي بالعاهة أو موته مباشرة إشارة رمزية إلى وجوب التخلص منه حتى لا يعكر صفو الحوطة الآمنة التي يرابط على حمايتها رجل صالح بصورة روحية يقظة، فأنواع الأفعال العدوانية على الحوطة متعددة، والدعوة -في ما يبدو- شاملة تتحقق في الأفراد بكيفيات مختلفة. وربما كانت الدعوات تدخل من وجهة نظر صاحب الحوطة في إطار مشروع إرشادي يتخذ خشونة الجزاء أسلوبًا مقابل خشونة الاعتداء، فالروحي في مقابل العملي، وغير المنظور في مقابل المنظور كلاهما يتمتع بقوة خشنة انطلاقًا من واقع صراع اجتماعي ومعيشي كان سائداً يومئذٍ.

* من أوراق الندوة العلمية (منظومات الضبط الاجتماعي في حضرموت) التي أقامها مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، - سيئون ٢٥ ديسمبر ٢٠٢١م.

الهوامش:

١) ينظر الحرم والحوطة. الحمى المقدسة في الجزيرة العربية. روبرت سيرجنت، ترجمة محمد عطبوش (بحث مخطوط).

٢) ينظر في رحاب تاريخ حضرموت الحديث والمعاصر (أبحاث ودراسات) أ. د. عبدالله سعيد الجعيدي، الطبعة الأولى، مركز حضرموت للدراسات التاريخية والتوثيق والنشر، المكلا، حضرموت ١٤٣٧هـ-٢٠١٦م، ص١٥٧- ١٦٢.

٣) ينظر الحوط، عمر عبدالله بامطرف (بحث مخطوط) وقد أخذت منه استدلالات هذه الورقة مع مقارنتها بأصولها. ويقارن بالجوهر الشفاف، في ذكر فضائل ومناقب السادة الأشراف من آل أبي علوي وغيرهم من الأولياء والصالحين والأكابر العراف من ساكني تريم، تأليف الإمام العارف بالله أبي محمد عبدالرحمن بن محمد بن عبدالرحمن، (مخطوط)، ١٢٩/ ١.

٤) ينظر سيرجنت، مرجع سابق.

٥) غرر البهاء الضوي ودرر الجمال البديع البهي في ذكر الأئمة الأمجاد والعلماء العارفين النقاد والفقهاء المبرزين الأسياد بني الشيخ بصري وبني الشيخ جديد وبني الشيخ علوي بني الشيخ عبدالله بن الشيخ أحمد بن عيسى الأشراف الحسنيين، تأليف الإمام العارف بالله المحدث محمد بن علي بن علوي خرد باعلوي الحسيني العلوي التريمي، الطبعة الثانية، ص٥٥٣، وساعده مدرج ليس به مفصل كناية عن القوة وعدم الانثناء.

٦) أدوار التاريخ الحضرمي، تأليف العلامة محمد بن أحمد الشاطري، الطبعة الثالثة، دار المهاجر للنشر والتوزيع، المدينة المنورة ١٤١٥هـ-١٩٩٤م، ص٣٠٩، نقلا عن مفتاح السعادة والخير في مناقب آل باقشير.

٧) ينظر مقدمة ابن خلدون، ص.

٨) مثل حضرمي.

٩) ينظر الحوط، مرجع سابق، ويقارن بغرر البهاء الضوي، مرجع سابق، ص٥٥٥.

١٠) الجوهر الشفاف، مرجع سابق، ٢/ ١٦٠.

١١) المشرع الروي في مناقب السادة الكرام آل أبي علوي، تأليف العلامة الجليل الحبيب العارف بالله تعالى محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي، دار التراث للدراسات والنشر، ٢/ ١٦٣.

70
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

السوارح عند الأحموم والقبائل المجاورة

سارحة عمرو بن ذي جدن أنموذجًا (١ - ٢)





طاهر ناصر المشطي

المقدمة:

الحمد لله القائل: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[١]، والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم، القائل: (كُلُّ سَارِحَةٍ، وَرَائِحَةٍ عَلَى قَوْمٍ حَرَامٌ عَلَى غَيْرِهِمْ)[٢]. أما بعد:

تعد القبيلة ظاهرة اجتماعية وسياسية ضاربة في أعماق التاريخ العربي، وكان يعبرِّ عن القبيلة في بعض المراجع بلفظ شعب في العربيات الجنوبية[٣]؛ فالقبيلة والشعب إذًا كانا قديماً لفظين مترادفين لمعنى واحد، ولكن علماء العربية يفرِّقون بين اللفظين، فيجعلون الشعب أكبر من القبيلة، والواقع أن هذا التفريق قد وقع في الجاهلية القريبة من الإسلام[٤]، في الآية الثالثة عشرة من سورة الحجرات كما قد سبق.

وإن الاتحاد القبلي (حضرموت) كان يتكون من ثلاث فرق كبرى، هي: آل الحارث، والأشباء، وسيبان[٥]. وكان ينتمي إلى بني الحارث فروعٌ عدَّة، منها الفرعان: (ذو جدن وذو أحماد)[٦]، وذكر الهمداني أنَّ من أولاد ذي جدن آل عمرو، قال: وهم بمسفلة حضرموت[٧]، وإلى هذا الفرع تنسب قبائل الأحموم الموجودة في منطقة المشقاص والهضبة الجنوبية من حضرموت.

71
العدد (27)
يناير
مارس
2023م



لقد برزت قبيلة آل عمرو الأحموم في حياة المجتمع اليمني كوحدة اجتماعية مستقلة متقوقعة داخل حدود مواطنها الجغرافية، ترى السيادة فيها لها وحدها، ورثت مكانتها وعزَّزت ترابطها بما سنَّته من أعراف، تشكِّل أخلاقيات الأفراد وسلوكهم، وبما فرضته من جبايات كمصدر دخل يعود على زعامة القبيلة، التي توزعه على بطونها، فشكَّلتْ بهذه الخصائص وحدة سياسية قبليَّة، تقوم مقام الدولة في النظام السياسي الحديث[٨]. وإن هذه السوارح بمثابة الدستور الذي ينظم مجالات الحياة كافَّةً لأفراد المجتمع.

قبيلة آل عمرو الأحموم (الأم):

تنسب هذه القبيلة إلى الجد عمرو بن ذي جدن بن الحارث بن حضرموت[٩]، التي تتكون من أربعة بطون، هي: بيت علي (العليي)، بيت سعيد (السعيدي)، بيت عبيد (العبيدي)، بيت بحسن (البحسني)، وعزوتهم بـ(بو عمرو)، وهم النواة الأولى للتحالف القبلي الحمومي. وهم أيضًا البقية الباقية من قبيلة حضرموت، كما ذكر ذلك المؤرخ محمدعبدالقادر بامطرف[١٠]، والدكتور محمد عبدالقادر بافقيه[١١]؛ ويرى بامطرف أن مواطن قبيلة الأحموم الحالية هي مواطن قبيلة حضرموت، إضافة إلى أن شبوة هي من مواطنها[١٢].

اكتسبت قبيلة آل عمرو الأحموم وورثت كل مظاهر الحكم والسلطان القبلي العرفي لمملكة حضرموت القديمة. فمثَّلتْ نمطًا من أنماط الحكم القبلي القديم، بما مارسته من سلطة عسكرية ومدنية تسلسل إلى القرن العشرين[١٣]. بل لا يزال يُرجَع إليها إلى يومنا هذا.

إن الاتحاد القبلي (حضرموت) كان يتكون من ثلاث فرق كبرى، هي: آل الحارث، والأشباء، وسيبان. وكان ينتمي إلى بني الحارث فروعٌ عدَّة، منها الفرعان: (ذو جدن وذو أحماد)، وذكر الهمداني أنَّ من أولاد ذي جدن آل عمرو، قال: وهم بمسفلة حضرموت، وإلى هذا الفرع تنسب قبائل الأحموم الموجودة في منطقةالمشقاص والهضبة الجنوبية من حضرموت

التجمع القبلي الحمومي (زي الأحموم):

تعني كلمة (زِيْ): التجمع أو الحلف القبلي المتحالف والقاطن رقعة جغرافية مترابطة من الأرض، تعود ملكيتها تاريخيًّا إلى قبيلة رئيسة، هي الأم، ومحور التحالف لهذا التجمع يضفي عليه اسمها وصفتها، وتبسط زعامتها وسيادتها، فتخضع كيانات التجمع وفصائله لأعرافها وتقاليدها، التي تصبح قانونًا عامًّا، يدين له الجميع بالولاء[١٤].

وفي فترة من تاريخ قبيلة بيت عَلِي مرَّتْ بحالات من الضعف والتفكك والتنافس فيما بينها، فعمدتْ إلى استقطاب عدد من القبائل وتحالفت معها، مكوِّنةً منهم ومن أشقائها الحلف الحمومي المعروف بـ(زي الأحموم)[١٥]. ويتكون زي الأحموم من فصائل قبيلة آل عمرو بن ذي جدن، ومن قبائل أخرى نزحت من مواطنها اليمنية الغربية، ومن مواطن في وسط الجزيرة العربية، تحالفت وارتبطت ببيت علي إحدى فصائل آل عمرو، واستوطنت مواطنها، فاستظلت بلوائها وانتسبتْ إليها ولاءً وحِلفًا، والتزمت بتعهداتها ومواثيقها مع الدويلات والإمارات التي جاورتها في صلحها وخصامها، وهي قبائل: بنو غراب، وبنو عجيل، و بنو شنين، والجامحة، وبيت القرزات، فصار هذا التجمع لحقبة طويلة من التاريخ يعرف بزي الأحموم أو التجمع العشائري الحمومي[١٦].

و هناك قبائل أخرى تداخلت في هذا التحالف: كقبيلتي: (الصرقحي)، و(الحريزي): وهي قبائل غير حمومية، وتسكن مساكن الأحموم، وكانت تتعامل مع ثلاث قبائل وتنظم معها، هي (البحسني، العليبي، الغرابي)، ولكن الآن انضموا جميعهم إلى العليبي؛ وكذلك قبيلة (الشرخة) فهي قبيلة معروفة انضمت إلى بيت علي؛ وقبيلة (الشعملي) أيضًا فهي متحالفة مع بحسن معورب التامبول[١٧].

يحكم نظام ترابط قبيلة آل عمرو وبقية التحالف الحمومي (الزي) نظام حياة أفرادها وسلوكهم وعلاقاتهم بالآخرين، أفرادًا وقبائل عُرْفٌ عام موروث يسمى السوارح.



تعريف السوارح:

معنى كلمة سارحة في قواميس اللغة العربية:

أصل الكلمة من الاسم (سَارِحٌ) في صورة مفرد مذكر، وجذرها (سرح)، وجذعها (سارح)، ولها معانٍ عدَّة، منها: السرَّحُ: هو المالُ السائم[١٨]. والسرح أيضًا هي الماشيةُ[١٩] التي تَسرَحُ بالغداة إلى مراعيها[٢٠]، السرَّحُ والسارحُ والسارحة سواء، قال خالد بن جَنْبَةَ: السارحة الإبل والغنم، قال: والسارحة الدابة الواحدة. قال: وهي أيضًا الجَمَاعَة[٢١]. يقال: سرَّحْتُ الماشيةَ أي أخرجْتُها بالغَداة إلى المرعى؛ وسرّحَ الشيءَ: أرْسَلَهُ -وهو المعنى المقصود هنا-، يُقَال: سرّح الرَّسُولَ أرْسلهُ في حَاجَة، وسرَّحَ الشّعْرَ رَجَّلَه، وسرّح المرْأة طَلَّقهَا، وفي التَّنْزِيل الْعَزِيز: ((فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلاً))[٢٢]. ويقال: تَسرَّحَ فلانٌ من هذا المكان إذا ذهب وخرج. وسرَحْتُ ما في صدري سرُحًا، أي: أخرجته. وسُمِّيَ السرَّحُ سرُحًا لأنه يُسرَحُ فيخرُجُ؛ والاسم السرَاحُ، مثل التبليغ والبلاغ[٢٣].

السوارح في العرف القبلي:

كان للبيئة الطبيعية البدوية دور كبير في اختيار لفظ (السارحة) كمدلول للأعراف والأحكام التي انتشرت بين قبائل الأحموم، فمعنى السارحة في العرف هي عبارة

73
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

عن دستور عام بالقوانين والأحكام والأعراف والعادات المعروفة عند مجتمع البادية، التي قد حكم بها أو سنَّها مقدَّمٌ معروف، وسار على نهجه بقية المقادمة. وذلك لتنظيم العلاقات والحياة العامة للمجتمع القبلي.

سارحة عمرو:

تنسب هذه السوارح إلى الجد الأعلى للأحموم، وهو عمرو بن ذي جدن حكم بها أو سنَّها بنفسه، أو أمرَ بها مقدم معروف من بيت عمرو، وسرَّحوه بمعنى أنهم مشَوا على هذه الأحكام.

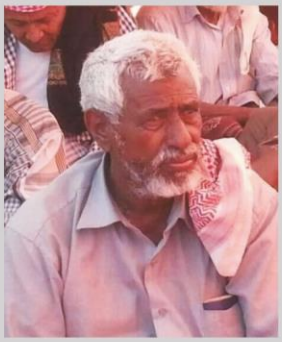
ويلتزم بهذه الأحكام (السوارح) جميع بيت عمرو وبقية الأحموم قيادة وقاعدة التزامًا أدبيًا وأخلاقيًا، فلا رقيب على السلوك الشخصي إلا إيمان الفرد بقدسية العرف -السارحة-. فيربى النشء على احترامه وتقديسه والولاء له، ففيه ضمان لسلامة حياة الفرد داخل القبيلة ككيان[٢٤]؛ أما القبائل الأخرى فهي مخيرَّة بين الالتزام به أو بغيرها من السوارح الأخرى. غير أن فصائل التجمع العشائري الثعيني تتعامل بها مع الاختلاف في الفروع[٢٥].

ويطلق على قضائهم حكم فرع - وحكم سارحة- للتفريق بينه وبين حكم الشرع الإسلامي.. ويحكم فيها رؤساء البطون والقبائل -عقال الديار- وقضاة متخصصون أيضًا[٢٦]، ومن أشهر المحكِّمين في السوارح المقادمة، نذكر منهم:

١. عَلي بن سالم (حبريش) بن مجنح العليبي.
٢. أحمد بن سالم (حبريش) بن مجنح العليبي.
٣. علي بن أحمد بن سالم (حبريش) بن مجنح العليبي.
٤. سالمين بن فرج بن كرامة بن مجنح العليبي.
٥. أحمد سالمين بن نعوم العبيدي.



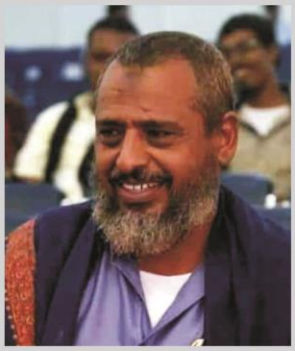
المقدم
علي بن أحمد بن حبريش



المقدم سالمين بن فرج
بن كرامة بن مجنح العليبي



المقدم عمرو بن ساد الغرابي



المقدم أحمد بن محمد الشنيتي

٦. عمرو بن حيمد الغرابي.
٧. سالم بن حيمد الغرابي.
٨. ساد بن عمرو الغرابي.
٩. عمرو بن ساد بن عمرو الغرابي.
١٠. سعد بن عوض الشنيني.
١١. سعيد الحول الشنيني.
١٢. عبد الله بن عيضة الشنيني.
١٣. أحمد بن محمد الشنيني ... وغيرهم.

كما يحتكم الأحموم في الأحوال الشخصية إلى عائلة بيت حسين من آل باعباد في قرية معبر، ومن أشهرهم الحكَمُ العرفي الشيخ عمر عبد الله باعباد[٢٧]، ولقضايا النساء وحقوقهن قضاة متخصصون أيضًا، والحُكْمُ بالإعدام قصاصًا لا يحكم فيه إلا رؤساء القبائل أو الرئيس الأعلى للتجمع إذا اقتضى الأمر ذلك[٢٨]، بحسب السوارح.



وأما الحكم في الخلافات الناشئة بين فصائل التجمع فتحكم فيها أُسرٌ معروفة أيضًا ومتخصصة في قضايا النزاع بين القبائل، وهؤلاء هم (الحكمان[٢٩])، وإذا لم يقتنع أحد الطرفين بالحكم الصادر له أو عليه يتدخل الزعيم الأعلى كما يطلقون عليه لحل النزاع، ويكون حكمه نهائيًا لا استئناف فيه[٣٠].

أحكام هذه السوارح يلتزم بها دائماً الأحموم، أما القبائل الأخرى لها الخيار فيها. وإذا اختلفت القبائل في تفنيد، أي: تفسير الحكم يتم الرجوع لسارحة عمرو، وإذا اختلفوا يتم الرجوع إلى مقدم دار بن عجاج النهدي من مقادمة نهد في منطقة قعوضة... والكل يقتنع بحكمه.

زوف الحكم (الاستئناف):

بعد النطق بالحكم من قبل المقدَّم المحكِّم يكون للمحكوم عليه حالتان: إما القبول بالحكم، ويسمى (تصليب الحكم)، أو رفض الحكم وعدم القبول به، ويسمى (الزوف)[٣١].

وتتحول القضية هنا بين المقدم القاضي الأول والمحكوم عليه، الذي يطلب استئناف الحكم عند مقدم آخر؛ إذ يتقدم الرافض بطلب (زيف الحكم)، ويقدم عرابين مجزية كبيرة في (الزوف) بيد المقدَّم الثاني الذي سيحكم في القضية، ويتفقون على هذا المقدم الذي يزوفون (يستأنفون) عنده، إذا تم الاتفاق من سيحكم، يتم العصب عليه من قبل الحاضرين، وإذا لم يتفقوا انتقلوا إلى مقدَّم ثالث. ومن السوارح في حالة الاختلاف يتم اختيار المقدم الأقرب إلى العدول. ويناقد المقدم الأول (أمام المقدم الآخر الذي يتحاكمون عنده) إما أن يثبِّت الحكم السابق أو يفسخه، فإذا ثبَّت الحكم لصالح المقدَّم يتم رد اعتبار للمقدَّم بما يقرُّه المحكِّم ويعد العربون ضمانًا، أما إذا كان الحكم لصالح المزوف، ينطلق عربونه، ويسقط اعتبار المقدم، ويطالب المزوف بمخاسيره[٣٢]؛ وإذا لم يقتنع أحد الأطراف من حكم المقدم الثاني في زوف الحكم انتقلوا إلى المقدم بن عجاج لتفنيد الحكم المختص بسارحة عمرو[٣٣].

السارحة والشرع:



السارحة ما هي إلا أحكام عرفية من اجتهادات البشر، بعضها سوارح قديمة جداً منذ زمن الجاهلية، وعلى الرغم ذلك فإنَّ هناك كثيراً من هذه السوارح تكون موافقة للشرع، وبعضها الآخر مخالفة له، وهنا نورد شهادة علاَّمة حضرموت ومفتيها السيد: عبدالرحمن ابن عبيد الله السقاف رحمه الله إذ يقول: ولقد شهدتُ اجتماعَ الأحموم بالشحر في سنة (١٣٣٣هـ) متنازعين في كثيرٍ من القضايا

75
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

المهمَّة، التي حارَ فيها السيّد حسين بن حامد، فقال له حَبريشُ: رُدَّها إليَّ، وأنا أحكمُ فيها على شرطين:

أحدُهما: أن تجعلَ لي ألفَ ريال.

والثاني: أن أضعَ أنا ألفَ ريال، فإنْ نَقَضَ حكمي شرعٌ أو عُرفٌ.. كنْتَ في حلٍّ من ألفي.

فامتدَّ عُنقي لذلكَ البدويِّ الذي لم أعرفْهُ مِنْ قَبْلُ، وأكبرتُ تحدِّيَهُ للشرعِ، وقُلتُ لهُ: هَبْكَ أمنْتَ النَّقضَ مِنْ جهةِ العُرفِ والعادةِ، لإتقانك لهما، فمَن لكَ بالأمانِ مِنْ جهةِ الشرعِ، أتعرفُهُ؟

فقال: لا، ولكنِّي سأحكُمُ بالعدلِ، والعدلُ لا يتغيرُّ، ولا يُمكنُ نَقْضُهُ بحال.

فأكْبرْتُ ما في طَيِّ تلك الأسمال البالية[٣٤] وتحتَ تلك اللِّحيةِ الشَّعثة من الحكمة التي ابتعدت عن مجالس القضاة اليوم، وزادني ذلك تصديقًا لقول الإمام علي -كرم الله وجههُ-: (العِلْمُ نقطةٌ، وإنما وسَّعَتْهُ آراء الجهَّال) أو ما هذا معناهُ[٣٥].

وهذه شهادة عظيمة من علاَّمة حضرموت ومفتيها في ذلك الوقت على أهمية هذه السوارح، واجتهاد مَنْ يحكمون بها إذا حكموا بالعدل والإنصاف.

ومن أمثلة السوارح الموافقة للشرع:

١. قاتل السعيف؛ حكمه القصاص بالقتل[٣٦].

٢. أمر المرأة عند وليها الأقرب في الولاية، ولا يجوز لأحد أن يتخطى ذلك[٣٧].

٣. إكرام الضيف.

٤. بعض سوارح اللوم والشوم: وخاصة تلك الخاصة بحماية ونصرة المظلومين والضعفاء الذين يلوذون إلى القبيلة؛ إذ تمثلت سلطة قبيلة آل عمرو الأحموم في هيمنتها وسيطرتها الكاملة عل مناطقها ومواطنها المرسومة بالدفاع عنها من سطوة المعتدين الغازين وحماية حلفائها واللائذين بها والقاطنين على أرضها من فئات شعبية مدنية تذود عنهم وتدافع عن حقوقهم، فهم كما يصطلح عليه

> **لقضايا النساء وحقوقهن قضاة متخصصون أيضًا، والحُكْمُ بالإعدام قصاصًا لا يحكم فيه إلا رؤساء القبائل أو الرئيس الأعلى للتجمع إذا اقتضى الأمر ذلك، بحسب السوارح. وأما الحكم في الخلافات الناشئة بين فصائل التجمع فتحكم فيها أسَرُّ معروفة أيضًا ومتخصصة في قضايا النزاع بين القبائل، وهؤلاء هم (الحكمان).**

العرف القبلي (شايم) و(لايم)، أي: المشمولون بحمايتهم وجب الدفاع عنهم مهما كلفها ذلك من تضحيات؛ فإذا استصرخها اللائذ بها أجابته ونصرته دون تردد، فالتخاذل في نصرة اللائذ يعد ضعفًا وخيانة، توصم بها القبيلة[٣٨].

ومن هذه السوارح في نصرة المظلوم إذا لجأ شخص أو مجموعة أشخاص من المستضعفين إلى قبيلة الأحموم، وتعرض للنهب من قبيلة أخرى فالقبيلة ملتزمة برد ما نُهِب عليه مقابل رسوم يسيرة متعارف عليها[٣٩].

وهناك بعض السوارح القديمة غير موافقة للشرع وهي قليلة، بالمقارنة مع السوارح الموافقة للشرع؛ إذ الكثير منها سرِحَ بها قبل الإسلام، فهي ذات طبيعة جاهلية، وقد نُسِخَ غالبُها بسوارح أخرى حتى تتوافق مع الشرع.

مثال للسوارح التي تخالف الشرع:

١. الشنواة:

وهي إن البنت التي زوَّجها أبوها من شخص لا ترغب فيه، و لها علاقة بشخص آخر تعشقه (مشنِّية)، واكتشف الزوج ذلك فعثر عليها مع عشيقها فله حالتان: إما أن يقبل عليها دفع من قبل (المشني) العشيق، فيقول له: (أنتَ مربوط بالدفع)، فإذا دفع العشيق المهر للزوج فيطلقها الزوج، وتتزوج المرأة من عشيقها (المشني)، وإذا رفض العشيق الدفع وقال: أنا جالس معها جلوس عادي فالخيار للزوج[٤٠]، إما أن يرجعها إليه ويأمنها من الضرب، وعليه ثمانية أيام ليس عليه طاعة لها، وبعدها تلزمه الطاعة (وهذه الأيام الثمانية كالعدة)[٤١]، وإما يرفضها ويطالب مخاسير الزواج. وبعضهم يشني بها وتأخذ عنده يومًا أو يومين، ويقول: هذه بنتكم (ربعوها)، أي: اقبلوها في الوجه، وإذا الزوج راغب فيها وقبلها انتهى الأمر، وإذا رفضها الزوج يلزمونها بعشيقها بالغصب، ويدفع ما عليه وعلى الزوج أن يطلق[٤٢].

٢. فكاك القرابة:

حسب السارحة أن ابن العم أو القريب من البنت المتزوجة حديثاً هو الأحقُّ بها من الغريب، ويحق له أن يطالب بها، ويلغي زواجها من الزوج الغريب، ويعطي الزوج الغريب حقه من المخاسير. فأحيانًا وبعد أن يتم الزواج (الخطوبة والحراوة) يأتي ابن عم العروس أو أحد أقربائها، ويقول أنا سأفك بنت عمي لا أريدها للغريب! ويتحاكمون، فيحكمون بينهم إذا البنت تريد قريبها وجاب موافقتها، فإنه يرد مهر الكلان وكل مخاسيره، ويأخذ بنت عمه...

> هناك بعض السوارح القديمة غير موافقة للشرع وهي قليلة، بالمقارنة مع السوارح الموافقة للشرع؛ إذ الكثير منها سُرِحَ بها قبل الإسلام، فهي ذات طبيعة جاهلية، وقد نُسِخَ غالبُها بسوارح أخرى حتى تتوافق مع الشرع.

وفي القديم كان يحدث ذلك حتى بعد عقد النكاح، وهو مخالف للشرع[٤٣].

٣. سارحة الرفقة:

وهي أن للفتاة حرية إقامة العلاقة الحميمة مع الذكور، وفق ضوابط تحدِّدها الأعراف. ولها حرية اختيار شريك حياتها.. فلا يلزمها الولي بالارتباط بمن يختاره، حتى ولو كان ابن عمها أو قريب النسب لها[٤٤].

إن هذه السوارح المخالفة للشرع تكاد تكون قد تلاشتْ، بل إن المسرّحين (المشرعين) من مقادمة الأحموم قد سرَّحوا سوارح جديدة موافقة للشرع تجنُّبًا للوقوع فيما هو محظور شرعًا، من هذه السوارح ما اتفق عليه المقادمة المحكّمون عمرو بن ساد الغرابي وعلي بن أحمد بن حبريش العلبي، وتمَّ سنُّهُ كسارحة من سوارح الأحموم: وهي عند ربوط الفتاة للزواج يتم حضور شهود وأحد من أهلها، فيتم طلب موافقتها على الزواج وتخيرها بين مَنْ تقدَّم لها للزواج عند وليّها، ومن تصاحب[٤٥]، فتختار الفتاة من

ترغب فيه ليكون زوجًا لها، وبهذه السارحة الجديدة تم القضاء على بعض السوارح المخالفة للشرع كسارحة الشنْواة، فكاك القرابة، الرفقة.

الهوامش:

١) الآية ١٣ من سورة الحجرات.

٢) الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي؛ (المعجم الكبير)، ج٨، ص ١٧٦.

٣) جواد علي (المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام) ج٥، دار العلم للملايين بيروت لبنان ١٩٧٠م، ص ١٨١.

٤) البكري، عبدالخالق محمد صالح (القبيلة في ساحل حضرموت)، ص١١.

٥) فرانتسوزوف، سرجيس (تاريخ حضرموت الاجتماعي و السياسي قبيل الإسلام و بعدة) ص ١٦٧/ الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (الإكليل ج٢)، ص ٢٧٦.

٦) لمعرفة هذه الفروع و أقسام بطون (ذي جدن) المصدر السابق لـ (فرانتسوزوف) من ص ١٦٧ - ١٦٩.

٧) الهمداني، الحسن بن أحمد بن يعقوب (الإكليل ج٢) ص ٢٧٩.

٨) الملاحي، عبد الرحمن بن عبد الكريم (تاريخ الصراع الحمومي القعيطي ودوافعه ١٨٦٧ - ١٩٦٧م؛ بحث مقدم إلى الندوة العلمية التاريخية التي عُقدت بكلية التربية بالمكلا في فبراير ١٩٨٨م، جامعة عدن، ص ٢١٣.

٩) الحامد، صالح، (تاريخ حضرموت) ج١، ص١٦، ٦٥، نقلاً عن نشوان بن سعيد الحميري، الذي سلسل نسبهم على النحو التالي: بنو حضرموت بن سبأ الأصغر بن كعب بن سهل ابن زيد بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جُشم بن عبد شمس بن وائل بن الغوث بن جيدان بن قطن بن عريب بن زهير بن أيمن بن الهميسع بن العرنجج، وهو حمير الأصغر بن سبأ الأكبر بن يشجب.

١٠) انظر بامطرف ملاحظات على ما ذكره الهمداني، ص ٢٤.

١١) بافقيه، محمد عبد القادر (توحيد اليمن القديم) صنعاء ٢٠٠٧م. ص١٧٦ و١٧٧.

١٢) ملاحظات على ما ذكره الهمداني، ص ٢٤.

١٣) الملاحي، عبدالرحمن بن عبدالكريم (تاريخ الصراع الحمومي القعيطي ...) مصدر سابق، ص ٢١٢.

١٤) المرجع السابق، ص ٢٠٩.

١٥) الملاحي، عبدالرحمن عبدالكريم (الدلالات الاجتماعية واللغوية والثقافية لمهرجانات ختان صبيان قبائل المشقاص، ثعين والحموم) ص٤٨.

١٦) مرجع سابق، الملاحي، (تاريخ الصراع الحمومي القعيطي ...)، ص ٢١٠.

١٧) لقاء مع المقدم عبد الله صالح الغرابي بتاريخ ١٥ / ١٢ / ٢٠١٢م.

١٨) الرازي، محمد بن أبي بكر (مختار الصحاح) مكتبة لبنان ١٩٨٦م، ص١٢٤/ الفيروز أبادي (القاموس المحيط) الناشر: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان الطبعة: الثامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م، ص٢٢٣/ الزَّبيدي، محمد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (تاج العروس من جواهر القاموس) الناشر: دار الهداية، ج٦، ص ٤٦٨.

١٩) مجموعة من المؤلفين مجمع اللغة العربية بالقاهرة (المعجم الوسيط) الناشر: دار الدعوة/ الرازي (مختار الصحاح) مرجع سابق، ص ١٤٥.

٢٠) ابن منظور، محمد بن مكرم (لسان العرب) الناشر: دار صادر بيروت الطبعة الثالثة ١٤١٤ هـ، ص٤٧٨.

٢١) الزَّبيدي، محمد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني (تاج العروس من جواهر القاموس) الناشر: دار الهداية، ج٦، ص ٤٦٨.

٢٢) (المعجم الوسيط) مصدر سابق، ص ٤٢٥ / الرازي (مختار الصحاح) مصدر سابق، ص ١٢٤، ١٤٥/ الفيروز أبادي (القاموس المحيط) مصدر سابق، ص٢٢٣.

٢٣) ابن منظور، (لسان العرب) مصدر سابق ص٤٧٩ / منتخب من صحاح الجوهري ص ٣١٣.

٢٤) المصدر السابق ص ٢١٣.

٢٥) الملاحي (الدلالات الاجتماعية ...) مصدر سابق ص ٥١.

٢٦) الملاحي (تاريخ الصراع الحمومي القعيطي...) مصدر سابق، ص٢١٣.

٢٧) المصدر سابق، ص ٢٥٩.

٢٨) المصدر السابق ص ٢١٣.

٢٩) عُرِفت فخيدتان بهذا النوع من التحكيم في حضرموت: الأولى آل عجاج بن نهد في قعوضة، والثانية آل عبد الودود من آل كثير بالريدة الشرقية.

٣٠) الملاحي، عبدالرحمن بن عبدالكريم (تاريخ الصراع الحمومي القعيطي ...) مصدر سابق، ص ٢١٣.

٣١) لقاء مع المقدم سالم النمر أحمد الشنيني بتاريخ ٢٠ / ١٠ / ٢٠٢١م.

٣٢) المصدر السابق.

٣٣) لقاء مع المقدم عبد الله صالح النقش الغرابي ١٥ / ١٢ / ٢٠١٢م.

٣٤) الأسمال: الثِّياب البالية.

٣٥) السقاف، السيد عبد الرحمن بن عبيد الله (إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت) الطبعة الأولى دار المنهاج ٢٠٠٥م، ص٤٦٨، ٤٦٩.

٣٦) لقاء مع المقدم سالم النمر أحمد الشنيني بتاريخ ٢٠ / ١٠ / ٢٠٢١م.

٣٧) لقاء مع المقدم سالم النمر أحمد الشنيني بتاريخ ٢٠ / ١٠ / ٢٠٢١م.

٣٨) الملاحي، عبدالرحمن بن عبدالكريم (تاريخ الصراع الحمومي القعيطي ...) مصدر سابق، ص ٢١٢.

٣٩) لقاء مع المقدم سالم النمر أحمد الشنيني بتاريخ ٢٠ / ١٠ / ٢٠٢١م.

٤٠) لقاء مع الشيخ البرك سالم النموري.

٤١) مقابلة مع المقدم سالم سالمين الشنيني الجمعة ١٥ / ١٠ / ٢٠٢١م.

٤٢) لقاء مع الشيخ البرك سالم النموري.

٤٣) لقاء مع المقدم عبد الله صالح النقش الغرابي ١٥ / ١٢ / ٢٠١٢م.

٤٤) الملاحي، عبدالرحمن عبدالكريم (الدلالات الاجتماعية ...) مصدر سابق، ص ٥١.

٤٥) لقاء مع المقدم عوض القصيرّ سعد الغرابي بتاريخ ٢٩ / ١١ / ٢٠٢١م.

78
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

الأسماك والأحياء البحرية في بحر العرب

ساحل حضرموت (أنموذجًا)

الحلقة (١١)



وسيلة القرش (القفص) المصنوع محليًا



أ. عمر خميس بامتيرف

يمتازون بصنعة الأقفاص (القرش) من أعواد أشجار الخمر والجعبور المحلية، ويجيدون استخدامه في صيادة الأسماك لمهاراتهم في الغوص في المياه العميقة، ويقضون أوقاتًا طويلة تمكنهم من ترتيب وضع القفص وتثبيته في مكان آمن من خطورة التيارات القاعية.



من أهم ما يمكن قوله إن بحر العرب، وحضرموت بصفة خاصة يمتاز صيادوها بتعدُّد الوسائل وطرق الاصطياد؛ إذ كل منطقة لها خصوصية متوارثة منذ أزمنة قديمة، والحال نفسها في بلدروكب فإنَّ فئة من صياديها

79
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

Family : scaridae

عائلة الدقان (القلادة والدعن والشرمط)



عائلة الدقان أنواع عدة، وتحمل اسم العائلة (scaridae)، ويُعد منها أسماك الذرة، وأسماك الدعن، وأسماك القلادة، وأسماك الشرمط. وتنتمي إليها أجناس عدة، ومنها ٢٤ نوعًا في بحر العرب – حضرموت، وأهمها جنس الدرة (scarus) hipposcarus، وهناك نوع آخر يسمى (chloruus)، وكلها تعود في تسميتها إلى دقان من حيث العموم، وعوائل الدقان فريدة من نوعها؛ فهي تمر بمراحل بيولوجية خلال حياتها؛ لتتمتع بألوان زاهية وخاصة الذكور في أثناء مرحلة التطور الجنسي، وتتوافر هذه العائلة على مدار العام في أماكن الشعاب المرجانية المخصصة لها في القشار (الصخور)، والمحددة مواقعها في مستويات معينة من حيث العمق ٣ – ٢٠ باعًا بحريًا، وأسماك الدقان والدعن والشرمط جسمها عليه صفوف من القشور الدائرية، ما عدا أسماك القلادة فقشورها لينة مربعة مسطحة، والعائلة لها صفان من الأسنان بشكل منقاري في كل من الفكين، ويفضل إنضاجها مطفيًا بالتمر (الحومر) الهندي، أو تجفيفها صفيفًا، وموسمها يبدأ من فصل الربيع حتى نهاية الصيف، وأفضل الطرق لاصطيادها بقفص القرش المصنوع من عود الخمر والجعبور؛ لأنه مؤمّن لحمايتها.

Family: scaridae

الاسم الحضرمي: durah dugn

الاسم الإنجليزي: Scarus ghobban

الاسم العلمي: hipposcarus harid



درة durah

أسماك الدرة: وهي أنواع ثلاثة: الدرة الأولى، طولها لا يزيد عن ٧٠ سم، وجسمها مستطيل ومكبوس، لونه أزرق ضارب للاخضرار غامق وجسمها متوسط، وتحت العين والزعنفة الصدرية والبطنية لونٌ برتقالي فاتح، والزعنفة الظهرية والشرجية زرقاء، والذيل أزرق، وأطرافها برتقالية، ويوجد بفمها صفان من الأسنان بشكل منقاري على الفكين، وأنفها طويل، ويفضل اصطيادها عبر وسيلة الأقفاص أو (شباك الجر القاعية) من عمق ٣ – ٧٠ باعًا بحريًا، ويفضل إنضاجها مطفيًا بالتمر الهندي، أو تجفيفها صفيفًا، وموسمها فصلا الربيع والصيف، وتسمى في (سلطنة عمان: جن ببغاء برقة)، وفي (دول الخليج: حريد).

Family: scaridae

الاسم الحضرمي: durah dugn

الاسم الإنجليزي: hipposcarus harid

الاسم العلمي: candelamoa parrotfish



درة durah dugn

النوع الثاني: درة، طولها لا يزيد عن ٦٠ سم، وجسمها مكبوس وعريض، لونها فاتح مائل للزرقة والبرتقالي الفاتح، وأطرافها شفَّافة، ولها صفان من الأسنان، ورأسها دائري كبير، وتسمى في (سلطنة عمان: - جن ببغاء برقة)، وفي (دول الخليج: حريد)، ويفضل اصطيادها عبر وسيلة الأقفاص وشباك الجر القاعية من عمق ٣ - ٧٠ باعًا بحريًا، ويفضل إنضاجها مطفيًا بالتمر الهندي، أو تجفيفها صفيفًا، وموسمها فصلا الربيع والصيف.

Family: scaridae

الاسم الحضرمي: durah dugnea

الاسم الإنجليزي: zufar scarus

الاسم العلمي: dhofar parrotfish



Durah dugnea

الدرة الثالثة: طولها لا يزيد عن ٥٠ سم، ولونها أسمر غامق، والذيل بني داكن، ولون أطراف الزعانف ومقدمة الفم أخضر، وقشورها مرصوصة أطرافها داكنة، ولها صفان من الأسنان بشكل منقاري في كل من الفكين، ويفضل اصطيادها عبر وسيلة الأقفاص وأشباك الجر القاعية من عمق ٧ - ٧٠ باعًا بحريًا، ويفضل إنضاجها مطفيًا بالتمر الهندي، أو تجفيفها صفيفًا، وموسمها فصلا الربيع والصيف، وتسمى في (سلطنة عمان: جن ببغاء برقة)، وفي (دول الخليج: حريد).

Family: scaridae

الاسم الحضرمي: sowda dugna

الاسم الإنجليزي: scarus fuscopurpu - reus

الاسم العلمي: purple brown par - rotfish



دقنة سوداء dugn

دقنة سوداء: طولها لا يزيد عن ٥٠ سم، ولونها بني داكن مائل للسواد، وعليها قشور غليظة، ولها صفان من الأسنان بشكل منقاري في كلٍ من الفكين، ويفضل اصطيادها عبر وسيلة الأقفاص وأشباك الجر القاعية من عمق ٧ - ٧٠ باعًا بحريًا، ويفضل إنضاجها مطفيًا بالتمر الهندي، أو تجفيفها صفيفًا، وموسمها فصلا الربيع والصيف.

Family: scaridae

الاسم الحضرمي: durah dugn

الاسم الإنجليزي: ferrugineus scarus

الاسم العلمي: rusty parrotfish



durah dugna

81
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

دقنة حمراء: طولها لا يزيد عن ٦٠ سم، جسمها أحمر فاتح ضارب للسمرة، ولها صفان من الأسنان بشكل منقاري في كلٍ من الفكَّين، وفوق العين وأطراف الفم والفك السفلي طهوة خضراء، وتحت غطاء الخيشوم والزعنفة البطنية لون أخضر يمتد إلى سلسلة الزعانف الشرجية حتى نهاية أطراف الذيل، ويفضل اصطيادها عبر وسيلة الأقفاص وأشباك الجر القاعية من عمق ٧ – ٧٠ باعًا بحريًا، ويفضل إنضاجها مطفيًا بالتمر الهندي، أو تجفيفها صفيفًا، وموسمها فصلا الربيع والصيف.

Family: scaridae

الاسم الحضرمي: dugn

الاسم الإنجليزي: scarus sordidus

الاسم العلمي: bullethead par - rotfish



دقنة durah

دقنة صفراء سمراء: طولها لا يزيد عن ٥٠ سم، ولونها أسمر فاتح، والذيل أصفر، وأطراف الزعانف ومقدمة الفم زرقاء فاتحة، والزعنفة الصدرية سمراء شفافة، ولها صفان من الأسنان بشكل دائري في كلٍ من الفكَّين، ويفضل اصطيادها عبر وسيلة الأقفاص أو شباك الجر القاعية من عمق ٧ – ٧٠ باعًا بحريًا، ويفضل إنضاجها مطفيًا بالتمر الهندي، أو تجفيفها صفيفًا، وموسمها فصلا الربيع والصيف.

Family: scaridae

الاسم الحضرمي: dugn

الاسم الإنجليزي: psittacus scarus

الاسم العلمي: palenose prrot - fish



النوع الرابع: **دقنة صفراء**، وطولها لا يزيد عن ٥٠ سم، لون جسمها أسمر، ولها صفان من الأسنان بشكل نصف دائري في كلٍ من الفكَّين، والذيل أصفر، ولون أطراف الزعانف ومقدمة الفم زرقاء فاتحة، والزعنفة الصدرية سمراء، والزعنفة البطنية حمراء، والزعنفة الشرجية خضراء، وأطرافها حمراء، وتسمى في (سلطنة عمان: الهامور الأزرق ذو الذيل الأصفر)، ويفضل اصطيادها عبر وسيلة الأقفاص أو شباك الجر القاعية من عمق ٧ – ٧٠ باعًا بحريًا، ويفضل إنضاجها مطفيًا بالتمر الهندي، أو تجفيفها صفيفًا، وموسمها فصلا الربيع و الصيف.

Family: scaridae

الاسم الحضرمي: dugnea

الاسم الإنجليزي: cetoscarus bicolor

الاسم العلمي: bicolor parrotfish

82
العدد (27)
يناير
مارس
2023م



دقنة dugnea

دقنه سمراء: طولها لا يزيد عن ٥٠ سم، ولونها أسمر غامق، وعليه طهوة خوبة الحناء، والذيل بني داكن، وأطراف الزعانف والفم سمراء شفافة، ولها صفان من الأسنان بشكل منقاري في كلٍ من الفكَّين، ويفضل اصطيادها عبر وسيلة الأقفاص أو شباك الجر القاعية من عمق ٧ - ٧٠ باعًا بحريًا، ويفضل إنضاجها مطفيًا بالتمر الهندي، أو تجفيفها صفيفًا، وموسمها فصلا الربيع والصيف، وتسمى في (سلطنة عمان: جن ببغاء برقة)، وفي (دول الخليج: حريد).

Family: scaridae

الاسم الحضرمي: khatara dugnea

الاسم الإنجليزي: scarus frenatus

الاسم العلمي: bridled parrotfish



دقنة خضرة khatara dugnea

دقنة خضراء: طولها لا يزيد عن ٦٠ سم، جسمها أخضر مائل للزرقة، وقشورها كبيرة مرصوصة، وعليها خطوط برتقالية حول العين والفم والفك العلوي، ولها صفان من الأسنان في كلٍ من الفكَّين، ويفضل اصطيادها عبر وسيلة الأقفاص أو شباك الجر القاعية من عمق ٧ - ٧٠ باعًا بحريًا، ويفضل إنضاج لحمها كبسة، أو مقلية مع الفلفل، أو تجفف صفيفًا، أو إنضاجها مطفيًا بالتمر الهندي، وموسمها فصلا الربيع والصيف، وتسمى في (سلطنة عمان: جن ببغاء برقة)، وفي (دول الخليج - حريد).

Family: scaridae

الاسم الحضرمي: dugnea

الاسم الإنجليزي: scarus niger

الاسم العلمي: swarthy parrot - fish



دقنة خضيرة: طولها لا يزيد على ٥٠ سم، لون جسمها بني داكن مائل للسمرة، وعليه بقع خضراء وخاصة على الرأس، وأطرافها برتقالية، الزعنفة الظهرية والزعنفة الشرجية وأجزاء من الذيل وأطرافها خضراء، الزعنفة الصدرية برتقالية، وتوجد خطوط برتقالية وخضراء حول الفم والعين، ولها صفان من الأسنان بشكل منقاري في كلٍ من الفكَّين، ويفضل تجفيفها صفيفًا خاصةً في فصل الخريف، ويفضل اصطياد كل أنواع عائلة الدقان بوساطة وسيلة أقفاص القرش المصنوع من عود الخمر والجعبور، من عمق ٣ - ٧٠ باعًا بحريًا، ويُفضَّل إنضاجها كبسةً أو مقليًا.

83
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

السيرة الذاتية الوطنية للمناضل

أحمد عمر باخريبة

(١٨٧٨ – ١٩٤٩م)



هناك رجال يصنعون التاريخ، يسجلون أسماءهم بأحرف من نور على صفحات تاريخ السودان الحديث، فيعيشون في ذاكرة الأجيال على مرّ العصور.

إذا أردنا الحديث عن الشيخ المناضل: (أحمد عمر باخريبة)، لا بد من أن نعود بالذاكرة قليلًا إلى الوراء حتى تكتمل الصورة لدى كثير من الناس الذين يجهلون تاريخه الوطني.

فوالده هو الشيخ: (عمر صالح باعمر باخريبة)، المولود في قرية الخُريبة بمحافظة حضرموت باليمن. وقد اتخذ من مدينة المكلا مكانًا لإقامته، وعمل فيها بالتجارة، وتزوج منها، وأنجب فيها ابنه (أحمد) في عام ١٨٧٨م.



محمد عمر باخريبة

هاجر الشيخ عمر في عام ١٨٨٦م متّجهًا إلى السودان ومعه ابنه (أحمد)، ثُمَّ استقر بمدينة حلايب أولاً، ثم انتقل إلى (طوكر)، ومنها إلى مدينة (كسلا)، ثم في آخر المطاف استقر مع أسرته بمدينة ود مدني.

• شهدت مدينة ود مدني في تلك الفترة نشاطًا تجاريًا كبيراً، وحلت بالمدينة أعدادٌ كثيرة من المهاجرين، فأصبحت عاصمة لمديرية النيل الأزرق، ومركزًا تجاريًا مهماً، وبرزت أهميتها الاقتصادية عندما تم إنشاء مشروع الجزيرة.

ومع كل هذا الحراك الاقتصادي والاجتماعي نما الشعور الوطني في المدينة كغيرها من مدن السودان الأخرى، وبدأت مرحلة الحراك الثقافي والأدبي والوطني عبر

تفعيل دَورِ الأندية؛ بهدف نشر الوعي، وخلق شعور قومي موحد؛ لتحقيق الحرية، ونبذ الظلم.

• برز دور المناضل: (أحمد باخريبة) وسط هذا الجو المفعم بالروح الوطنية، فكان مناضلاً ذا فكر ورأي متقدم في الحركة السياسية والاجتماعية بمدينة ود مدني، فكان مدافعًا عن حقوق المزارعين بمشروع الجزيرة بالسودان منذ البدايات التجريبية للمشروع، فعندما اتجهت نوايا الحكومة إلى نزع ملكية الأراضي ليكون المشروع ملكًا للدولة أصبح مدافعًا عن حقوق المزارعين بالمشروع، وحرَّض مزارعي المشروع ضد "تقديرات الضرائب وعملية بيع الأراضي"، ونتيجة لهذا الحراك تراجعت الحكومة عن قرارها بنزع الملكية، ولكنها قامت بإصدار قوانين خاصة بملكية الأراضي، فأصبحت الحكومة تستأجر الأراضي من مالكيها بمبالغ بخسة ولسنين طويلة، ومنعت بيع الأراضي بين الأفراد، وجعلته حكرًا عليها، وحدَّدت سعر الفدان الواحد ببضعة قروش، ومنعت تسجيل أي قطعة لوارث تكون مساحتها أقل من خمسة أفدنة، على أن لا يتم بيع أي حصص صغرى إلا للحكومة فقط، وقيدت مساحة الملكية على الأهالي لتكون أقل من ألف فدان للفرد الواحد.

• وبعد قيام (جمعية اللواء الأبيض) في مطلع عام ١٩٢٤م -التي تكونت من رحم جمعية الاتحاد السوداني السرية- وبدأت تنادي "بوحدة وادي النيل"، فتأسست لها فروع عدَّة في الأقاليم، وامتدت حتى الأبيض وعطبرة وود مدني وجبال النوبة، أوكل للمناضل: أحمد باخريبة تنظيم المزارعين في الجزيرة، وأصبح أحد أعضاء اللجنة الفرعية، ونائبًا لرئيس جمعية اللواء الأبيض بمديرية النيل الأزرق بمدينة ود مدني، وكانت له مراسلات



الجد المؤسس الشيخ المرحوم عمر صالح باعمر باخريبة
والد المناضل الشيخ أحمد عمر باخريبة

واتصالات مع رئيس الجمعية المناضل: علي عبداللطيف، فقام بإصدار عدد من المنشورات التي تهاجم الحكومة البريطانية في السودان.

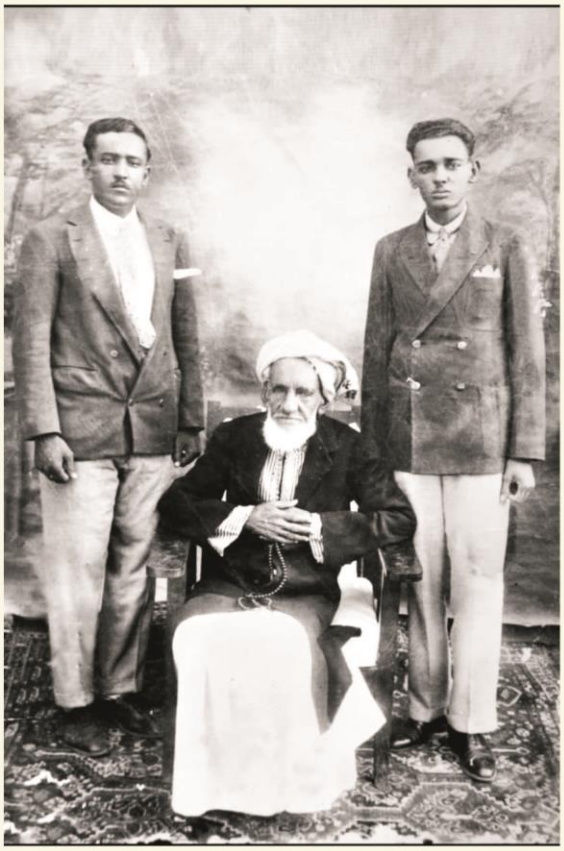
• كان للمناضل (أحمد باخريبة) مواقف سياسية واجتماعية واضحة تجاه سياسات الإدارة البريطانية في السودان، وبصفته "نائب رئيس جمعية اللواء الأبيض بمديرية النيل الأزرق" قام بإرسال رسالة كانت بمثابة اتهام ضد عريضة الولاء لملك إنجلترا، وتم نشرها في صحيفة الأهرام المصرية في ٣١ يوليو من العام ١٩٢٤م، مُتَّهِماً فيها مدير المخابرات البريطانية، وكذلك صامويل بك عطية الموظف بإدارة المخابرات بقيامهما باستدعاء عُمَدِ البلاد ومشايخها، وطلبا منهم تحريض الأهالي، بالترغيب أو التهديد، للتوقيع على عريضة الولاء لملك إنجلترا والموجهة

ضد الحكومة المصرية، واتهمهما أيضًا بأنهما لم يقوما بواجب الأمانة للحكومة المصرية بصفتهما موظفين فيها، وأنهما قد أوعزا باعتقال كُلٍّ من: علي أفندي عبداللطيف، والشيخ عمر صالح باخريبة، ومحمد أفندي هديب؛ لأنهم قاموا بمجاهرتهم ومناداتهم وتمسكهم بالوحدة مع مصر، كما اتهمهما أيضًا في تلك العريضة بتهديد قادة جمعية اللواء الأبيض بالاعتقال، أو العزل من الخدمة الحكومية، بسبب رفضهم التوقيع على عريضة الولاء لملك إنجلترا، وتمسكهم بالوحدة مع مصر، وأنهما أوعزا للأهالي بطرق مباشرة وغير مباشرة بالتوقيع علي تلك العريضة مقابل أن تقوم الحكومة بتخفيف الضرائب عنهم.

• انتقد المناضل أحمد باخريبة عريضة الولاء لملك إنجلترا، مُوضحًا أن لا قيمة لها؛ لأنها جاءت بعد أن قامت الحكومة بالعمل على تقييد حرية الأهالي وفرض الأحكام العرفية، في جو غير معافىً، مطالبًا في الوقت نفسه بأن يتم تعيين موظف مصري كبير في السودان، تكون مهمته مراقبة التوقيعات التي تتم على العريضة.

وذكر في رسالته نماذج الاستبداد والقهر الذي تمارسه الحكومة البريطانية على المواطنين السودانيين، ويتمثل في عدم توافر العدالة، وانعدام حق التقاضي للمواطن السوداني؛ إذْ لا سبيل له إلى مقاضاة أي إنجليزي، بل تجاوز الأمر بتعدي الإنجليز بالضرب على كبار العلماء وأصحاب الفضيلة من السودانيين.

واستعرض في عريضته عددًا من المواقف التي قصد بها توجيه الإدانة المباشرة والواضحة للحكومة البريطانية، التي تبرهن على سوء المعاملة والاضطهاد من جانب الحكومة البريطانية للسودانيين وذكر فيها:



الجد المؤسس الشيخ المرحوم عمر صالح باعمر باخريبة، وعلى يمينه يقف ابنه المرحوم صالح عمر باخريبة، وعلى يساره يقف حفيده المرحوم الدكتور علي أحمد عمر باخريبة.

• قيام الحكومة البريطانية بمصادرة أملاك الأهالي وتسليمها للشركة الزراعية الإنجليزية، مما ترتب عليه حرمان الأيتام والأرامل من إرث هذه الأملاك.

• اغتصاب أراضي الجزيرة عن طريق الإيجار غير المجزي للأهالي.

• فرض الضرائب الباهظة وابتداع ضريبة السكر، بالإضافة إلى الزيادات غير المقبولة وغير العادلة للعوائد، وكثرة الغرامات حتى للمخالفات الطفيفة.

• ازدياد حالات رفع القضايا على الأهالي لنزع ملكيتهم للأراضي، والحصول على محاصيلهم، مع سرعة تنفيذ أحكام المحاكم لهذه القضايا لصالح الشركة الزراعية الإنجليزية.

• استمرار الأحكام العرفية، والإساءة والإهانة المتعمدة للأهالي.

• عدم المساواة في درجات الموظفين الأجانب والأهالي، والتمييز بينهم في المحاكم السودانية.

• فرض مصاريف باهظة على الأهالي لتعليم أبنائهم في المدارس، تفوق إمكانياتهم؛ بغية تقييد إلحاق أبنائهم بالمدارس.

• تعطيل الحكومة البريطانية لحزب الإصلاح الذي أنشأه الشيخ أبو القاسم أحمد هاشم، رئيس علماء أمدرمان؛ بغرض التضييق على المفكرين الأحرار وتقييد حريَّاتهم.

• مصادرة جميع العرائض الموقَّعة، التي تنادي بالوحدة مع مصر.

• إرغام الأهالي على الاشتراك في جريدة حضارة السودان التي كانت موالية للحكومة البريطانية، ومنع إصدار أي جريدة لتعبر عن آراء أحرار السودانيين.

وإزاء القمع المتواصل الذي تمارسه الحكومة البريطانية على السودانيين، قامت جمعية اللواء الأبيض بتوزيع المنشورات، ونظَّمت المظاهرات في أمدرمان وعطبرة وبورتسودان ومدني في ١٩ يوليو، ثم أعقبتها أخرى في ٢٣ يوليو من عام ١٩٢٤م، وكانت تنادي باستقلال السودان والاتحاد مع مصر، جرح فيها العشرات وقامت الحكومة باعتقال العشرات، ونجحت جمعية اللواء الأبيض في إيصال الاحتجاجات إلى الصحف المصرية والإنجليزية.

• تنبهت الحكومة إلى الحراك الذي قامت به جمعية اللواء الأبيض ونشاطها الكبير، فبثَّت العيون لمنع استفحال أمرها، وبذلت كل جهودها للقضاء عليها، فعمدت إلى نقل أعضائها، من الموظفين، بعيدًا عن الخرطوم، وألقت القبض على أعضائها البارزين بتهمة التآمر على قلب نظام الحكم، وتمت محاكمتهم بأحكام مختلفة، منها الإعدام، والسجن، والنفي والإبعاد.

• تم القبض على: (أحمد باخريبة) وصدر ضدَّه حكمٌ بالسجن، والنفي من السودان، وبعد أن قضى عقوبة السجن قامت الحكومة بنفيه إلى مدينة (المكلا) في حضرموت باليمن، ولم يمكث بها زمنًا طويلاً حتى قامت الحكومة بنفيه مجدَّدًا إلى مدينة (جُدَّة)، بالمملكة العربية السعودية.

• وفي جدة قام بتأسيس المكتبة الحضرمية، التي صارت ملتقى لكل المثقفين وأهل الفكر والأدب، وكان يؤمُّها عدد كبير من الناس في الأمسيات، ويستمعون منه لدروس في الأدب والفكر والسياسة.

• تزوج (أحمد باخريبة) كريمة السيد (محمد محمود الخليفة) الذي كان وكيل (الحسن الميرغني) زعيم طائفة الختمية بالسودان، ولقد رزق منها باثنين من الأبناء: (عبدالله) الذي تُوُفِّي صغيرًا، والدكتور (علي أحمد باخريبة)، بالإضافة إلى سبعٍ من البنات.

• وتزوَّج مرة أخرى في مدينة جُدَّة بالمملكة العربية السعودية بعد أن تم نفيه إليها، وله ابنةٌ وحيدة بالسعودية.

• في عام ١٩٤٩م، تقدم ابنه الدكتور: (علي أحمد باخريبة) بالتماس لدى السلطات البريطانية لإلغاء قرار النفي والسماح لوالده بالعودة إلى السودان للعلاج ولرؤية أبنائه وأحفاده، وكان حينها قد بلغ من العمر (٧١) عامًا. لم توافق الحكومة البريطانية بالسودان على الالتماس بإلغاء قرار النفي، وقامت بمنحه أذنًا للحضور إلى السودان لقضاء أسبوعين فقط، وعند حضوره إلى السودان لم

يمكث سوى أيام قليلة وتُوُفِّي بمدينة كسلا ودفن بها.

كان المناضل (أحمد عمر باخريبة) من الذين تنازلوا عن مكتسباتهم الشخصية من أجل أن ينعم الوطن بالحرية والديمقراطية، ومن الذين أقدموا على خطوات كانت درراً في جبين كل منهم، وكانت لهم مآثر عظيمة، تناقلتها الأجيال جيلاً بعد جيل، تحكي عن رؤاهم وتطلعاتهم في النهوض بالوطن، فأصبحوا من الخالدين في الذاكرة الوطنية السودانية.

• حاشية:

لم ينحصر العمل السياسي في الأسرة في ذلك الوقت في الشيخ: أحمد عمر باخريبة فحسب، بل شمل كثيراً من أفرادها، ونذكر في هذا الخصوص:

– الدكتور مختار محمد محمود الخليفة: شقيق زوجته، وعضو جمعية الاتحاد السوداني.

– علي محمد أرناؤوط: زوج ابنته، الذي شارك في أول مظاهرة لطلبة المدرسة الحربية ضد المستعمر البريطاني في أغسطس ١٩٢٤م.

– صالح عمر باخريبة: الأخ غير الشقيق، عضو جمعية اللواء الأبيض الذي كان يقوم بإرسال المنشورات وأخبار جمعية اللواء الأبيض لمدن السودان ومديريَّاته، مسخِّرًا عمله كوكيل سفري في ذلك الوقت، وكان من المشاركين الفاعلين في مؤتمر الخريجين، ومن المؤسسين لحزب الأشقَّاء، الذي كان يرأسه الزعيم إسماعيل الأزهري.

– عرفات محمد عبدالله: زوج أخت زوجته: عضو جمعية الاتحاد السوداني وجمعية اللواء الأبيض ومؤسس مجلة الفجر.



المرحوم صالح عمر صالح باعمر باخريبة
الأخ غير الشقيق للمرحوم المناضل أحمد عمر باخريبة.

المصادر والمراجع:

• خديجة زروق، موسوعة شخصيات ثورة ١٩٢٤م، دار الوثائق المركزية. (بدون تاريخ).

• عمر محمد عبد الله الكارب، الجزيرة قصة مشروع ورحلة عمر، مركز الدراسات السودانية، ١٩٩٤م.

• بروفسيور: محمد عمر بشير، تاريخ الحركة الوطنية في السودان، الدار السودانية للكتب، ١٩٨٠م.

• د. مبارك بابكر الريح، ثورة ١٩٢٤م، القاهرة، ١٩٥٢م..

• د. محمد سعيد القدال، تاريخ السودان الحديث (١٨٢٠– ١٩٥٥م)، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، ٢٠١٨م.

• مها عبدالله حاج الأمين، من الاتحاد الى اللواء الأبيض – البطل الشهيد عبيد حاج الأمين مفجر ثورة ١٩٢٤م، جزيرة الورد للنشر، القاهرة، ٢٠١٧م.

• تاريخ الأسرة.

88
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

الشيخ العلامة

عبدالله بن محفوظ الحدّاد رحمه الله

دوره في إصلاح ومصلحة المجتمع بحضرموت



مبارك سالم مبارك باشحري

أولاً: في الفرق بين الإصلاح والمصلحة:

إن الإصلاح هو نزع عوامل الفُرقة والتناحر والكراهية الذاتية، والمصلحة هي إضافة إلى إيجابيات المجتمع السابقة، التي تحلَّى بها وعرف بها، بشكلٍ يميِّز هُويَّته وصفته من غيره.

وقد أجملْتُ في هذه المحاضرة الحديثَ عن النوعين (الإصلاح والمصلحة)، تاركًا للحضور المستمع أن يعمل ببديهته وثقافته فيهما؛ لثقتي فيه.

يعد الشيخ العلامة عبدالله بن محفوظ الحداد رحمه الله أحد نماذج مدرسة الإصلاح الاجتماعي من منظور ورؤية علماء الاجتماع الديني؛ إذ قسَموا العلماء ورجال الدين الإسلامي على أربع مجموعات: الإسلام الاجتماعي، والإسلام السياسي، والإسلام الصوفي، وإسلام فقهاء الحاكم.

ولا شك في أن الأسرة التي ينتمي إليها السيد العلامة لها دور رئيس في تكوين شخصيته بالتربية السليمة والصحيحة؛ لتجعله يختار موقعه ضمن تيار الإسلام الاجتماعي لا غير. ويأتي في المرتبة الثانية دور المجتمع في تلك الفترة بثقافته وخصوصيته، كما أن دور من تأثر بهم من أهل الفكر والثقافة ملموس في صقل شخصيته ووضوحها في اختيار المنحى الاجتماعي، سواءً من داخل حضرموت، أو اليمن، أو العالَمين: العربي والإسلامي.

تحمَّل الشيخُ الحدَّاد مسؤولية أسرته وهو في سن مبكرة من العمر، وتحمَّل أيضًا مهمة الوصيِّ الشرعي على أبناء جدِّه في ظل ظروف اقتصادية معيشية بالغة التعقيد والصعوبة من أعوام القرن الميلادي المنصرم.

كل ذلك من ظروف وتحمل مسؤولية وواقع تعيس وحسن تربية وسلامة فطرة ورواج ثقافة لنهضة العرب والإسلام صاغَ شخصيَّة الحدَّاد؛ فقد كان مولده - رحمه الله - بعد أن حطت الحرب العالمية الأولى أوزارها عام ١٩٢٣م، في تلك الفترة وما بعدها المتصلة بها تتميز بوصفها فترة إيجابية بما حملته من أحداث جسام تتصدرها الثقافة والتحرر من نير الاستعمار مكنت السيد العلامة عبدالله بن محفوظ الحداد أن يظل ضمن رموز الإسلام الاجتماعي

89
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

وجدِّدًا في الوقت نفسه لمدرسة جده الأول عبدالله بن علوي الحداد، المعروفة بشكل واضح لا لبسَ فيه بخدمة صلاح المجتمع، وشد لحمة المسلمين تطبيقًا عمليًا لقول الحق سبحانه: (فأصبحتم بنعمته إخوانًا)، ويتجلى ذلك بوضوح في كتبه الثلاثة: (النصائح الدينية) و(الدعوة التامة) و(المكاتبات).

عكس ذلك حقيقة استجابته للعمل الاجتماعي بغرض الإصلاح والمصلحة العامة بتجلي الصفات التي تبلورت للشيخ العلامة عبدالله بن محفوظ رحمه الله بسبب ذلك التفاعل الإيجابي، مجسِّدًا للتواضع والبساطة في حياته بسلوكه وعفة يده وزهده في متاع الدنيا، وقد سردْتُ في كتابي الذي سيصدر قريبًا جملة مواقف عملية وقعت وصدرت منه، تنمُّ وتؤكد على حقيقة شخصيته الوضاءة بكل تأكيد وقطع بات، وأيضًا ضممْتُ في كتابي جملة من صفاته وكياسة ذهنه في الإشكاليات التي تقع فجأة ويُحسِنُ التعامل معها والتصرُّف إزاءَها، مثل ما حصل معه من قبل الشيخ علي باحميش مفتي عدن بخصوص اختيار مواد الأحوال الشخصية المنتقاة والمختارة من مذاهب إسلامية عدَّة.

وأخيرًا توضيح ركائز مدرسته الفقهية التي تستند على تسهيل أمور المسلمين لا تعقيدها، بما يستند عليه من أقوال التابعين وبالأخص التابعي عطاء بن أبي رباح رحمه الله وكان كثير الترديد لتلك المقولات المنسجمة تمامًا مع اجتماعيته التي تميز بها.

وينبغي لي أن أوضح بضرب أمثلة واقعية حصلت من قبله أكدت على حرصه في إصلاح المجتمع وبما يعود عليه صلاحًا وفقًا لتيار الإسلام الاجتماعي الذي ينتمي إليه، منها:



الشيخ العلامة عبدالله بن محفوظ الحداد رحمه الله

أولاً: عنايته بتأليف كتاب (السنة والبدعة)، واهتمامه وحرصه على إصداره، وقد تم له ذلك، وخلاصة كتابه وغايته شد لحمة المسلمين عامة والحيلولة بينهم وبين صراعات ذاتية تلج إلى أفئدتهم لتصير الذاتية وهمًا خالصًا، حصيلتها الصراعات؛ كونها ليست قضايا مادية حقيقية تستحق الاختلاف فيها، واتخاذ موقف منها ومن فاعلها، وبذلك أقام عليهم الحجة الشيخ العلامة رحمه الله، ومضى إلي سبيل ربه راضيًا مرضيًّا، مؤدِّيًا للأمانة والمهمة من حقيقة الاستخلاف في الأرض.

ثانيًا: بخصوص من يتشبث بضرب الدفوف مصاحبة لمولد النبي عليه الصلاة والسلام وآله في المساجد وهم من المجموعة التي يحسب عليها العلامة عبدالله بن محفوظ انتماء من قبل المتخذين موقفًا شرعيًا واجتماعيًا منه ومنها.

وقد جمعْتُ أنا ملقي هذه المحاضرة رسالة صغيرة في جواز ذلك، أي: وهو مصاحبة ضرب الدفوف إحياء للموالد النبوية عند قراءتها، وكان المشايخ في مدينة الشحر المحروسة يتصدَّرهم الشيخ عبدالكريم الملاحي رحمه الله

من المتحمسين لطباعتها، فضلاً عن طلبتهم وأتباعهم، ولكن أخذي برأي السيد العلامة الحدَّاد رحمه الله الذي كان رأيه بعدم تحبيذ الطبع، وتعليله الذي يستند عليه كون الفعل أمرًا مستحدثًا ومختلفًا في جواز فعله وجمع كلمة المسلمين ممثلة بآراء مشايخهم يلزم الأخذ به وتنفيذه والتزاما به مقتنعًا به ضربْتُ صفحًا عن فكرة طباعته فلم تعد تراودني، مع التشبث بالقول بالجواز والحل بالفعل والأداء.

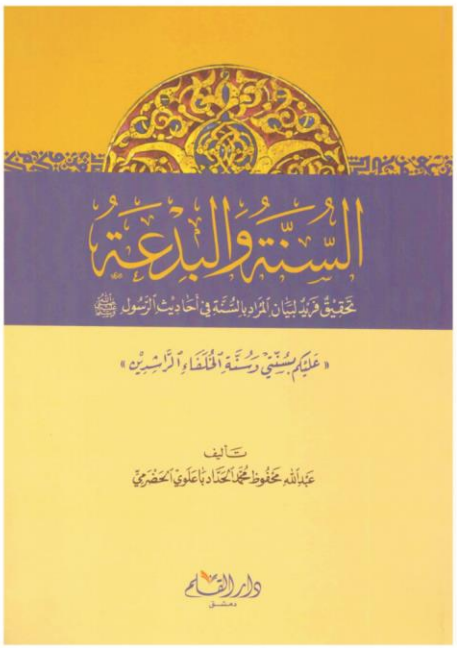
ويعد هذا الصنيع بعدم الطبع بكلِّ تأكيدٍ عملاً اجتماعيًا، ويدعو إليه دين الله الإسلام بمقاصده وروح تشريعاته، وبُعْدًا لفرقة المسلمين وإحداث التناحر فيما بينهم.

كما أن التوارد بضرب الأمثلة متنوعة في المجالات كافَّةً، بما تعود إليه غاية إصلاحية المجتمع وشد لحمته، فضلاً عن استنادها على التعمق في فهم نصوص الشرع الحنيف.

من ذلك فتواهُ بجواز اصطحاب المرأة العطر، أي الطيب، وهي ذاهبة إلى بيتٍ ما فيه واجب، وهو إحياء مراسيم الزواج غالبًا، فتتطيب عند دخولها البيت بدلاً من أن تتطيب من بيتها؛ فهماً للنصوص الخبرية: إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وغيرها من نصوص، ويسري ذلك على الأمر والنهي لصلة جامعة، وهي الوجوب فعلاً وتركًا.

وفي مجموع فتاواه المطبوعة كثير من مسائل قام بحلها من منظور مقاصد التشريع الإسلامي وروح التشريع، اللتين جاءتا لغايات اجتماعية، فسمة الإسلام أنه دينٌ اجتماعي لا فردي بإيلائه للحق العام أهمية لا ينالها الحق الخاص عند التصادم؛ لكون الحق العام صورته هي المجتمع كشكل مادي ملموس لتوضيح ما نعنيه بالحق العام للسائل عنه.

وهنا أود أن ألفت النظر إلى أن الذي مكَّن الشيخ العلامة عبدالله بن محفوظ -رحمه الله- أن يطوع النص والمعنى الشرعي هو عدم اكتفائه بظواهر نصوص التشريع الإسلامي، وذلك بالوقوف عليها وعدم الحَيدة عنها، بل بتمييزها



والتعمق في المضمون بما يعود نفعُها لمصلحة المجتمع، فإلى جانب فطرته السليمة وتنوع قراءاته الأصولية بغرض التمكن من الاستمرارية في خدمة المجتمع وصلاحه، ساعدَه أيضًا على ذلك عمله القضائي، وأيضًا احتكاكه بكافة فصائل المجتمع وشرائحه، بدءًا بأول عمل امتهنه في حياته وزاوله، وهو فلاحة الأرض، ومن ثم المشاركة في منظمات المجتمع المدني المهتمة بالشأن العام، بما يعود نفعًا وصلاحًا للمجتمع، صونًا لكرامته وإبعادًا له عن الابتذال، خاتمًا ذلك السيد العلامة الحدَّاد حياته بما قد عرف وعلم الجميع عنه إذْ لم يكن في برج عال ولم يكن انطوائيًا أو متميزًا من غيره.

وقبل أن أختم هذا الحديث أود أن أحيط عنايتكم بكثير من مفردات كتابي القادم الذي أطمح أن تتيسر وتتهيأ له ظروف طباعته وفقًا لمنصوص الآية الشريفة ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾؛ لكون هذه المفردات تؤكد في مجموعها عدم حيدة الشيخ العلامة الحدَّاد -رحمه الله- عن الطريق والتيار الذي اختاره، وهو الإسلام الاجتماعي لا غير.

91
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

وها هي أولى تطبيقاته العملية على مدار سني حياته مساهمته في تخفيف حدة المجاعة التي وقعت في أربعينيات القرن الميلادي المنصرم مع أهالي مدينته ومسقط رأسه الديس الشرقية، كانت مهنته فلاحة الأرض، فتبرع بالمحصول منها على ذوي الحاجة والفاقة كعمل اجتماعي، فضلاً عن المستور الديني الذي بينه وبين خالقه سبحانه العليم به فقط دون سواه.

وكذا وقوفه مع بعض الأسر في مدينته الديس الشرقية ضد تعسف نواب السلطنة القعيطية في أمور حقوقية لأشخاص من آل باخوار. وجزئيات القصة محتفظ بها المحاضر ولا توجد ضرورة سردها للحاضرين.

ويأتي اشتراكه في تأسيس الأندية الرياضية وأعني به نادي شباب الجنوب بمدينة الشحر حينما كان رحمه الله رئيس محكمة لواء الشحر، وقبل ابتعاثه لإكمال دراسته الجامعية بالخرطوم، وقد حدَّثني عن ذلك بنفسه.

كما أنَّ وقوفه ضد توجيهات سلطانية للتدخل في شؤون القضاة، وفي ذلك إثباتات محتفظون بها سنوردها ونضم صورة منها في كتابنا القادم عنه احتفاءً بذكراه رحمه الله.

ومثل ذلك اللواحق من الشواهد، وهي:

- دوره في تحريك ملفات القضايا المجمدة.
- دوره في إصدار صيغة جديدة لكتابة الدعوتين المدنية والشخصية.
- دوره في إصدار قانون تأديب القضاة وعزلهم وتفعيله.
- دوره في إصدار قانون بمتابعة أخلاقيات وكلاء الشريعة.
- دوره في توسيع مهام ووظيفة متولي العقود في القرى.
- دوره في تحويل كثير من قضايا جنائية غير شرعية للجهات الأمنية.

أما بخصوص منظمات المجتمع المدني وقواه فهي:



العلامة الحداد والسلطان القعيطي

- مساهماته وحضوره مؤتمر قوى الشعب وهيئاته في المكتبة السلطانية عام ١٩٦٤م.
- مساهماته في إنجاح لقاء قوى المجتمع الحضرمي الذي دعت إليه الجبهة القومية بعد الاستقلال عن بريطانيا، وكان ضمن من شارك في ذلك اللقاء آل بن شملان التميمي وتحديداً فيصل بن شملان - رحمه الله - بصفته الاجتماعية، كما حدَّثني بذلك العلاّمة الحدَّاد - رحمه الله - بنفسه.

مجهوداته العلمية والثقافية:

- مشاركته في تكوين وجمع قانون الأحوال الشخصية فترة حكم الرئيس قحطان الشعبي بمعية الشيخ علي باحميش رحمه الله مفتي مدينة عدن حينها.
- تفرغه لحل مشاكل الناس بعد تقاعده.
- تعيينه محاضراً في قسم اللغة العربية كلية التربية المكلا جامعة عدن.
- موقفه من مطلب سكرتارية منظمة الحزب الاشتراكي بحضرموت بخصوص الجماعات الإسلامية التي ظهرت حينها حديثًا فلم يستجب رحمه الله لغرض السكرتارية المنحصر في المهاجمة، واقترح الحوار وزرع بذرة للمفاهيم الإسلامية عبر قنوات رسمية، كما حدثني رحمه الله بذلك، غير أن قيادة السكرتارية لا يستطيعون تنظيميًا تجاوز وضوح

نصية الجهات العليا في الحزب الموجهة إليهم حينها.

- موقفه من بعض الخلافات الفقهية، كإحياء المولد النبوي مصاحبة له الدفوف في المساجد كما أوضحته، وقضايا التزويج بين المختلفين سواء في البيئة، أو في خصوصيات اجتماعية متوارثة، وأيضًا قضايا عقائدية كانت حديث الساعة حينها، مثل الخوارق وما في حكمها.

- ومنها عضويته بلجنة حل قضايا البيوت المؤممة بعد عام ٩٤م.

- انتدابه لفتح قسم الدراسات الإسلامية بكلية التربية المكلا جامعة عدن وتعيينه رئيسًا للقسم.

مجهوداته الاجتماعية:

- موقفه من غلاء الأسعار في خطبه للجمعة.

- دوره في تأسيس جامعة الأحقاف وجمعيتي تحفيظ القرآن الكريم ورعاية الأيتام.

- موقفه من مفهوم القضاء والقدر وحقيقة الإيمان المعتد به شرعًا كما جاء ذلك في خطبه للجمعة المطبوعة.

- موقفه من قبول رئاسة محكمة الاستئناف بحضرموت بعد عام ٩٤م كما حدثني بذلك رحمه الله وهو اعتذار عن ذلك التكليف.

- موقفه من أحداث الضوراني رئيس نيابة استئناف حضرموت حينها ولا حاجة إلى سرد تفاصيلها.

- موقفه من جبي النظام السياسي بعد عام ٩٤م لنصاب الزكاة لدى مكتب الواجبات في المحافظات، وحديثه مع حمود عباد وزير الأوقاف الأسبق وقد حضرْتُ واستمعْتُ لذلك الحديث الذي جري بينهما.

- القاعدة التي يستند عليها في الفتيا وهي التيسير وليس التشديد على الجمهور أو المستفتي وفتاواه المطبوعة والمخطوطة تبرهن على حقيقة الوصف الصحيح الذي وصفته به.

- علاقاته مع المختلف معهم اجتماعيًا ومذهبيًا دينيًا، بدليل أنَّ كثيرًا ممن لا ينتمون إلى تياره أو فرقته الاجتماعية الدينية ما زال متشبثًا بصلة علمية دينية مع الشيخ الحدَّاد -رحمه الله- فضلاً عن ثناء الكثير منهم وإقرارهم بمنهجيته العلمية ووسطيته في الرأي والمنحي.

- صفاته وما يتميز به وقد أشرت إليها في بداية هذه المحاضرة بشكل مجمل وموضع تفصيلها في كتابي القادم.

وختامًا لا يسعني إلا أن أكرر مطلبًا واحدًا أتقدم به إلى السلطة في حضرموت ممثلة بسعادة الأخ المحافظ الأستاذ مبخوت - حفظه الله - تسهيل مهام الدعوة إلى تأسيس جمعية علماء دين لإصلاح المجتمع وما في صلاحه للأشخاص الداعين إلى ذلك كحقوق اجتماعية تكفلها القوانين المدنية الحاضرة لمن يطمح إلى تجسيد ذلك على أرض الواقع إحياء من ناحية للهوية الحضرمية المتميزة والتي بسماحة أخلاق أبنائها نشرت الإسلام بالإقناع وبأخلاقهم الفاضلة، ويعد ذلك من قبلُ عملاً اجتماعيًا ذا أهمية ملحوظة، ومن ناحية أخرى أيضًا إحياءً لمدرسة العلامة عبدالله بن محفوظ الحدَّاد رحمه الله التي تعد قريبة عهد من وقتنا الحاضر لمعايشة الكثير من الحاضرين لفترة حياة الحدَّاد رحمه الله الذى عرف كأحد رموز تيار الإسلام الاجتماعي، وها نحن نحتفي بذكري وفاته في هذا اليوم بهذا الاجتماع الذي نظمناه شاكرين من أعماق قلوبنا جميعًا نحن الحضور بمن قام وأسهم في ميلاد هذا الاجتماع وتحقيقه متجسدًا على أرض الواقع.

---

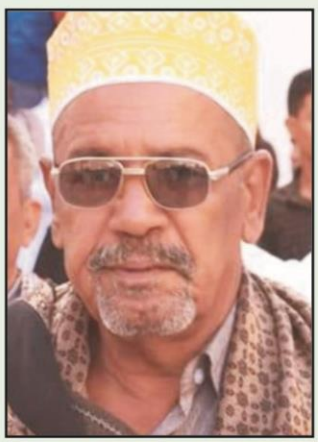
* محاضرة ألقيت في رباط مسجد الروضة المكلا بمناسبة ذكرى وفاة المرحوم العلامة مساء الأربعاء ليلة الخميس في ١١ جمادى الآخرة عام ١٤٤٤هـ.

93
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

الموروث الشعبي لمدينة شبام حضرموت



التفليح (المسحراتي) باللغة العامية



يسلم سالم خراز

المفلح مسحراتي شبام حضرموت منذ ٤ قرون بالوراثة التي ورثتْها أسرة آل خراز أبًا عن جدٍّ إلى يومنا هذا، لازالت تمارس طيلة شهر رمضان دون كلل أو ملل، ونتيجة العمران في المدينة وإنشاء مناطق حواليها، مثل منطقة سحيل شبام، وسباخ شبام، ومنطقة شقية شبام، ومنطقة خمير شبام، وكلها تابعة لمدينة شبام، الأمر الذي حمل مجموعة شباب من أهل المناطق ليقوموا بمزاولة هذا الموروث بعد استئذان أسرة آل خراز بمزاولة ذلك الموروث.

ورغم أدوات التنبيه العصرية فلا يزال سكان مدينة شبام التاريخية يعتمدون على الاستيقاظ للسحور على إيقاعات "المُفلّح"، جاءت التسمية من "الفلاح" التي يُطلقها السكان على وجبة السحور..

94
العدد (27)
يناير
مارس
2023م



فلايزال الموروث الرمضاني "**المُفلح**" حاضراً بقوة في مدينة شبام الواقعة بمحافظة حضرموت الجمهورية اليمنية، وتتوارثه عائلة آل "**خراز**" أبًا عن جدٍّ منذ أربعة قرون متواصلة.

وأطلق أهالي مدينة شبام أول مدينة ناطحات سحاب مبنية من الطين في العالم، مسمى "**المُفلح**" على الشخص الذي يقوم بموروث مايطلق عليه في البلدان الأخرى بـ"**المسحَّراتي**".

ومدينة شبام أدرجتها منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة "اليونسكو" على قائمة التراث الإنساني الدولي عام ١٩٨٢م.

مراسل الأناضول، رافق في إحدى ليالي رمضان "**المُفلّح**"، رياض جمعان خراز (٤٠ عامًا)، الذي يمارس موروث "**المسحَّراتي**" بمدينة شبام التاريخية التي يحيط بها سور ارتفاعه من أربعة إلى تسعة أمتار.

يقول رياض، للأناضول، إن عائلته، توارثتْ هذا الإرث الرمضاني بمدينة شبام القديمة (اشتهرت في القرن الرابع الميلادي) أبًا عن جدٍّ، منذ أربعة قرون.

ففي تمام الساعة الواحدة من كل ليلة في رمضان، يبدأ "**رياض**" وشخص آخر من الأسرة مُهِمَّتَهُمْ من أمام القصر، وينطلقون عبر خط سير محدَّد، كان يمشي عليه أجدادهم وفي أثناء القيام بمهمة "**المسحراتي**".

ويميز خط السير الذي يمشون عليه أنهم به يشملون كل الأحياء داخل المدينة المتراصة والمتلاصقة منازلها، البالغ عددها أكثر من ٤٦٥ منزلاً ومبنًى.

ويحمل "**مفلح**" شبام آلةً تُسمَّى "**الهاجر**"، (آلة إيقاعية) يؤدِّي من خلالها أصواتًا إيقاعية، وينشد أبياتًا شعرية تختلف كل عشرة أيام برمضان، أبيات لكل عشرة أيام.

وعلى إيقاعات "**الهاجر**" يردد "**خراز**" في العشر الأولى من شهر رمضان "**رحبوا رحبوا برمضان يا صائمين، رحبوا برمضان شهر رب العالمين، رحبت مكة وأهلها بالزائرين**".

أما في العشر الوسطى، فينشد "**المفلّح**"، "نسيم الصباحي من عشية وبكره نسنسي (الرياح الخفيفة اللطيفة التي تهب مطلع الفجر)، وغبشي (الاستيقاظ المبكر والذهاب للعمل)، يا سليمان عاد الله يرد العوائد، عادها تنجلي عنا الهموم والشدائد، بالمسرة تقع أيام سرنا يا سعد، بالرجال لي زانت في صفوف المساجد". وفي العشر الأواخر من رمضان، يردد أبيات التوديع لشهر رمضان "ودعوا شهر رمضان يا صائمين، شهر رب العالمين، عاده الله علينا وعليكم أجمعين، ودعت مكة وأهلها بالزائرين، محمد شفيعي هو خير الشافعين".

ورغم وجود أدوات التنبيه الحديثة المتطورة، فإنَّ سكان مدينة شبام يعتمدون - كما يقول "**رياض**" - في استيقاظهم للسحور على عادة "**المفلح**".

وأشار إلى أن عائلته تمارس هذا الإرث دون أي تشجيع أو مقابل من الجهات الرسمية، مضيفًا: "هذا عمل طوعي لوجه الله"، ولفت إلى أنَّ ثمَّةَ عوامل أخرى ساعدت العائلة على الاستمرار في هذا المورث، تتمثل في حب العائلة لهذا العمل، ولكي تحافظ على تاريخ وتراث مدينة شبام.

وفي أثناء مرور "المفلح" في الأزقة والممرات بين المنازل، يحرص الأطفال على مرافقته وترديد الأهازيج والأبيات الشعرية.

ويتوقف "المفلح" عن إيقاعاته وترديد أبياته عند المرور أمام المساجد، البالغ عددها سبعة في المدينة، وعقب تجاوزها يعاود مواصلاً دق "الهاجر" والتغني بالأبيات.

وعند وصوله إلى ساحات المدينة الأربع الرئيسة، يتوقف "المفلح" فيها دقائق معدودة على إيقاعات "الهاجر"، مردِّدًا أبياته حتى يصل صوته إلى المنازل المجاورة للساحة.

ووجَّهَ "خراز" رسالة إلى الجهات الرسمية بضرورة الحفاظ على هذه العادات والتقاليد؛ لما تمثله من قيمة في مدينة شبام، التي أدرجتها "اليونسكو" في ١٩٨٢م كإحدى المدن المدرجة في قائمة مواقع التراث العالمي المعرّضة للخطر.

ويلقى "المفلّح" في شبام ترحيبًا واحترامًا من الأهالي، والمارَّة في الأزقَّة والشوارع العامة بالمدينة القديمة التي يقطنها أكثر من ٣ آلاف نسمة.

وكان آباؤنا وأجدادنا سابقًا وفي ليلة النصف من رمضان يتجمَّع كبار السن من قبيلة آل خراز ومجموعة من أهالي شبام في مكانٍ معين، وتسمى هذه الجلسة بمسمى القصباه، أو ليلة القصب بحسب مسمَّيات آل خراز، يتجمعون في المكان المحدد وينشدون قصائدهم مع الضرب على الهاجر، وفي أثناء جلستهم يشارك الأهل والجيران بتقديم الشاي والقهوة لهم والحلوى والأكلات الشعبية، ومن ثم يقومون بممارسة التفليح.

وفي ليلة الثامن والعشرين من رمضان، تقام بالمدينة فعالية في الصباح تسمى "الوريقة"، ويتخلَّلها فقرات فنية تراثية، ويقدم بعض الأهالي بشكل طوعي هدايا مادية ونقدية للمسحَّراتي؛ تقديرًا لدوره في إيقاظ الأهالي للسحور طيلة شهر رمضان.

وعلى منوال المدينة القديمة، تحرص القرى في ضواحي شبام على ممارسة إرث "المفلح"، فهناك سبعة "مفلِّحين" من أسر أخرى في تلك المناطق بعد أخذهم الإذن من أسرة آل خراز؛ كون الموروث فيهم ومن خاصَّتهم.

وتضم منازل شبام التي ينعتها البعض بـ"العالية"، وبـ"شيكاغو أو مانهاتن الصحراء" خمسة إلى ثمانية طوابق ولها بوابتان وحيدتان رئيستان للدخول، إحداهن كبيرة لدخول القوافل من الجمال سابقًا قبل ظهور السيارات والعربات حديثًا، والأخرى للمارَّة والنسوان.

هكذا هي شبام بطابعها الأثري لم ولن تتخلَّ عن موروثاتها من قديم الزمان.

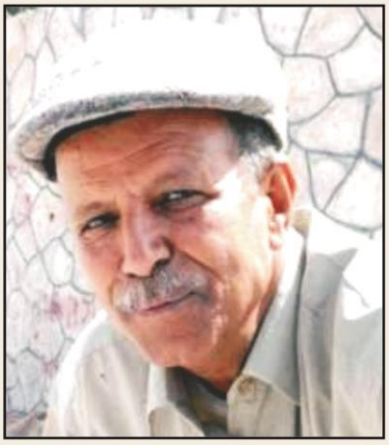
حفظ الله شبام وسكانها وجنَّبها الله كلَّ مكروه لتظل شامخةً ببنيانها وموروثها وآثارها التاريخية.



96
العدد (27)
يناير
مارس
2023م



في وداع إذاعة الـ BBC والمكلا



علي سالم اليزيدي

بعد ٨٥ سنة من الإرسال الإذاعي، والعمل الفكري والإعلامي يتوقف القسم العربي من الإذاعة البريطانية الـ BBC، وينتهي إلى الأبد، إذاعة عشنا معها سنوات طويلة من عمرنا، وعاش معها آباؤنا سنوات طويلة أيضًا، بل ارتبطتْ بحياتهم وأثرت في تفكيرهم، وكانت بمثابة عشق يومي لصوت المذيعين أو دقات، ساعة البج بن، بترنيمتها الرنانة والعابرة للآذان، والتي تجعلك تقف وتنصت ولو لمقدمة النشرة.

فقد أدَّت إذاعة لندن دوراً كبيراً ومؤثراً في حياتنا وفي حياة كل الشعوب العربية، ودخلتْ كلَّ بيت، وجلس المستمع العربي في المقهى يُنصت عبر الراديو التقليدي القديم لـ(هنا لندن) باهتمام بليغ وفيه شجن ولهفة وترقب، وكان المواطن العربي في عدن والشحر وبغداد ومراكش والقاهرة يعطي ثقة واهتمامًا كبيرين لإذاعة لندن في أخبارها، والإنصات باهتمام لما تقول أو تنقل الخبر عبر المذيع منذ الصباح الباكر، بل كان يفضِّلها على سماع إذاعة بلده، مع قلة الإذاعات العربية في الخمسينيات والستينيات وحجب كثير من الأخبار المحلية عن مواطنيها، فيما يحصلون على ما يخفى عنهم عبر إذاعة البي بي سي، أو ما لا تذيعه الإذاعات الوطنية عن سياسات الحكم في البلدان العربية.

كانت مدينة المكلا تتميز بوجود مقاهٍ منتشرة فيها منذ خمسينيات القرن الماضي، وبها راديو كبيرٍ من الخشب، في مكان ينظر إليه الناس ويسمعون صوته، وكان صوتُ (هنا لندن) هو الذي يجعل من هذا المقهى أو ذاك متميزاً

97
العدد (27)
يناير
مارس
2023م



ومليئًا بالروَّاد منذ الصباح الباكر، وتميزتْ مدينة الشحر بهذا أيضًا، وقد ظهرت مقهى بازهير، ومقهى الجيب، ومقهى بن عروة، ومقهى سالمين خيرة في مدينة المكلا، بامتلاك الراديو وإذاعة لندن في فترات الصباح ثم الظهيرة وبعد العصر، وتكتظ المقاهي، بالروَّاد من مختلف الطبقات وهم يتابعون الإذاعة البريطانية وخصوصًا في المساء وتقاريرها المتميزة.

كنتُ قد علقتُ أو عرفت إذاعة لندن من فترة مبكرة من حياتي ولم أعِ بعد، ما هذا الذي يلقي بحديثه الجهوري والقوي، الذي تهتز له أذناي الصغيرتان في قرية الريان أو محطة الريان ومطاره القديم حيث كنا برفقة والدي، الذي كان يعمل هناك زمن الإنجليز، وهي قاعدة صغيرة للطيران ومطار ترابي مدني، أيضًا لطيران خطوط عدن في، الستينيات، وفي منتصف الخمسينيات قدَّم المهندس العم محمد عبدالله العدني من عدن ليعمل في محطة كهرباء الريان، وتزوج من إحدى قريباتنا وعاش ومات بالمكلا، واستقدم راديو وحيداً في القرية الصامتة، يصل مدى هذا الراديو بصوته القرية كلها، بل لمسافة أبعد بحكم ذلك الزمن وهدوئه التام، وكنت أسمع أغاني فايزة أحمد، يمَّه القمر ع الباب، وتتكرر على أذني كلمة فلسطين ومصر إلخ، وبعد أن وعيت كنت أحيانا أرافق والدي إلى عمله أو في نوباته الليلية، وحينها يطلبون من الموظف الإنجليزي الأصل القائم على اللاسلكي أو كما ينطقونه (الواير لس)، أن يفتح موجة إذاعة الـ (BBC) بالعربي، وينصتون إلى نشرة الساعة السابعة وزمن المذيع مصطفى رمضان، أو رشيدة المدفعي، وكان ينزوي بعيداً ولا يتدخل، بل

إذاعة الـ (B.B.C) من لندن نقلت وقائع وخطاب تولي السلطان غالب بن عوض القعيطي عام ١٩٦٦م من مدينة المكلا وأذاعت فقراتٍ من خطاب العرش ونواياه الجديدة، وسمعت المكلا الخبر بارتياح

98
العدد (27)
يناير
مارس
2023م



السلطان صالح بن غالب القعيطي

السلطان صالح بن غالب القعيطي، زار إذاعة (B.B.C) القسم العربي، وكان من المولعين بها، وأهدى القسم العربي مجموعة من أسطوانات لأغانٍ حضرمية ظلت تذاع وتنشي بسماعها.





علمني حينًا كيف أضبط الرقم على موجة الإذاعة وصوتها القادم، وأميّزه من الذبذبات الأخرى هذه حكايتي الأولى.

أما حكايتي الأخرى مع الـ BBC حين التحقت بالمدرسة في مدينة المكلا، وفترة معرفة أو مشاهدة الراديو المعلق أعلى المقهى والنظر إليه، لكن أبرز ما يحتفظ به خاطري هو صوت إذاعة البي، بي، سي صباحًا؛ لأننا نصحو مبكّرين ولدينا طلب أهلنا قبل الذهاب للمدرسة، وهي جلب القضب أو البرسيم لأغنامنا، من خارج مدينة المكلا، أي عند سدَّة المكلا، التي حُطِّمتْ بعدَ الاستقلال بستة أشهر رفضًا لرمزيَّتها السلاطينية المبادة؛ إذ أول ما نسمعه فور خروجنا إلى الشارع صوت راديو مقهى الحافة الذي يديره ومالكه عبدالله بن



99
العدد (27)
يناير
مارس
2023م



الأول من اليسار وكيل قائد عمر سعيد باشامي الحامدي، وكيل قائد سالم عمر الجوهي أثناء زيارتهما لهيئة الإذاعة البريطانية بلندن (B.B.C)

عون الملقب (كلبو) بجنب مسجد بازرعة، ودويّ صوت المذيع، وأخبار بيانات حرب عدن والتحرير، ومكاوي والتعليق على أخبار جمال عبدالناصر أو خطاباته الساخنة آنذاك، ثم أغاني شادية وصباح وكارم محمود، وأيضًا نذهب إلى مكتبة الرسدنسي التابعة للمستشارية البريطانية، وهناك نحصل على مجلة هنا لندن، فنقرأ هذه المجلة في مكتب الاستعلامات، التابع أيضًا للمستشارية في سكة يعقوب، ويديره شخص لطيف، اسمه سعيود، ويفتح على فترتين. وحين كبرنا وصلتنا هذه المجلة من إذاعة لندن مباشرة عبر البريد، وكنا نسعد؛ لما بها من جهد وثقافة ومواضيع مفيدة ورائعة جدًا.

ولم تنقطع علاقتي بإذاعة الـ BBC القسم العربي بالإذاعة البريطانية، فكنا نتابع، برامج الرياضة، وافطيم قريطم، ونقل المباراة الخيرية من ملعب ويمبلي بلندن والمعلقين أنور، بشوتي وأكرم، صالح، ثم لاحقتني إذاعة القسم العربي من لندن إلى مينسك بروسيا البيضاء ومنها، استمعت، إلى البيانات وأخبار الأحداث المؤلمة في يناير ١٩٨٦م في عدن، وربطتُ أريل مضافًا بالراديو، وجعلتها تشتغل طوال اليوم لأنها أعطتنا الحقائق لما كان يدور في عدن، وكانت غرفتي مركز أخبار البي، البي سي يومها. وكيف كان يأتي إليَّ كثير من طلابنا من الداخليات المتناثرة بالمدينة.

ولحضرموت حصة من تاريخ إذاعة BBC بالعربي قبل نصف قرن ونيف، فقد زارها اثنان من القادة العسكريين الحضارم في الستينيات، هما عمر سالم باشامي، وسالم عمر الجوهي، وجلسا أمام ميكرفونها الشهير، كما زارها السلطان صالح بن غالب القعيطي وأهدى إلى القسم بعض الأسطوانات لأغانٍ حضرمية، وكنا نستمع منها لأغاني الفنان شيخ البار ومحمد جمعة خان.

أغلقت هذه الإذاعة إلى الأبد، ومهما قيل عنها في بعض الأزمنة عندنا وما رافق، من التحفظ والخوف من الاستماع إليها، لنكهتها الاستعمارية، وخلاف الثوريين في أكثر من بلد عربي معها، غير أنها كانت راقية ورفيعة المستوى من حيث الأداء ونطق المذيع وضبط اللغة العربية، والمعلومات والبرامج المفيدة، إلى حدٍّ وصفها البعض ممَّن أُولِعُوا، بها إنهَّا بمثابة جامعة وحدها، وإنها ترفع من مستوى الإنسان العادي، وتصنع منه مثقفًا إذا أراد.

100
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

وللكويت رحلتها..*





مسعود علي الغتنيني

(١)

مع تباشير الصباح الباكر، خرج علي بن عمرو من قريته سرار، يحث الخطى إلى مدينة ريدة، عبدالودود يحمل بندقيته على كتفه، تلك البندقية التي لا يتخلى عنها كعادة أهل بلدته المشقاص في ذلك الوقت، الذي يضج بالصراعات القبلية، لم يكن بينه عداء مع أحد، ولكنها تلك عادتهم، يتذكر ابن عمه البارع في الرماية، والذي لا يقل شأنًا عنه عندما طلب منه جاره المسن، الذي أصيب بمرض جلدي، ووصف له دم الغراب كدواء، فلجأ إليه كونه (مصيوت) في الضرب، رغم أن الغراب طائر حذر وحذق، ولكنه لم يكن أحذق منه، فهو يصيد الطيور وهي في الهواء، انتظر في ترقب وحذر حتى شاهد جماعة من الغربان، وهي تحط على نخلة سامقة مشارف القرية، ثم انتظر حتى اصطف ثلاثة غربان في صف واحد، فأطلق عليهم النار فأرداهم بطلقة واحدة، ثم أخذهم إلى جاره المريض الذي شكر له صنعه، وقصصه في الرماية كثيرة متداولة، ومهارته هذه أهَّلتْه فيما بعد ليكون أحد أفراد جيش البادية الحضرمي المعدودين.

كان مقصد علي بن عمرو واضحًا في رحلته إلى مدينة الريدة، فقد كان يقصد بيت ابن عمه الآخر هناك، لأخذه معه في رحلته القادمة إلى دولة الكويت، فقد ضاقت أرض المشقاص بما رحبت بسُكَّانها، استبد بهم الفقر والمرض وشظف العيش، فأخذوا ييممون وجهتهم تلقاء دول الخليج العربي، وخاصة دولة الكويت، كانت هذه الدول وجهتهم الثانية بعد السواحل الأفريقية.

طوى علي بن عمرو الأرض طيًّا، حتى وصل سوق الريدة، أخذ يسأل عن بيت عمه، كان هناك مجموعة من الصبية يلعبون، التقط أحدهم الاسم فهرع إليه وشدَّ يده:

-نا عرفه بيت سعيد بن عبود.

-دلنا عليه.

101
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

تقدَّم الفتى بخطوات واثقة إلى الجهة الجنوبية من مدينة الريدة وهو يتبعه، كانت مفاجأته كبيرة عندما علم أن هذا الفتى النحيل الذي يرشده إلى الطريق لم يكن سوى ابن عمه الذي أتى باحثًا عنه ليصطحبه معه إلى الكويت؛ إذْ لم يسبق له أن التقى به من قبل، كان والده قد توفي قبل فترة ليست بالطويلة، لذا قصد والدته ليستأذنها في أخذه معه، وصلا إلى البيت، فرحبت به ترحيبًا حارًّا فهي تعرفه من قبل، وفاتحها في الأمر:

– باشل عبود معي للكويت، الناس كلها ع تسافر، البلاد معاد تخارج.

– ماعندي مانع بس الشور شور عبود.

– هاه عبود بغيت معي الكويت؟.

–نعم نا مستعد، متى السفر؟.

– بامر عليك بعد اسبوع جهّز نفسك.

لقد تم إنجاز المهمة بكل سهولة ويسر، فقد توقع أن يكون هناك رفض من عبود وأمه؛ فهو لم يزل صغيراً والسفر به مشقة وبعد عن الأهل، إلا أن الأوضاع التي يعيشها الناس كانت أكبر من المعاناة التي يتوقعونها في سفرهم، لذا كان الناس يزحفون إلى الكويت زرافات ووحدانًا، عاد علي بن عمرو إلى قريته بعد أن قُدم له واجب الضيافة يغمره الفرح على إنجاز مهمته بنجاح.

(٢)

بعد أسبوع كانت منطقة سرار تضج بحركة غير عادية، أصوات ترتفع ودعوات تتلى، ثغاء ورغاء يختلط بأصوات الناس التي تقاطرت إلى مشارف القرية، فقد كان هذا أكبر عدد من أبناء القرية يسافرون مع بعض، كان المسافرون من جميع الأعمار أطفالاً وشباباً وكُهُولاً، خرجت القرية تودِّعهم، كانت هناك شاحنة نقل (زيزو) بانتظارهم، ركب الجميع على سطحها، وقفت عجوز هناك تتشبث بابنها تحاول منعه من السفر، وهو لا يأبه لها، أخذ يعالجها حتى تفلت منها، ركب الشاحنة في خفَّة، أخذت تطلق كلماتها البذيئة ودعواتها عليه وعلى جموع المسافرين، الذين لم يُعِيرُوها أي اهتمام، تقدمت امرأة أخرى حديثة الزواج، تشكو زوجها وتحاول منعه من السفر، تقدم لها أحد شيوخ القرية:

– ويش بك يا امرأة، خلي الرجال يشوف رزقه.

– زوجي مسافر، وني يتيمة، وما معي مصاريف، ولا حد بيصرف علينا وهو مسافر.

– كم مصاريفك في شهر؟.

– خمستعشر شلي.

– مصاريفك علينا لما يشتغل زوجك ويرسل لك مصاريف.

حلت المشكلة في حينها. اصطف جموع المودعين، يشيِّعون (الزيزو)، وهو يتهادى في طريقه الترابي متجهًا إلى الريدة، في ظهيرة ذلك اليوم. كان الجميع مشغولين بالوداع، بينما علي بن عمرو، شارد الذهن يفكر في ابن عمه هل لازال عند وعده بالسفر؟ أو غيّر رأيه؟، فمدة الأسبوع طويلة ربما أثّر عليه أحدهم خلال هذه المدة، وقد كانت فرحته كبيرة عند وصوله إلى الريدة فقد وجده بانتظاره، وما أن رأى الشاحنة حتى ودَّع أمه وداعًا حارًّا وانطلق باتجاهها، فاستقبله أبناء عمومته بحفاوة بالغة فهم أول مرة يلتقون به، وقد سبق أن حدَّثهم عنه علي بن عمرو.

غادرت الشاحنة الريدة متجهة إلى دمخ حساي، حيث ينتظرهم (لنش) السلطان هناك، وصلوا بُعيد صلاة العشاء إلى ساحل الدمخ، وقد أخذ منهم التعب مأخذه، ولأنهم أهل بحر وطالما اشتغلوا في هذه السواحل في (الجُرف) بعيداً عن منطقتهم في تتبعهم للعيد، فلم يجدوا صعوبة في

التكيف مع هذا الوضع، ولأن الجو كان بارداً ولم يكن معهم من الملابس مايقيهم ذلك البرد، فقد احتفر كل واحد منهم حفرة في رمال الشاطئ، واندس فيها إلى الصباح، ومع تباشير الصباح أخذ كل منهم يوقظ الآخر، كان لنش السلطان على مرمى حجر منهم في عرض البحر، فاتجهوا إلى أصحاب السنابيق المنتشرة على الشاطئ لنقلهم إلى اللنش إلا أنهم تمنعوا، فقام أحد كبار القوم بالصراخ فيهم وطلب من أصحابه أخذ السنابيق عنوة:

- نتم هيل بحر، كوّروا السنابيق وطلعوا.

وأخذ يكوّر أحد السنابيق فتبعه البقية في ظل صمت من ملاك السنابيق، الذين أخذهم الذهول.

كوروا السنابيق وانطلقوا، ثم عاد بعضهم بالسنابيق، وبقي هذا الشيخ على الشاطئ حتى تأكد من طلوع كل أصحابه، وعاد أحدهم بآخر سنبوق، ثم طلب من أحد الحاضرين إيصالهم إلى اللنش فلم يمانع هذه المرة

(٣)

كان لنش السلطان من اللنشات القليلة، التي تنقل المسافرين بين السواحل اليمنية والأفريقية ودول الخليج العربي وخاصة الكويت، وهو يعود لسلطان رأس الخيمة، وهو نوخذة السنبوق، والربان والبحرية من أقاربه، كان اللنش يضج بالمسافرين من مناطق وجنسيات مختلفة أكثر من أربعمائة راكب يملأون كل جزء منه، بالإضافة إلى الحمول من تمر وسمن ولحم، كان النوخذة حكيماً وهو الذي يدير شؤون هذا الجمع الكبير من المسافرين، أمّا الربان فقد كان نزقًا ضيق الخلق، أخذ اللنش يتهادى في انسيابية متجهًا باتجاه المهرة، وكان له عدد من الأشرعة العملاقة بالإضافة إلى المكينة التي يستعملها فقط عند سكون الريح، عند وصولهم إلى قشن، (طرّح) اللنش في المرسى، وسمح للركاب بالنزول للتزود بحاجياتهم من الطعام والمؤن، أما هو فقد خرج في مهمة أخرى لا تقل



محمد حاج حمود (الشحر)، أحمد سالم العماري (الشحر)، سالم عبدالله بن جوهر (لمكلا)، علي مسعود الغتنيني (سرار- الريدة الشرقية)، زيد خليفة (العراق)، عبيد (الحامي)، المعرض الوطني لصاحبه سليمان عبدالله العيبان - شارع سعود عبدالعزيز- دولة الكويت (١/ ١/ ١٩٦٥م).

أهمية عن التزود بالمؤن، فقد اتجه إلى سلطان المهرة، لأخذ تصاريح للركاب الذين معه، وجُلُّهم من الحضارمة والمهرة، فيما يشبه الجوازات لتمكينهم من دخول الكويت دون مشقة، فسلطنات الجنوب العربي ودولة الكويت محميات بريطانية، ويتم تجديد تلك التصاريح عند انتهاء مدَّتها عبر السفارة البريطانية في الكويت، عاد السلطان إلى اللنش يحمل التصاريح، وعاد الركاب يحملون مؤنهم، وانطلقوا باتجاه (خور فكان) محطتهم التالية.

(٤)

كان اللنش يضج بالركاب، وكانت هناك مشقة في ترتيب تلك الجموع، خاصة فيما يتعلق بالخدمة، فكل مجموعة تخدم نفسها بنفسها، وعليها أن تنتظر دورها لتجد فرصة إلى (الصردان) مطبخ اللنش لتطهو طعامها، والذي هو غالبًا - الأرز والسمك، الذي يتم صيده من على حواف اللنش. انتظر علي بن عمرو دوره والذي امتد لساعات، في حين كان بقية رفاقه في (الخن) ينتظرونه، ولم يكد الدور يصل إليه حتى أقبل الربان يريد أن يتقدم عليه ليطبخ، إلا أنه رفض تقدمه فهو قبله وقد انتظر دوره لساعات فلم يمكنه من التقدم، وحصلت بينهما مشادة قام علي بن عمرو في إثرها بضرب الربان على جبهته بملعقة كانت في يده فطرحه أرضًا وأخذت الدماء تتدفق منه، ساد الهرج والمرج، وتجمع البحرية يحاولون الإيقاع به، إلا أن الركاب وقفوا معه وأخبروهم أن الربان هو سبب هذه المشاجرة، وأنه المعتدي، وانقسم الركاب قسمين: قسم مع علي بن عمرو، وآخرُ مع الربان وبحريته، وكانت ستقع فتنة عظيمة.

رمى الربان وبحارته (باورة) اللنش، ورفضوا تحركه حتى يقتصوا من علي بن عمرو الذي رفض الاستسلام لهم، يسانده من معه من الركاب، وكل ذلك جرى دون علم أصحابه الذين يقبعون في الخن بانتظار الطعام، كان السلطان حكيماً، وهو نوخذة اللنش المخضرم، فطلب من الربان وعلي بن عمرو التقدم، وقصوا الذي جرى بينهما، وروَوْا له القصة، فعلم أن الربان هو سبب المشكلة، كان الربان مُصرِّاً على إخراج الدم من رأس علي بن عمرو، كما أخرج الدم من رأسه.

حرص السلطان على إنهاء هذه المشكلة قبل أن تستفحل، فتقدم إلى علي بن عمرو ورفع الملعقة في وجهه وبدل أن يضربه بها ضرب بها وجه نفسه بخفة وقوة حتى سال الدم منه، وخاطب الربان:

-هذا الدم الذي طلبته.

ورفع يده بالدم الذي أخذ يتدفق بغزارة من جبهته.

ثم خاطب البحرية مزمجرًا:

- ارفعوا الباورة، وأبحروا فقد انتهت المشكلة.

أسرع البحرية فرفعوا الباورة، وأطلقوا العنان للنش لمواصلة الإبحار.

كان علي بن عمرو يقف مذهولاً مما صنع السلطان، وشعر بالندم، وتمنى لو كان الدم خرج من رأسه لا من رأس السلطان، وأكبرَ فعلةَ السلطان تلك.

كان علي بن عمرو تربطه بالسلطان معرفة ومودة من رحلته السابقة، فلقد أكبر السلطان فيه شهامته وشجاعته وتفانيه في خدمة الآخرين، كما كان يعرف أن الربان به طيش ونزق، وأن علي بن عمرو صادق في كلامه، والذي أكَّده الركاب، ولم يصدق كلام الربان وبحريته ومن وقف معهم.

(٥)

سار اللنش في انسيابية متجهًا إلى خور فكان، تدفعه ريح طيبة، جلس علي بن عمرو في طرف اللنش، وجلس إليه أحد ركاب اللنش صومالي الجنسية، رأى علي بن عمرو

يقرأ القرآن في مصحف كان معه، فاقترب منه وسأله أن يعلِّمه شيئًا من القرآن، فلم يبخل عليه بما عنده، كان علي بن عمرو قد درس القراءة والكتابة في كتّاب القرية، الذي كان يدرّس فيه عمه جموعَ الطلبة من أبناء القرية والقرى المجاورة، فدرس على يديه القراءة والكتابة والقرآن وشيئًا من الفقه والحساب، كان الصومالي يجيد الإنجليزية، لذا عقد علي بن عمرو معه صفقة، أن يدرسه اللغة العربية والقرآن، على أن يدرسه الصومالي الإنجليزية خلال مدة سفرهم، نشأت بينهم صداقة حقيقية، عزَّزتهْا رغبة كل منهما في ما لدى الآخر من معارف وعلم، هما بأمس الحاجة إليه، في حين كان الركاب يقضون وقتهم في لعب الورقة والضمنة، وكان علي بن عمرو يقضي وقته مع رفيقه يدرّس كل منهما الآخر، فإذا انتهوا أخرجوا عدة الصيد، فأخذوا يصطادون من على (تل) اللنش أنواع الأسماك، يتقاسمونها مع رفاق الرحلة.

(٦)

أخيرًا وصل اللنش خور فكان، وألقى مراسيه هناك، وسمح النوخذة للركاب بالنزول والتزود بالمؤن، فما زالت الرحلة أمامهم طويلة، كان النزول إلى البر فرصة للتزود والترويح عن النفس بعد أيام الإبحار المجهدة، كانت خور فكان محطة توقف في كل الرحلات إلى الكويت في لنش السلطان، يقضي هناك أيامًا عدَّة قبل أن يواصل الإبحار، كانت محطته التالية في إمارته رأس الخيمة، قضوا أيامًا عدَّة في الخور، بعدها أعلن السلطان الرحيل، فعاد الركاب إلى اللنش مع ما تزوَّدوا به من مؤن لمواصلة الرحلة.

(٧)

يمم اللنش صوب رأس الخيمة في هدوء، حتى حصل ذلك الحادث الذي كاد أن يودي باللنش وبحياة من عليه! فقد جلب مجموعة من الركاب (شول((آلة طبخ الطعام) تعمل بالكيروسين (القاز)، وعندما حان دورهم في الطبخ، وضعوا تلك الشولة في الصيوان، ووضعوا الطعام عليها، ولم يتنبهوا إلى تسرب الكورسين منها، فاشتعلت النار في الصيوان، وانتقلت إلى الحطب الموجود فيه ومؤنة الركاب الذين ينتظرون دورهم في الطبخ، حاول الركّابُ إطفاءها فازدادت اشتعالاً، هاج الركاب عندما رأوا منظر النار، وتجمع بعضهم على تل اللنش



يحاول القفز إلى البحر، ومال اللنش بهم، فقد اتجهوا إلى ناحية واحدة، شعر السلطان حينها بالخطر من ذلك الموقف، أخذ يصرخ بكل قوته أن يعود كل منهم إلى مكانه، فلم يسمعوا صوته من كثرة الهرج والصياح، فأخذ مسدسه وأطلق طلقتين في الهواء، فهدأت الناس، فطلب منهم أن يعودوا إلى أمكانهم، فعادوا، في تلك الأثناء كان هناك من يحاول معالجة أمر النار، إلا أنهم فشلوا في ذلك أكثر من مرة، كان لعلي بن عمرو جهدٌ يحمد عليه في ذلك الموقف العصيب، فقد بلل أحد (الكنابل) (أغطية ثقيلة تقي البرد) بالماء، ثم تقدم إلى تلك الشولة، ووضعه عليها، فلفَّها به، ثم رماها وهي مشتعلة إلى البحر، قام بقية الركاب بالسيطرة على النار في الحطب والمؤن، وانتهت تلك الحادثة بسلام، وعظم أمر علي بن عمرو في عين السلطان وكل رفاق تلك الرحلة.

(٨)

وصل لنش السلطان رأس الخيمة مقر حكمه وسلطته مع صباح يوم جديد، كانت رعيته وأهله في استقباله واستقبال ركابه، كان الاستقبال حارًّا.

لم تكن برأس الخيمة سوى عدد من الخيام والعُرش متناثرة على الشاطئ، كان المبنى الوحيد يعود للسلطان، مبنى طيني، يتكون من دورين، تتوزع فيها عدد من الغرف، وأمامه ساحة كبيرة مُسَوَّرة، نزل فيها الركاب، وتم تقديم واجب الضيافة لهم تمر وقهوة، توزّع بعدها الركاب هنا وهناك، يبحثون عما يقيهم حرارة الشمس، بقوا أيامًا عدَّة في رأس الخيمة، وجدها البعض فرصة لممارسة البيع والشراء لأشياء بسيطة يتم جلبها من سوق المدينة وعرضها على الركاب، أو في المناطق المجاورة، حتى حان موعد الرحيل.

(٩)

استأنفت الرحلة سيرها باتجاه الكويت، وانهمك البحرية في أعمالهم المعتادة على سطح اللنش، وتوزع الركاب على سطحه، في حين قبع بعضهم في الخن، لم يعكر صفو الرحلة معكر، لكنْ فجأة هاجت مياه البحر وماجت، وإذا بهم وسط عاصفة قوية، أخذ اللنش يتمايل يمنة ويسرة، ولم يبق على وصولهم الكويت سوى يوم أو بعض يوم، أصبح النوخذة والربان أمام قرار صعب بين المغامرة ومواصلة السير في هذا الجو العاصف حتى الوصول إلى الكويت، أو الرسو في جزيرة صغيرة كانت قريبة من خط سيرهم، بعد التشاور بين النوخذة والربان، قررا الرسو بهذه الجزيرة حتى تهدأ العاصفة وعدم المخاطرة بحياة الركاب والبحرية والبضائع التي يحملها اللنش.

جاهدوا طويلاً حتى وصلوا إلى تلك الجزير،ة فألقوا مراسيهم فيها، كانوا يقدِّرون فترة مكوثهم يومًا أو يومين، ولكن العاصفة أخذت في الاشتداد، فَطَالت فترة مكثهم حتى نفذت مؤن الركاب وقل الماء، قام السلطان بإخراج بعض أكياس التمر وتوزيعها على الركاب مع التوصية بالاقتصاد في الاستخدام، أما الماء فيتم توزيعه بمقدار محدَّد، استمر هذا الوضع لأكثر من أسبوع حتى هدأت العاصفة، فواصلوا الإبحار حتى رسوا في ميناء الكويت في رحلة استغرقت شهرًا أويزيد.

(١٠)

وصلت الرحلة إلى ميناء الكويت في الصباح الباكر، كان الميناء يضج بالحركة والنشاط، قام السلطان بتوزيع جوازات السفر، التي تم استخراجها من قبل السلطان ابن عفرار وتوزيعها على الركاب من المهرة وحضرموت، كانت تصاريح بدون صور، مكتوب فيها اسم الشخص

وتزكية السلطان وختمه، كان الضباط في الميناء يسألون القادمين السؤال المعتاد:

- من تعرف في الكويت؟

وكانت الإجابة هي الأخرى معتادة أيضًا:

- نعرف الوزان.

والوزَّان هو تاجر كويتي اعتاد أن يكفل الحضارمة في دولة الكويت ممن لا كفيل له.

عند وصولهم الميناء كان في استقبال علي بن عمرو وأصحابه ابن خالته الذي كان موجودًا في الكويت، وهو الذي سافر بعلي بن عمرو في رحلته الأولى، كان الاستقبال حارًا، أخذهم بعدها هو وابن عمه إلى مكان سكنه، أما بقية رفاقهم ففضَّلوا الذهاب إلى (بيت النمارة)، الذي يقطنه أبناء المنطقة، وهو حوش كبير تتوزع فيه عدد من الغرف، تفضي جميعها إلى ذلك الحوش، استقر علي بن عمرو عند ابن خالته، أخذهم ابن الخالة في عصر ذلك اليوم لأخذ صورة تذكارية، وهي أول صورة فوتوغرافية تؤخذ لهم، لتكون شاهدة على تلك الرحلة بكل أفراحها وأتراحها.

(١١)

بعدها بدأت رحلة جديدة هي رحلة البحث عن عمل، كان غالب المهاجرين من صغار السن يعملون في البيوت (صبية)، كانت الحياة في دولة الكويت بسيطة في ذلك الوقت، وكان غالب سكان الكويت يمتهنون مهنة الغوص والبحث عن اللؤلؤ، وبعضهم في صيد الأسماك. كانت ظروفهم المادية صعبة، ولم تأت طفرة النفط بعد، التي غيرَّت حياة السكان، فقد أتت متأخرة بعض الشيء، كان المهاجرون الحضارمة يجدون بعض الصعوبة في فهم مفردات اللهجة الكويتية؛ إذْ بها الكثير من المفردات المشابهة للمفردات الحضرمية، ولكن دلالتها اللغوية تختلف، ثمَّ تَمَّ التعود عليها مع المداومة والمكث مدداً طويلة بدولة الكويت، اشتغل علي بن عمرو في مسلخ للحوم في البداية، وقد عجب من طريقة سلخ اللحوم؛ إذْ يتم سلخها عبر نفخ الجلد بالهواء بماكينة خاصة، يتم وضع الهواء بين البشرة والجلد، ثم يتم النفخ، فينفصل الجلد عن اللحم. ثم تنقل علي بن عمرو في مهن عدَّة حتى وصل أخيرًا إلى (معزّبه) الأخير الذي بقي عنده أكثر من ثلاثين عامًا لم يعكِّرها معكر، سوى حادثة بسيطة في بداية سنيِّ عمله، أدت إلى قطيعة مدة من الزمن.

كان العمل في محل ملابس (نوفوتية)، وكان علي بن عمرو يديره مع معزّبه، وفي إحدى الليالي وبعد انتهاء الدوام أذن (المعزّب) لعلي بن عمرو بالمغادرة، وتأخر هو قليلاً لغرض أضمره في نفسه، قام برمي بعض النقود على الأرض وكأنها سقطت منه دون علمه، في الصباح تفاجأ علي بن عمرو عند فتح المحل بتلك النقود المرمية على الأرض بطريقة عشوائية فقام بتجميعها وعدِّها، وعندما وصل المعزّب سلمه إياها، أعجب المعزّب بإخلاصه وأمانته، ففاتحه بالأمر أنه ترك تلك النقود على سبيل الاختبار لأمانته، وقعت تلك الكلمات وقع الصدمة عليه، هل تحتاج أمانته وصدقه لاختبار؟!

-إذا كنت لا تثق فيَّ بعد كل هذه العشرة فلن تثق في مطلقًا!.

خرج علي بن عمرو غاضبًا، حاول المعزّب معه، وقدّم له اعتذاره، وتوسل إليه أن يبقَى إلا أنه رفض، خرج لا يلوي على شيء، أرسل له أشخاصًا عدَّة لإقناعه بالعودة فرفض، طلب منهم أن يخبروه أن يحضر لأخذ (معاشه) للشهر الماضي، لكنه لم يفعل، فاضطر إلى إرساله له أخيرًا.

تنقل خلال تلك المدة في مهنٍ عدَّة، منها ورشة ميكانيكية، ومحل آخر للملابس، ومن عملٍ إلى عمل.

كان معزبه يرسل إليه الرسول تلو الرسول لإقناعه بالعودة، فقبل أخيرًا العودة بعد قطيعة دامت عامًا كاملاً.

ظل عنده بعدها مدة ثلاثين عامًا تقريبًا، مرت بهم خلالها من الأحداث حلوُها ومرُّها، شهد تطور الكويت وتطور عمل معزّبه عقارات وعمارات، وانتعش عمل المحل حتى صار معرضًا كبيرًا للملابس من جميع الماركات العالمية، وصل عدد العمال به أكثر من خمسة عشر عاملاً، جُلُّهم من الحضارمة من شتى مدن حضرموت الواسعة بواديها وساحلها، كان علي بن عمرو المشرف عليهم وأمين الصندوق خلال تلك المدة، قبل أن ينقلها لزميل آخر له عهده لحبه في التخفف من المسؤولية، وبعد ازدياد ضغوطات العمل.

(١٢)

كان وجود علي بن عمرو في دولة الكويت فرصة بالنسبة له لإشباع نهمه في القراءة التي شغف بها أيما شغف، كان يحرص على اقتناء الصحف والمجلات والكتب بأنواعها، وأحبَّ أيضًا المدَّ الثوري القومي العروبيَّ، فكان من محبِّي جمال عبد الناصر، فكان يحرص على تتبع أخباره عبر تلك الصحف والمجلات، وعبر إذاعة صوت العرب التي كانت صوت كل الأحرار حينها، كانت غرفته تتزين بجداريات وبرتوريات عبدالناصر، وظل مخلصًا له حتى آخر حياته.

(١٣)

ظل علي بن عمرو أيضًا مخلصًا للكويت وأهلها الكرام، رغم الفراق القسري الذي فرضه عليهم غزو صدام حسين للكويت، فخرجوا منها مكرهين، يملأ قلوبهم حب الكويت، لذا ظلوا أوفياء لها، وظلوا على تواصل مستمر مع أهلها الكرام، فقد ظل علي بن عمرو على تواصل مع معزبه الذي يعده والده الثاني بعد والده رحمه الله، حتى عندما فارق علي بن عمرو دنيانا الفانية في بدايات هذا القرن، بنى معزبه مسجدًا في قريته وفاء له ولعشرتهم الطويلة التي امتدت لعقود من الزمن، وبعد وفاة هذا المعزّب الوفي في منتصف البناء أكمل أبناؤه المخلصون هذا المسجد العامر، ليخلفوا الناس سيرة عطره، وذكرى خالدة.

---

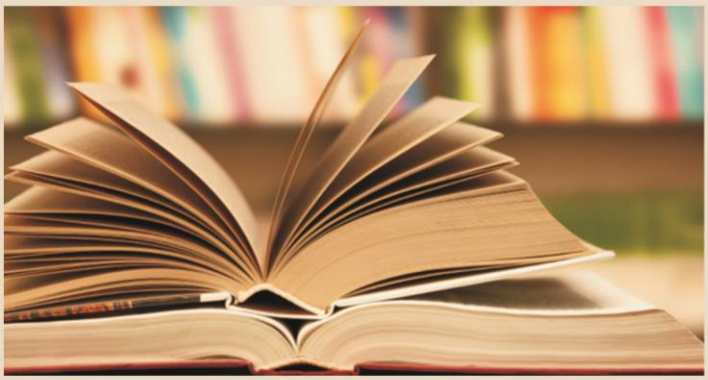
* القصة مستوحاة من أحداث واقعية جرت وقائعها أيام السفر إلى الكويت رواها والدي علي مسعود عمرو الغتنيني ت(٢٠١٣م)، والعم عبود سعيد عبود الغتنيني، والخال سعيد بن سليمان سالم الغتنيني.



مسجد سليمان عبدالله العيبان -رحمه الله-
(جامع سرار)، سرار- الريدة الشرقية

108
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

طريق الحرير الروائي



نسمع عن عوالم محيطة بنا كبيرة، ومع ذلك هي أوسع مما تسنى لنا إدراكه منها، وعند الشروع للقرب منها ومحاولة إسدال الستار عنها، ومعايشتها من مسافة حميمية نكتشف كم هي جديدة وغامضة كليًّا، وتحمل في طيَّاتها الكثير مما تستحق أن تدفع القارئ للعزم على الإحاطة ولو بنزر يسير من دواخلها وسبر أغوارها.

من هذه العوالم الكبيرة (بحجم الشمس) بلاد الصين، بكل ما تعنيه وتظهره وتخفيه من العراقة والقدم والحداثة والمال والسطوة والأساطير.

إيمان العولقي

قبل سنة تقريبًا قرأتُ الرواية الصينية الحديثة (**الحب في القرن الجديد**) للكاتبة تسيبان شييه بترجمة المبدعة يارا المصري التي حازت على جائزة مرموقة لترجمتها إياها.

الحب في القرن الجديد قطعة روائية غارقة في عوالم السريالية والواقعية السحرية و صعبة للغاية، كانت لي حينها طريقة أولى للتعارف، تلوح لي من بعيد، وتشجعني للمضي قدمًا على تحسس خطواتي في طريق الحرير نحو الثقافة الصينية بما فيها الأدب و تحديدًا الرواية.

بعد عامين قطعتُ فيها جانبًا لا بأس به من الاطلاع على بعض الكلاسيكيات من عوالم روسية وغربية، حرفتُ اتجاهي مؤخَّرًا نحو الأعمال الشرقية وأهمها طبعًا الصينية.

الترجمات العربية للأعمال الصينية قليلة إذ لا عناء أبدًا في الوصول إليها.

وعن قراءتي الأخيرة فقد كانت استهلالاً واقعيًا ومُرضيًا لي بغية إنارة طريقي الحريري الجديد: أعمال الروائي الصيني سوتونغ الثلاثة بترجمة يارا:

زوجات ومحظيات التي تُعد إحدى أهم مئة رواية صينية، وكتاب يضم ثلاث روايات قصيرة: **الربيع في مصنع تعليب اللحوم، وحياة أخرى للنساء، والقناديل الثلاثة، وآخرها رواية الفرار.**

كل رواية مما سبق لا تتعدى مئة صفحة، مما يسمح لهواة التصنيف بتصنيفها نوفيلا روائية.

إذا استعنا باستعارة فرجينيا وولف المشبهة للقارئ بالضيف وللكاتب بالمضيف فإن نويلات سوتونغ يلحظ من خلالها القارئ ذلك السخاء في الوصف والاستعراض الكريم للبيئة الصينية الراسخة في أصالتها العريقة المشوبة

109
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

بتأثيرات الحداثة، برويّة يأخذ بأيدينا سوتونغ إلى هناك؛ ليمهد لمخيلة قارئه الدخول بسكينة واطمئنان، وخطوة تلو الأخرى يجد القارئ نفسه وهو في وسط تلك المشاهد بأوصافها الدقيقة وتفصيلاتها السخية من المشاعر والهواجس الداخلية للشخصيات والأماكن والأزياء والطعام والأحداث السياسية.

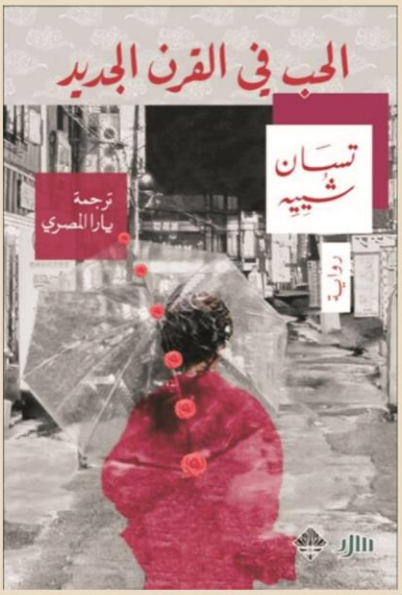
ما فضلته شخصيًا من رواياته النويلتان زوجات ومحظيات وحياة أخرى للنساء؛ في عالم غير عادل؛ فإن أول من يتضرر هي المرأة، ولا يقتصر الضرر عند حد التركيز عليها، بل لابد وأن يؤطره معنى من التجاهل والنسيان، وأن يسعى كاتب أو كاتبة لنقل تجربة ذلك الإنسان (المرأة) كما هي بلا مبالغات؛ فإن هذا لهو المسعى النبيل للكتابة.

يجيد سوتونغ وصف المرأة وصراعها في البقاء، يجيد عرض مشاعرها وحيرتها وردَّات فعلها على واقع بائس لا حيلة لها فيه غير الرضوخ والتسليم، ويجيد نقل تداعيات ذلك الرضوخ في مجتمع يدَّعي أنه يفكر في صالح المرأة، والواقع يظهر النقيض من ذلك.

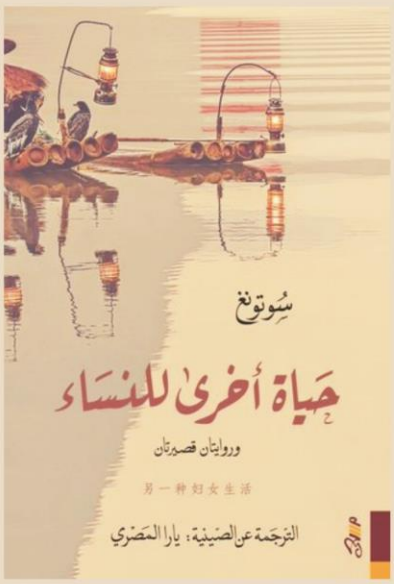
ما يلفت النظر في القصص حب سوتونغ للأزهار، حتى مشاعر النفس وتعابير الوجه يقرنها بالأزهار، يستخدم وصف الأزهار في المجاز والحقيقة، في سرده حديقة غناء من أصناف شتى للأزهار.

رواية زوجات ومحظيات نُقلت إلى السينما فيلم باسم (ارفعوا المصابيح الحمر)، في العام نفسه لنشرها ١٩٩١م.

ولتمام متعة رحلتي في طريق الحرير بصريًا شاهدتُ الفيلم؛ متعة حسية متكاملة من الأداء والموسيقى التصويرية والمنازل الشبيهة بالقلاع، وتركيز الفيلم على إظهار المرأة، وحجب وجه الرجل السيد له دلالة مفهومة وفق سياق القصة الروائي.

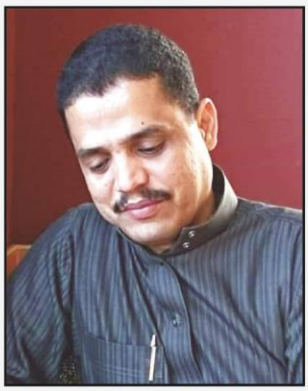






110
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

الغريب العائد



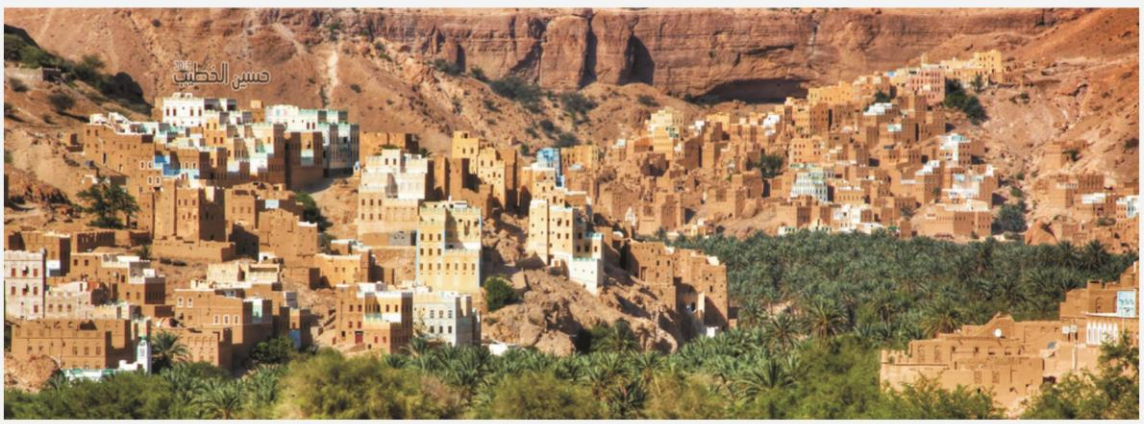
عمار باطويل

يسألني البعض لماذا عدت من غربتك؟ سؤال مضحك مبكٍ معًا، وكأن من يسألني نسي تاريخي وجذوري بهذه الأرض وشعب هذه الأرض ومقاومة هذه الأرض وتاريخها. أيها السائل لقد عدتُ إلى وطني لأن بروحي آلاف الأرواح التي تسكنني، وهذه الأرواح يا سادة هي التي تناديني بأن أعود إلى أرضي. ففي الغربة لا أرض لي ولا هوية لي، فكل شيء يتلاشى فيها، ولا يعرف وجهي العابر في شوارع بلاد الناس، أما في هذا الوطن أسمع النخيل ينادي باسمي، وأسمع الجبال تردد الصدى، وهدير السيول تعيد النغمة نفسها باسمي، ولذلك عدتُ إلى حضرموت؛ لأنها وجهي، وهي جذوري، والجذور لا ترتوي إلا عندما يعود الإنسان المهاجر إلى أرضه، ولذلك عدتُ. فقد كانت أول رحلة لي نحو الغربة في شهر أكتوبر من عام ١٩٩٧م، وشاء الله لي أن أعود من غربتي في الشهر نفسه عام ٢٠٢٢م، ربع قرن فيه تبلورت شخصيتي وتكونت عقليتي، ولم أكن أنا ذلك الإنسان الذي عرف منذ ربع قرن من الزمان.

ففي ربع قرن مسيرة أوطان، ففيها تسقط دول وتنهض دول، وبها تبدأ رسالات الأنبياء وتصقل حياتهم بالتجارب والسعي إلى نور الله. فربع قرن من الزمان فيها حكاية أوطان وإنسان. رحلة طويلة بالخطوات والكلمات، فقد جبت بها الأوطان بوطني الذي عدت إليه، فهو معي في كل تجوُّلاتي، ولذلك عدت بكل إرادتي بعد إرادة الله، وعندها أصبحت مواطنًا عندما كنت مقيماً في بلاد الناس، وعادت الناس لا تنظر إلى المقيم إلا بنصف نظرة؛ لأنه غريب، وعادة الغريب يبحث عن الوجود كما بحث عنها امرؤ القيس في غربته والقائل:

أجارتنا إنَّا غريبان هاهنا وكل غريب للغريب نسيب

فلا أحد يسألني في هذا الوطن من أنت؟ لأنني أصبحت من حكاية هذا الوطن، ومن حكاية هذا الشعب الجسور، الذي خاض الحياة بتجارب الكفاح، والصبر، والكرامة. فأنا الغريب العائد من ركام الغربة إلى حياة الوطن.



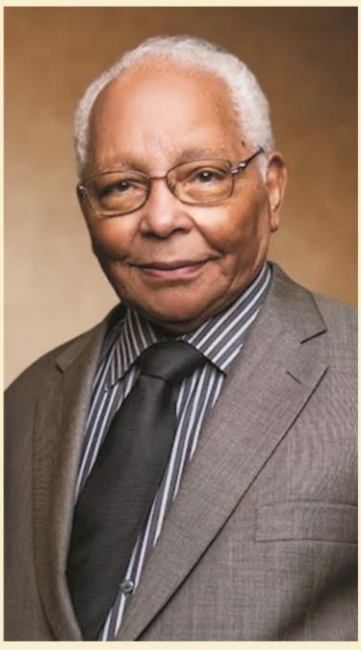
111
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

(عالمي الهوى)



عمر علوي بن شهاب

مهداة لشيخنا
علاّمة العربيّة الكبير،
الألسنيّ الحاذق الخبير،
أ. د. سعد عبدالعزيز مصلوح



هي روح تهفو وتهواك روحـــا ... حـــبّنا اجتاز آدما ثمّ نوحـــا
وبـــصلب له العشيقـــين بـــتنا ... فمخرنا البحـار عشقـا جموحا
إذ بـــدأنا الغرام كانت حـــياة ... ثمّ شـــدناه للبرايا صروحـــا
عالمي الهوى فيالك حـــــبّ ... لقـــلوب ما انفكّ يغزو فتوحـــا
فحـملنا اللّواء شـمسًا وبـدرا ... يتغشى البقـاع سوحـا فسوحـا
وزرعنـا الآمـال عطـرًا حميـما ... وطموح لنا يفوق الطّموحـــا
قـــد أضأنا النّجوم في كلّ أفق ... فإذا حـــبّنا أشـــدّ وضوحـــا
وإذا العشـق حيث بـتنا غبوقـا ... وإذا الحبّ في الغداة صبوحـــا
وأتانا الزّمان يطلب صفحـــا ... فمضى إثرنا سـموحًا صفوحـــا
ودفنّا الأسرار في جذر حـــبّ ... لم نبـح لا وخالقـي لن نبوحـــا
أبـدًا ما اسـتنار بـالحبّ قـلب ... كلّ ران يمسي بـــه ممسوحـــا
إنّه الحـــبّ ماؤنـــا وهوانـــا ... وإذا أجدبـت نزحـنا نزوحـــا
لم تزدنا الأدواء إلاّ رســـوخا ... لم تزدنا اللأّواء إلاّ رجوحـــا
هكذا ســـنت المحـــبّة شرعا ... مذ قـــر أنا مَتْنًا لها وشروحـــا
طفق الخلق يرقبـــون هلالا ... وأنا أسـتضيء بـدرًا صبوحـا
لا أبـــالي إن أغلقـــت أبـــواب ... لم يزل بـــاب ربّنا مفتوحـــا
يا لحبّ إن كان أحـدث جرحـا ... في عيوني كم كان يشـفي قروحـا
كلّما الدّهر رام كسـفي وخسـفي ... لم يجدني إلاّ كريماً سجوحـــا
كيف أضحى مسـموحًا ممنوعا ... كيف أمسـى ممنوعًا مسموحـا
قـد كويت الجراح حتّى تشـافت ... فلماذا أبـيت أنكي الجروحـا؟
يا حمام الرّبـــوع ما عدت أدري ... أتغنّين أم تنادين نوحـــا
غـــير إنيّ والفضـــل لله ربيّ ... لا أراني إلاّ أبـــيّا لموحـــا
ألسـني المسـار حسبـي إلا ... عن نصوص الإسلام أبغي جنوحا
وقـديماً كان السـكّاكي شـيخي ... وحـديثًا مسـتنهجًا مصلوحـا
سيبـــويه الزّمان للضّاد بـــدر ... وبـه كم غدا لعمري صدوحـا
ربّ أطل عمر سـعدنا في سـعود ... استجب لي يا من يحبّ اللّحوحا

٢٠/ ٠٢/ ٢٠٢٣م - تريم

إليها وقد نفخ النفخة الثانية



الحاج بن خميس المشطي

أنسجتَ من لفظٍ جحيمَ عذابي؟ ... فأثار شعرُك في الفؤاد مصابي
ونقشتَ جرحي بالتذكر فانبرى ... حرفٌ يطرز بالدموع كتابي
أدمنتَ ذاكرة الرجوعِ فما جنت ... ذكرى الرجوع سوى طقوس خرابي
وتعذّرتْ لغتي فأصمتُ صارخًا ... وأُزيحُ وجهَ مصيبتي لغيابي
عبثًا أريد صبابتي تغتالني ... بفمٍ وسيفٍ يستجدُّ عتابي
وأبثُّ كل الدمع قربانًا لقا ... تلتي وأشعل للفراق إيابي
وأدسُّ في شعري لباب مواجعي ... وأصيحُ يا أنتِ السماء: سحابي
وألملم اللقيا فاحسبني النوى ... وأشتّتُ اللقيا لأسقطَ نابي
كم كنتُ محترقًا لأن عواطفي ... جمرٌ، وصدقُ محبتي أغرى بي
متنفّسي كمدٌ، يعلّلني المدى ... بالصبحِ، فليأتِ الصباحُ ببابي
أستعذب اللقيا لأحلم بالقنا ... ويعيش فوق قصيدتي أصحابي
وأكرر الآثام بالذكرى لها ... فلعلَّ إثمي أن يموت عذابي
يا من تركتَ الحب سلطانًا لعا ... صمتي تلوذ بعطفه أسبابي
وملأتَ سفح الكون في وضح السنا ... عشقًا، يكبّلُ في المساء شبابي
وجعلتَ ذاك الوجه في عبق السما ... نجماً، يضيءُ لنشوتي وشرابي
ورسمتَ في قلبي رموز غياهبي ... شوقاً وقدتَ إلى الجنون مآبي
ونفختَ في قلبي بروح الشعرِ ... أبياتًا، لتغرق بالحروفِ رحابي
ومنعتَ من قدري رحيل الذكريا ... ت وفزتَ برجعتي ومتابي
قل لي لماذا جئت تستاق الرؤى ... طللاً، لتحصدَ بالجنونِ إيابي

113
العدد (27)
يناير
مارس
2023م

"الكيس ولد إبليس"



أ. د. عبدالله سعيد بن جسّار الجعيدي

يشتغل هذا المثل على المدح الممزوج بالدهشة للأفراد الذين لا يدل مظهرهم الخارجي من الوهلة الأولى على القدرة على القيام بأعمال نوعية أو خارقة، لكنهم يمتلكون إمكانيات كبيرة غير متوقعة على الإنجاز، والاحتواء، لهذا يحضر المثل مباشرة بعد حدوث الفعل اللافت وليس قبله، لكن ما علاقة ما ذكرناه بنص المثل الذي يذكر فقط الكيس، وولد إبليس؟ ثم من هو الممدوح منهما؟ وما هي عناصر المقاربة بينهما؟ ولنفهم أصل الحكاية، وفك الاشتباك بين الكيس، وإبليس، وتحديد صاحب الحق (التاريخي) منهما سنجد ضالتنا في الحوانيت القديمة، عندما كان يستخدم التجار أكياسًا (جواني- شوالات) تُعبَّأ بأغراض متنوِّعة، أو بمادة معينة تبدو أكبر من مساحة استيعابها، وعندما ينجح في الاحتواء يتحصل على شهادة البطولة المقرونة بذكر إبليس، من باب التشبيه الضمني بإمكانياته، لكن هذه المقاربة بين عناصر غير متجانسة تضعُنا في التباس يشبه إبليس، وتلبيسه من حيث دلالات الإشادة، وتداخلها، ومن هو المَعْنِيُّ بها، لكن بالنظرة العامة على الثقافة الشعبية السائدة المعادية لإبليس نستطيع استنتاج انحياز المثل إلى (الكيس)، الذي يشتغل في الآن ذاته - أي المثل - على الاعتراف بإمكانيات إبليس الواسعة، وليس على مدحه، وبهذا يتحرَّر المثل من قاعدة المشبَّه والمشبَّه به التي تعمل بثنائية الأصل والتقليد.

وخارج هذا المثل تميل صورة الكيس في المرويات الشفاهية إلى المنحى السلبي، فيقرن بثقل الوزن، الذي يحيل إلى معنى الخمول، والعجز عن الحركة، لهذا يكون حاضرًا عند ذكر الشخص السمين ويقال عليه: "كيس جالس"، أو "كيس مزقول [مرمي]"، أما إبليس فمساحة الحركة عنده متنوِّعة لهذا حظي بإشارات كثيرة في تفاصيل حياة الناس، فكما يُذَمُّ في كثير من المرويَّات، تقرِّبه بعضها إلى ما يشبه المدح، وهذه الوضعية غير المستقرة يسرَّتْ له الاستمرار؛ بوصفه مادة كتابية إلى نهاية فقرات هذا المقال، ولهذا سنترك - مضطرين - زميله (الكيس) يحتفل بمجده القديم، ولعله الوحيد.

في المشترك بين ثقافة الشعوب نجد القبول الجمعي لكلمات المدح عند التشبيه بالحيوان أو باستعارة لفظة فيها إساءة أو شتيمة، من ذلك وصف الشخص الذي نجح بحل قضية معقَّدة بلفظة (خبيث)، فيَعُدُّها شهادة ذكاء، وعند التشبيه بالحيوان يقال: دودة أو سوسة، ويُعَدُّ هذا إقراراً بالقدرة على التفتيت والامتصاص للمعضلات والصدمات، وهكذا فإن الألفاظ - كما هو معروف تُفَسَّرُ بحسب سياقاتها، ومناسبتها وليس وفقًا لدلالاتها اللغوية أو حتى الاصطلاحية، يقابل ذلك أو قريبًا منه كلمات المدح الإيجابية المباشرة وغير المباشرة، كأن يقال: فلانٌ طيِّبٌ، أو نَقِيٌّ السريرة، فهي إذا لم تكن في سياقٍ مناسب، تصيرُ مُرَادِفَةً للسذاجة، وقريبة إلى الشتيمة المُغلّفة بالنصيحة والود.

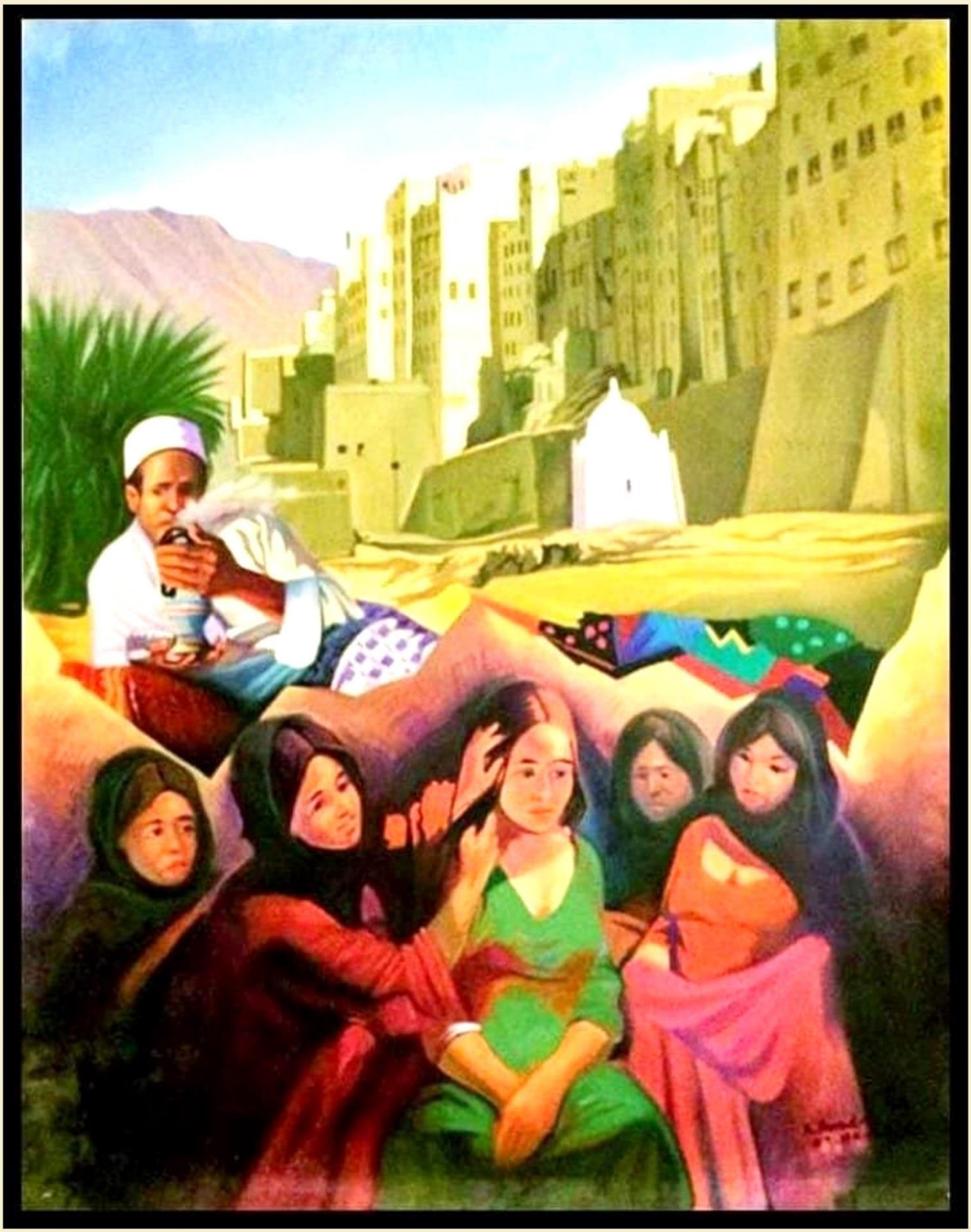
ورغم أن إبليس عدو أبدي لبني آدم، ومبين، بتأكيد الكثير من النصوص الدينية، وبعض الأمثلة والمقولات الشعبية، فإنه حظي بإشارات تجعلُه يتفاخر (بفطنته) بشهادة أعدائه من البشر، لكنه في مواقف أخرى يتضاءل أمام كيد نظرائه من أبالسة الإنس ومكرهم، فمن أمثلة تفاخره عند سماعه للبشر وهم يصفون الشخص الإيجابي الذي أظهر قدرة على إنجاز فوق المتوقع أو المعتاد بأنه: (إبليس) أو (ابن أبالسة) ويستقبل الممدوح الإشادة (الإبليسية) بكل سرور.

وفي اتجاه مغاير، وكما نجد تقاربًا في الأهداف الخبيثة، بين إبليس ومن يتماهى معه من أبالسة الإنس من حيث كمية الشر الذين يفعلونه، والكيد الذي يضمرونه تجاه ضحاياهم، هناك حالات خاصة يتفوق فيها مكر (الإنسي الإبليسي)، ويمكن أن نعزو ذلك إلى أن إبليس عندما يفعل فعلته التي يفعلها -رغم أنه يلبس ثوب الواعظين- فهو واضح في عداوته، مكشوفة حِيَلُه، ولا يسوق لنفسه من قبل المكيدة ولا من بعدها، وتنتهي سعادته عندما يجد آذانًا صاغية وعقولاً طائعة له، بعكس (الإنسي) الذي إذا ركب موجة النصيحة، وفعل الخير، إنما يبحث عن نفسه في مشهد البطولة الزائفة من قبل المكيدة وما بعدها، وهكذا فنحن هنا أمام ثنائية (إبليسية) طرف فيها لا يُرى، لكنه مكشوف العداوة، ومَنْ سقط معه برضاه "عمله غداه"، وطرف يُرى، لكنه يُخفي العداوة، ومَنْ صدّقه "صار عشاه"، إنها المعركة الأبدية بين الخير والشر، والكيّس من تحذر من إبليس وعياله، وجنده، وخيله وأنصاره وانتبه قبل أن يلفوا عليه الذيل...

في المشترك بين ثقافة الشعوب نجد القبول الجمعي لكلمات المدح عند التشبيه بالحيوان أو باستعارة لفظة فيها إساءة أو شتيمة، من ذلك وصف الشخص الذي نجح بحل قضية معقَّدة بلفظة (خبيث)، فيَعُدُّها شهادة ذكاء..

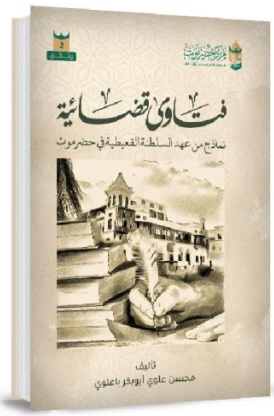
نجد تقاربًا في الأهداف الخبيثة، بين إبليس ومن يتماهى معه من أبالسة الإنس من حيث كمية الشر الذين يفعلونه، والكيد الذي يضمرونه تجاه ضحاياهم، هناك حالات خاصة يتفوق فيها مكر (الإنسي الإبليسي)

لوحة للفنان التشكيلي: علي غداف

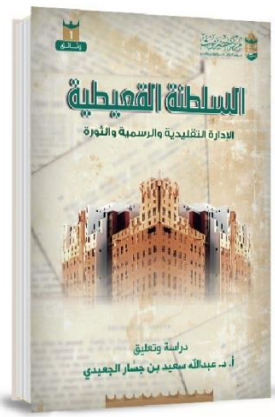


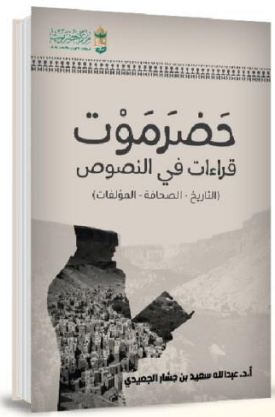
العرس الحضرمي

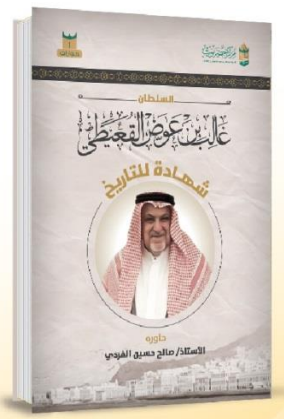
متوفر الآن

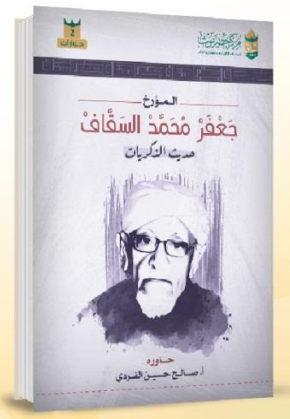

فتاوى قضائية
نماذج من عهد السلطنة القعيطية في حضرموت
تأليف
محسن علوي أبوبكر باعلوي

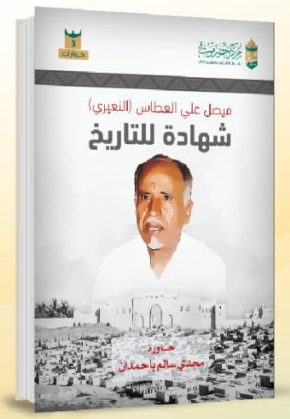

الصراع
الكمادي البريكي
في وثائق تاريخية تنشر لأول مرة
تأليف
أ. د. علي صالح الخلفي

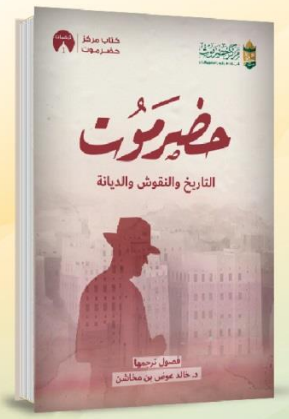

السلطنة القعيطية
الإدارة التقليدية والرسمية والثورة
دراسة وتعليق
أ. د. عبدالله سعيد بن جسار الجعيدي

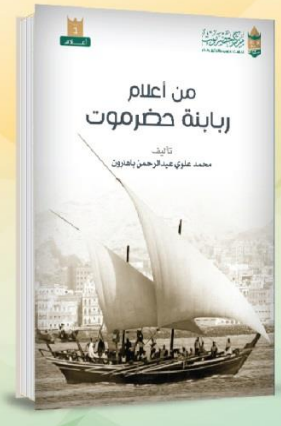

حَضرَمَوْت
قراءات في النصوص
(التاريخ - الصحافة - المؤلفات)
أ.د. عبدالله سعيد بن جسّار الجعيدي

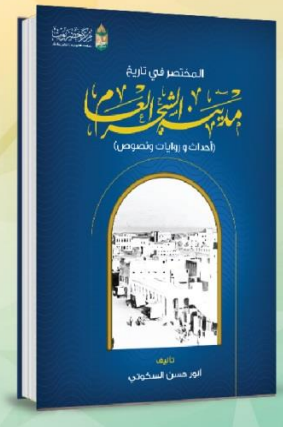

السلطان
غالب بن عوض القعيطي
شهادة للتاريخ
حاوره
الأستاذ/ صالح حسين الفردي

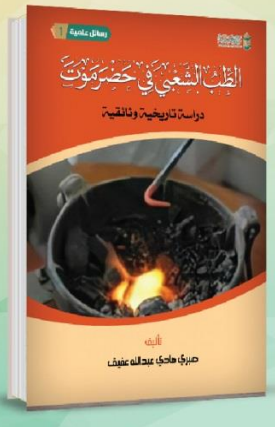

المؤرخ
جَعْفَرْ مُحَمَّدْ السَّقَّافْ
صديق الذكريات
حاوره
أ. صالح حسين الفردي

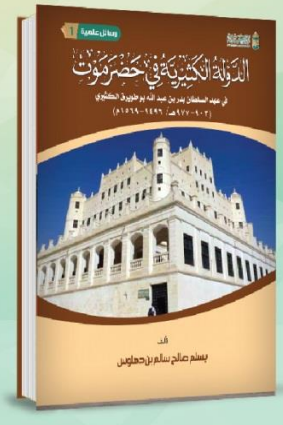

ميصل علي العطاس (النعيري)
شهادة للتاريخ
حاوره
مجتبى سالم باحمدان


حضرموت
التاريخ والنقوش والديانة
فصول ترجمها
د. خالد عوض بن مخاشن


من أعلام
ربابنة حضرموت
تأليف
محمد علوي عبدالرحمن بافارون


المختصر في تاريخ
مدينة الشحر العام
(أحداث و روايات ونصوص)
تأليف
أنور حسن السكوتي


الطب الشعبي في حضرموت
دراسة تاريخية وثائقية
تأليف
صبري هادي عبدالله عفيف


الدولة الكثيرية في حضرموت
في عهد السلطان بدر بن عبد الله بن عمير الكثيري
(٩٠٢-٩٧٧هـ/ ١٤٩٦-١٥٦٩م)
قدم
بسنم صالح سالم بن حماس